# الفهرس تفسير سورة الحمد


## تفسير سورة الحمد

جميع الحقوق محفوظة لمجمع الفكر الاسلامي

## بسم اللّه الرحمن الرحيم كلمة المجمع

مجمع الفكر الاسلامي

## تمهيد

التفسير والتاويل

## المقدمة الاولى

في تعريف التفسير والتاويل

## اولا : التفسير

التفسير لغة :

## الظهور البسيط والظهور المعقد :

التفسير معنى اضافي او موضوعي :

## تفسير اللفظ وتفسير المعنى :

اهمية التمييز بين التفسيرين :

## موضوع وبحوث علم التفسير :

ثانيا : التاويل

## ١ ـ الراي الاول :

٢ ـ الراي الثاني :

## ٣ ـ الراي الثالث :

الموقف الصحيح من هذه الارا :

## تاويل المتشابهات :

شروط التفسير

## المقدمة الثانية

الخلفية الفكرية والعقائدية للمفسر

## الاولى : الذهنية الاسلامية

القرآن وحي الهي :

## الثانية : التصور العام عن القرآن

الثالثة : العقيدة الصحيحة

## التدبر والتفسير بالراي :

احتمالات التفسير بالراي :

## ١ ـ الظهور النوعي :

٢ ـ الظهور الشخصي :

## الفرق بين التدبر والتفسير بالراي :

الدليل الاول :

## الدليل الثاني :

الدليل الثالث :

## الدليل الرابع :

المقدمة الثالثة

## في شروط المفسر

الخلفية الروحية

## الخلفية العلمية

١ ـ علوم اللغة العربية :

## ٢ ـ علوم القرآن :

٣ ـ علوم الشريعة :

## دور العلوم التجريبية في تفسير القرآن :

الهدف من نزول القرآن

## المقدمة الراب عة

في بيان الهدف من نزول القرآن

## الاولى

الفائدة من معرفة هدف النزول

## الفائدة الاولى :

الفائدة الثانية :

## الثانية

احتمالات اهداف النزول من منظور قرآني

## اولا ـ هدف ( الانذار ) :

ثانيا ـ ضرب الامثال وتصريفها :

## ثالثا ـ اقامة الحجة والبرهان على الحقائق الالهية :

رابعا ـ بيان تفاصيل الشريعة الاسلامية :

## خامسا ـ حل الاختلاف وفصل النزاعات بين البشرية :

سادسا ـ تصديق الرسالات السابقة :

## سابعا ـ بيان الفصول التاريخية لتطور حركة الانسان :

ثامنا ـ اعطا التصور الكامل عن الكون والحياة :

## تاسعا ـ انزال الهداية والرحمة :

الثالثة

## في ( الهدف الاساس )

البعد الاول ـ ايجاد التغيير الجذري في المجتمع الانساني كله :

## ( اللّه ) تبارك وتعالى و ( الطاغوت ) :

الانبيا اولو العزم وانبيا الرسالات :

## البعد الثاني ـ المنهج الصحيح للتغيير :

( الكتاب ) و ( الحكمة ) :

## البعد الثالث ـ ايجاد القاعدة الانسانية الثورية :

الرابعة

## في مساهمة الاهداف الثانوية

في تحقيق الهدف الرئيس

## الانذار :

بقية الاهداف الفرعية :

## مناهج التفسير

المقدمة الخامسة

## في مناهج التفسير

الجانب الاول

## التفسير الموضوعي والتفسير التجزيئي

منهج التفسير التجزيئي :

## منهج التفسير الموضوعي :

مرجحات منهج التفسير الموضوعي على منهج التفسير التجزيئي :

## المرجح العملي :

ملاحظات حول المرجحات :

## اولا ـ فيما يخص المرجحات الثلاثة لمنهج التفسير الموضوعي على التفسير التجزيئي :

اما المرجح الاول

## واما المرجح الثاني :

واما المرجح الثالث :

## ثانيا ـ فيما يخص شيوع التفسير التجزيئي :

ثالثا ـ فيما يخص حالة العمق والسطحية في المنهجين :

## المقارنة بين منهج التفسير الموضوعي والتفسير التجزيئي :

اسلوب القرآن الكريم في العرض :

## ميزة التفسير التجزيئي الخاصة :

المنهج المختار :

## المعالم العامة للمنهج المختار :

الجانب الثاني

## الاهتمامات التفسيرية

الخلفيات :

## اهتماماتنا :

الاول ـ ( الجانب التربوي والتغييري للقرآن الكريم ) :

## الثاني ـ ( السياق القرآني ) :

الثالث ـ ( الظواهر القرآنية ) :

## الرابع ـ ( الاهتمام بتفسير مفردات النص القرآني ) :

الخامس ـ ( الاهتمام بالتفسير الموضوعي ) :

## السادس ـ ( الاهتمام بالقضايا ذات الخلافات المذهبية ـ الفكرية اوالعقائدية ـ او الفقهية ) :

السـابـع ـ ( الاشـارة الى الماثور عن المعصوم ٧ في تفسير القرآن بصفته شاهدا وقرينة على ما نفهمه من النص القرآني ) :

## تفسير

سورة الحمد

## المقدمة

اولا ـ الاسم

## ا ـ ( ام الكتاب ) :

ب ـ ( الحمد ) :

## ج ـ ( الفاتحة ) :

د ـ السبع المثاني :

## ثانيا ـ النزول

احدهما :

## والاخر :

ثالثا ـ فضل سورة ( الفاتحة )

## الفصل الاول

في البسملة

## الجهة الاولى

البسملة آية من القرآن الكريم ام لا ؟

## راي الامامية :

الاول ـ الاجماع :

## الثاني ـ الروايات :

الثالث ـ الرسم القرآني :

## الرابع ـ سيرة المسلمين :

سبب اختلاف الراي في ( البسملة ) :

## الجهة الثانية

معنى ( البسملة )

## اولا ـ معاني المفردات

١ ـ حرف البا :

## ٢ ـ الاسم :

٣ ـ لفظ الجلالة ( اللّه ) :

## ٤ ـ الرحمن :

٥ ـ الرحيم :

## ثانيا ـ المعنى الاجمالي والهدف التربوي للبسملة

صيغة البسملة :

## الارتباط الشكلي والمضموني :

الجهة الثالثة

## في تفسير ظاهرة تكرار ( البسملة )

الاول ـ البسملة خلق اسلامي :

## الثاني ـ البسملة شعار اسلامي :

الجهة الرابعة

## دور الشعار واثره في النظرية الاسلامية

تمهيد :

## دور الشعار في النظرية الاسلامية :

آثار الشعار :

## اولا ـ المدلول التربوي :

الثاني :

## ثانيا ـ المدلول السياسي :

الاولى :

## الثانية :

ثالثا ـ المدلول الاجتماعي :

## الاولى :

الثانية :

## رابعا ـ المدلول الاعلامي :

الفصل الثاني

## تفسير بقية السورة

تقسيم البحث :

## الاول :

الثاني :

## القسم الاول

في تفسير المفردات

## مفردات المقطع الاول

١ ـ الحمد :

## ٢ ـ لفظ الجلالة ( اللّه ) :

٣ ـ رب :

**الاول :**

**الثاني :**

**٤ ـ العالمين :**

**الرحمن الرحيم :**

**٦ ـ مالك :**

**اولا :**

**ثانيا :**

**٧ ـ اليوم :**

**الدين :**

**مفردات المقطع الثاني**

**١ ـ العبادة :**

**٢ ـ الاستعانة :**

**مفردات المقطع الثالث**

**١ ـ الهداية :**

**الاول :**

**الثاني :**

**الثالث :**

**٢ ـ السراط ( الصراط ) :**

**٣ ـ المستقيم :**

**ابعاد السراط :**

**الاول**

**الثاني ـ ( غير المغضوب عليهم ) :**

## الثالث ـ ( ولا الضالين ) :

حد الصراط :

## تفسير آخر للسراط :

الاولى :

## الثانية :

الثالثة :

## القسم الثاني

في المعنى الاجمالي

## معنى المقطع الاول

اولا ـ معالم العلاقة الالهية بالعبد :

## الاولى ـ الحسن الاختياري في خلق الانسان :

الثانية ـ التطور والتكامل في هذا الحسن :

## الثالثة ـ الرحمة والرافة والمحبة والود :

الرابعة ـ العدل الالهي :

## ثانيا ـ الاهداف التربوية والعقائدية :

الاول ـ الاهداف التربوية :

## الثاني ـ الاهداف العقائدية :

معنى المقطع الثاني

## البحث الاول ـ مضمون العلاقة بين العبد والله :

اولا : الارادة والاختيار في العبادة والتعبير عن الاستعانة :

## ثانيا ـ تطابق الارادة مع الاحكام الشرعية :

ثالثا ـ معطيات الاسلوب القرآني :

## رابعا ـ الاستعانة تعبير عن الحاجة :

البحث الثاني ـ الاهداف التربوية والعقائدية :

## اولا ـ الاهداف العقائدية :

ثانيا ـ الاهداف التربوية :

## معنى المقطع الثالث

البحث الاول ـ المضمون الاجمالي :

## اولا ـ التكامل نزعة فطرية في الانسان :

ثانيا ـ التوفيق الالهي سبب للوصول الى الهدف :

## ثالثا ـ الطابع الفطري للسراط المستقيم :

رابعا ـ الحدود الموضوعية للسراط المستقيم :

## الاول ـ الحد الموضوعي الايجابي :

١ ـ القدوة الحسنة :

## ٢ ـ الشريعة الالهية :

الثاني ـ الحد الموضوعي السلبي :

## البحث الثاني ـ المضمون العقائدي والتربوي :

اولا ـ المضامين العقائدية :

## ثانيا ـ المضامين التربوية :

الخلاصة

## الفصل الثالث

في بعض الموضوعات

## التي ترتبط بالفاتحة

الموضوع الاول

## قراة الفاتحة في ( الصلاة )

حمد الله بلسان الانسان :

## راي العلا مة الطباطبائي :

الموقف من راي الطباطبائي :

## مضمون الفاتحة صلواتي :

الفاتحة بازا القرآن :

## الموضوع الثانى

الابتلا والرحمة الالهية

## حقائق قرآنية ذات علاقة بالمحنة :

المحنة طريق التكامل :

## الموضوع الثالث

العبادة والاستعانة

## راي الطبرسي :

راي الطباطبائي :

## الراي المختار :

احدهما :

## والاخر :

مراتب العبادة

## الموضوع الرابع

السراط المستقيم

## راي الطباطبائي في السراط والسبيل :

نقد راي الطباطبائي :

## التحقيق في معنى السراط :

# تفسير سورة الحمد.

تاليف : السيد محمد باقر الحكيم .
الهاتف : ٧٤٤٨١٠.
الكتاب :تفسير سورة الحمد.
المؤلف :السيد محمد باقر الحكيم .
الناشر :مجمع الفكر الاسلامي ــ قم .
الطبعة :الاولى .
تنضيد الحروف :مجمع الفكر الاسلامي ــ قم .
الليتوغراف :مؤسسة الهادي ــ قم .
المطبعة :مؤسسة الهادي ــ قم .
الكمية :١٠٠٠ نسخة .

جميع الحقوق محفوظة لمجمع الفكر الاسلامي .

## بسم اللّه الرحمن الرحيم كلمة المجمع

يعتبر القرآن الكريم اول مصدر معرفي اسلامي تلقاه المسلمون بالقبول والاهتمام قراة وحفظا وتدوينا وتفسيرا وتطبيقا.
وعلى خطاه سار النبي العظيم ٩ وجسد مفاهيمه وفسر مقاصده بكل مافي وسعه ، وبذلك اغنى العالم الانساني بمصدر يتلوه في الاهمية والعظمة والشرف الا وهو سنته المطهرة .
وقد بلغ اهتمام النبي الاعظم بالقرآن الكريم حدا صانه من تلاعب ايدي العابثين بنصوصه والفاظه ، وان لم يسلم تفسيرا وتاويلا من محاولات التحريف من قبل الضالين والمبطلين ، كما لم تسلم نصوص السنة النبوية المدونة من الاحراق والوضع ، بالاضافة الى منع النقل والتحدث والتدوين في بعض العصور.
ومن هنا بقي القرآن خالدا بمرور الزمن ودليلا لهداية المسترشدين ، وكانت الدراسات القرآنية من اعرق الدراسات الاسلامية عند المسلمين ، وتفوقت على ما سواها باستمرارها وتطورها كلما نشطت الحياة العلمية وتمادى الزمن وابتعدالمسلمون عن عصر التشريع .
وكانت المعاهد العلمية في الحواضر الاسلامية على مدى التاريخ مركزاللنشاط العلمي القرآني ، بل انه قد امتد بامتداد رقعة الاسلام في شرق الارض وغربها ، باعتباره الاداة الفاعلة والوسيلة المثلى لغرس الوعي الديني وتنمية الوعي الاسلامي عند المسلمين وسببا من اسباب صيانة الامة من الذوبان في الثقافات الدخيلة والمنحرفة .
وقد نشطت الحركة العلمية باتجاه استيعاب مفاهيم القرآن الكريم ومحاولة تفسيرها وتطبيقها في الحياة الاجتماعية بعد ان انتهك الاستعمار حقوق المسلمين في عقر دارهم وهاجمهم في داخل بلدانهم وصادر حرياتهم ونظمهم وابدلها بنظم وضعية لا تمت الى الدين بصلة مما سبب ردة فعل عنيفة لدى الضمائر الحرة والاجيال المؤمنة باللّه ورسوله والتي تابى ان تسحق عزتها وتصادر

كـــرامتها ،فبدات ترد على كل استفزاز ثقافي وديني وتطالب بالرجوع الى معين الرسالة المعطا في عصر طاله التطور في كل مجال .

ومـــن هـــنـــا كـــان عـــلى معاهدنا وحوزاتنا العلمية ان تلبي ندا الحاجة الواقعية للمجتمعات الانسانية والاســـلامية على مختلف مستوياتها واتجاهاتها وفي شتى ظروفها الثقافية والاجتماعية والسياسية فتبادر لعرض المفاهيم الاسلامية القرآنية بشكل يتناسب مع حاجات العصر ومتطلبات الزمن .

وقـــد جات محاولة آية اللّه السيد محمد باقر الحكيم فريدة من نوعها وملبية للحاجات الواقعية في مـــعاهدنا العلمية ومجتمعاتنا الاسلامية ، وهي تحمل مميزات تفردت بها ــ كما تلاحظها في مقدمته على هذا الكتاب الكريم ــ ونشير الى اهم عنصر فيها وهو الرؤية الاجتماعية للنص القرآني والتي غابت عن كثير من محاولات التفسير في القرون الماضية .

وبـــهـــذا كانت صالحة لان تعد كمقرر تدريسي للمعاهد الاسلامية وطلا ب المعرفة القرآنية ، ولا سيما وا نها قد القيت على طلبة العلوم الاسلامية ، فهي تتناسب مع حاجات الامة بشكل عام وحاجات الطلا ب والدارسين والمدرسين بشكل خاص .

ومجمع الفكر الاسلامي اذ يقوم بتقديم هذا العطا المبارك للحوزات العلمية والامة الاسلامية يتمنى للاستاذ المؤلف كل التوفيق ، واللّه من ورا القصد ، وهونعم المولى ونعم النصير.

**مجمع الفكر الاسلامي .**

٢٩ / ٨ / ١٣٧٦. ١٩ رجب ١٤١٨.

.

**تمهيد**

. الـــحـــمد للّه رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا ابي القاسم محمدوعلى آله الطيبين الطاهرين .

فـــي بـــدايـــة بـــحث التفسير لا بد من بحث مجموعة من المقدمات تلقي الضؤعلى هذا البحث وتحدد منهجه ووسائل الاثبات فيه .

فمن هذه المقدمات ما يخص ( علم ) التفسير بصفته علما ، ومنها ما يخص ( المفسر ) الذي يريد ان يـــمارس عملية التفسير ، ومنها ما يخص ( الكتاب الكريم )من ناحية هدفه وغايته ، ومنها ما يخص ( مـــنـــاهج ) التفسير المتبعة في الدراسات التفسيرية قديما وحديثا ، و ( وسائل ) الاثبات في علم التفسير.

وقد ارتاينا دراسة المفردات التالية مقدمة للشروع في هذا البحث ان شاءاللّه تعالى :

١ ــ تعريف علم التفسير ، والبحوث الداخلة تحت هذا العنوان ونسبة لفظة التاويل الى لفظة التفسير .

٢ ــ الـــخـــلفية الذهنية والعقائدية التي يجب ان يتصف بها المفسر ، والتي تشكل الاطار العام للتفسير المعين .

٣ ــ الشروط العامة التي لا بد من توفرها في المفسر ، والتي تشكل عدة ووسيلة المفسر في عملية التفسير.

٤ ــ هدف نزول القرآن الكريم ، واثر ذلك في اختيار منهج التفسيرومضمونه .
٥ ــ مــناهج التفسير ، ما هي ؟ وما هي خطوطها العامة ، وما هي مميزاتها ؟والاهتمامات التفسيرية وما نختاره منها ؟.

.

.

## التفسير والتاويل

### المقدمة الاولى .

## في تعريف التفسير والتاويل

### اولا : التفسير

التفسير لغة : الــبيان والكشف ((١)) ، فتفسير الكلام هو الكشف عن مدلوله وبيان معناه ، وقدوردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى ايضا ، في قوله تعالى :
( ولا يا تونك بــمــثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا ) ((٢)) .
وبــنا على هذا التعريف ، فهل يختص التفسير بحالة ما اذا لم يكن للفظظهور فيكون اظهاره تفسيرا ؟ ام ان التفسير عام وشامل لحالة بيان المعنى الظاهر ؟.
هناك اتجاهات مختلفة في الاجابة عن هذا التساؤل ، نذكر منها اتجاهين :
الاول : الاتــجــاه الذي يمثل الراي السائد لدى علما اصول الفقه والذي يرى ان التفسير لا يكون الا في :
ا ــ اظهار احد محتملات اللفظ مع تساويها ، واثبات ا نه هو المعنى المراد.
ب ــ اظهار المعنى الخفي غير المتبادر ، واثبات ا نه هو المعنى المراد بدلامن الظاهر المتبادر.
واما ذكر المعنى الظاهر المتبادر من اللفظ فلا يكون تفسيرا.
الثاني : وهناك اتجاه آخر ــ وهو الصحيح ــ يرى ان ذكر المعنى الظاهر قديكون في بعض الحالات تــفــســيــرا ايضا واظهارا لامر خفي ، كما ا نه في بعض الحالات الاخرى قد لا يكون تفسيرا لان المعنى يكون واضحا وليس فيه خفااو غموض ، وقد اصطلح على الظهور الاول ( بالظهور المعقد ) وعلى الثاني ( بالظهور البسيط ).

### الظهور البسيط والظهور المعقد :

فــالــظــهور البسيط هو : الظهور الواحد المستقل المنفصل عن سائر الظواهرالاخرى ، كظهور جملة ( اذهب الى البحر في كل يوم ) ، ولا يعتبر ابراز المعنى على اساس هذا الظهور تفسيرا.
واما الظهور المعقد : فهو الظهور المتكون نتيجة لمجموعة من الظواهرالمتفاعلة كظهور جملة ( اذهــب الــى البحر في كل يوم واستمع الى حديثه ) فلجملة ( اذهب الى البحر في كل يوم ) ظهور خاص بها ، ولجملة ( واستمع الى حديثه )ظهور خاص بها قد يبدو انه لا يناسب الاول اذ لا يوجد لــلــبحر حديث ،

ولا بدمن دراسة تفاعل هذين الظهورين فيما بينهما واستحصال الظهور الناتج من هـذاالـتـفـاعـل ، وهـو المعنى الذي يريده المتكلم الذي هو ( الذهاب الى العالم المتبحر في العلم والاستماع الى حديثه ). ونـتيجة لهذا التعقيد في التركيب اصبح للكلام درجة من الغموض والخفاجديرة بالكشف والابانة ، ولهذا صح اعتبار ابراز المعنى على اساس هذا الظهورتفسيرا.

وعلى هذا فان التفسير وفق هذا الاتجاه الثاني يشتمل على :

ا ــ بيان المعنى في موارد الظهور المعقد.

ب ــ اظهار احد محتملات اللفظ واثبات ا نه هو المعنى المراد.

ج ــ اظهار المعنى الخفي غير المتبادر واثبات ا نه هو المعنى المراد ، بدلامن الظاهر المتبادر.

## التفسير معنى اضافي او موضوعي :

وبنا على الاتجاه المذكور ، نعرف ان التفسير معنى ( اضافي ) لا نه بيان للمعنى وتوضيحه حتى في موارد ظهور اللفظ.

وعـندئذ فالمعنى الظاهر قد يكون بحاجة الى بيان وكشف لشخص دون آخر ، فهو تفسير باضافته للاول ، ولا يكون تفسيرا باضافته للثاني .

واما على الاتجاه الاول ، فان للتفسير معنى ( موضوعيا ) لا يختلف باختلاف الافراد ، لا ننا نلاحظ فـيـه ( اللغة ) ، فان كان معنى اللفظ لغة هو المعنى الذي يقتضيه استعماله اللغوي ، فلا يكون كشفه تـفـسـيـرا وان اكتنفه بعض الخفاوالغموض ، واما اذا كان المعنى معنى آخر لا يقتضيه استعماله اللغوي بل عيناه بدليل خارجي فيكون كشفه تفسيرا.

## تفسير اللفظ وتفسير المعنى :

والتفسير على قسمين بلحاظ الشي المفسر ، وهما : اولا ــ تفسير اللفظ : ويراد به بيان معنى اللفظ لغة .

ثانيا ــ تفسير المعنى : ويراد به تحديد مصداقه الخارجي الذي ينطبق عليه .

فـنـحـن نـقرا في القرآن الكريم ــ مثلا ــ كلمات تصف اللّه سبحانه وتعالى بالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام و ، كقوله تعالى :

( اللّه لا الـه الا هو الحي القيوم ) ((٣)) .

( حم # تنزيل الكتاب من اللّه العزيز العليم ) ((٤)) .

( تبارك الذي بيده المـلك وهو على كل شي قدير ) ((٥)) .

( قـد سمع اللّه قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى اللّه واللّه يسمع تحاوركما ان اللّه سميع بصير ) ((٦)) .

( افـتـطـمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام اللّه ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ) ((٧)) .

او كلفظة ( اهل البيت ) في قوله تعالى :

( انما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ) ((٨)) .

ونواجه بالنسبة الى هذه الكلمات وامثالها بحثين ، هما :
الاول : البحث في مفاهيم هذه الكلمات من الناحية اللغوية وهذا هو( التفسير اللفظي ).
الثاني : البحث في تعيين مصاديق هذه المفاهيم .
فـبـالنسبة الى اللّه تعالى ، كيف يسمع ؟ وباي شي ؟ وكيف يعلم ؟ و ،وبالنسبة لاهل البيت ، من هم هـؤلا ؟ وهـل ( الـمـصداق ) هو زوجات النبي ٩ ؟ام الخمسة ( محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ) : ؟ وهذا هو ( تفسيرالمعنى ) الذي نقصده .

## اهمية التمييز بين التفسيرين :

والـتـمـييز بين تفسير اللفظ وتفسير المعنى مهم جدا لحل التناقض الظاهري الذي قد يبدو لبعض الاذهان بين حقيقتين في القرآن الكريم ، وهما :
الاولى : حقيقة كونه كتاب هداية لكل البشر ، وما تفرضه هذه الحقيقة من كون القرآن ميسرا للفهم ، متاحا لكل انسان استخراج معانيه ، لكي يستطيع ان يؤدي هدفه هذا.
الثانية : هي وجود كثير من الموضوعات في القرآن لا يتيسر فهمهابسهولة ، بل قد تستعصي على الذهن البشري ويتيه فيها لدقتها وابتعادها عن مجالات الحس والحياة الاعتيادية ، هذه المواضع التي لـم يـكـن بـامـكان القرآن الكريم ان يتفادى الخوض فيها ، لا نه كتاب دين يستهدف بصورة رئيسة ربـطالـبـشرية بالغيب وتنمية غريزة الايمان لديها ، ولا يتحقق ذلك الا عن طريق طرح مثل هذه الـمـوضـوعـات التي تنبه الانسان الى صلته بعالم اكبر من عالمه المنظور وان كان غير قادر على الاحاطة بجميع اسراره وخصوصياته .
وحـل هـذا الـتناقض الظاهري بين هاتين الحقيقتين يكون بالتمييز بين تفسير( اللفظ ) وتفسير ( المعنى ).
وذلك لان حقيقة اهداف القرآن ورسالته تفرض ان يكون القرآن ميسرالفهم بوصفه كلاما دالا على معنى ( اي بحسب تفسير اللفظ ) ، وهو بهذا الوصف ميسر الفهم ، سهل على الناس استخراج معانيه .
وانـمـا الصعوبة هي في تحديد الصور الواقعية لتلك الموضوعات التي ترتبطبعوالم ارقى من عالم الحس الذي يعيشه الانسان او ببعض الوقائع والاحداث التاريخية التي لا يجد الانسان العادي سبيلا لـلـوصـول الـيـها ، وهذا هو ( تفسيرالمعنى ) ، ويكون من الطبيعي ــ حينئذ ــ ان تواجه الانسان الاعـتيادي صعوبات كبيرة اذا حاول تحديد المعنى في مصداق معين وتجسيد المفهوم الغيبي ــ مثلا ــفي الذهن وضمن واقع خاص .
ومن هنا تبرز امامنا في علم التفسير صعوبات ومهمات جديدة ، وهي محاولة تفسير المعنى الى جانب تفسير اللفظ.

## موضوع وبحوث علم التفسير :

بـعـد ان عـرفـنـا حـدود مضامين ومعنى كلمة التفسير ، بقي ان نشير وبشكل مختصر الى مجمل الموضوعات والبحوث التي تندرج تحت عنوان علم التفسير.

ان لـــلـــقـــرآن الـــكريم عدة اعتبارات وبالامكان ان يلحظ بعدة لحاظات مختلفة ، فتارة يلحظ بوصفه حروفا كتابية ترسم على الورق ، واخرى يلحظبوصفه اصواتا تقرا وتردد بالالسنة ، وثالثة يلحظ بوصفه كتابا نزل بشكل تدريجي متفرق وتم جمعه وترتيبه بعد ذلك ، ورابعة بلحاظ اعتباره كلاما للّه تبارك وتعالى له معنى وهكذا.

فهو باللحاظ الاول يقع موضوعا لعلم الرسم القرآني الذي يشرح قواعدكتابة النص القرآني .

وهو باللحاظ الثاني يقع موضوعا لعلم القراة وعلم التجويد.

وباللحاظ الثالث يقع موضوعا لعلم جمع القرآن واثبات نصه .

وهو باللحاظ الرابع يقع موضوعا لعلم التفسير.

فعلم التفسير : علم يشتمل على جميع البحوث المتعلقة بالقرآن بوصفه كلاما للّه تعالى له معنى ، ولا يدخل في نطاقه البحث في طريقة كتابة حروفه اوطريقة نطقها او جمعه ، وانما يدخل فيه ــ وفي ضوء ما ذكرناه ــ البحوث التالية :

١ ــ كـــل بـــحـــث يتناول شرح معاني المفردات القرآنية وبيان مضامينهاومفاهيمها ، سوا وردت على شكل كلمات او جمل او تراكيب .

٢ ــ الـــبحث عن ( اسباب النزول ) الذي الفت فيه كتب مستقلة ، وسمي في علوم القرآن باسم خاص به ، ولكن مع هذا يمكن درجه تحت عنوان ( علم التفسير ) ، لان اسباب النزول تشكل وبشكل عام قـــريـــنـــة لـــفـــهم القرآن بما هو كلام للّه تعالى ، ذو معنى نزل متناولا هذه الاحداث ومبينا لاسبابها وعلاجها.

٣ ــ بـــحـــث الاحـــكام الفقهية ، وكذلك بحث ( الناسخ والمنسوخ ) ، و ( الخاص والعام ) و ( المقيد والمطلق ).

٤ ــ بـــحـــث ( اعجاز القرآن ) ، ويتناول هذا البحث اثبات ان مضمون القرآن الكريم ــ بما هو كلام للّه تبارك وتعالى ــ مضمون فيه جانب الاعجاز والتحدي لقوانين الطبيعة التي عرفها الانسان .

فالاعجاز ــ اذن ــ صفة من اوصاف القرآن الكريم باعتباره كلاما دالاعلى المراد ، فبحثه اذن داخل ضمن بحوث علم التفسير ايضا.

٥ ــ الابحاث التي تتناول تاثير القرآن الكريم في حياة البشرية بشكل عام والمسلمين بشكل خاص ، هـــذه البحوث التي توضح ما قام به القرآن من دور في بنا الانسان وتكوين الامة الوسط ، ومرد هذا الـــتاثير الى فعالية القرآن الكريم بوصفه كلاما ذا معنى ، لا بوصفه مجرد حروف تكتب او اصوات تقرا.

واما ســـبب تسمية بعض الابحاث الداخلة في علم التفسير بعلوم خاصة كعلم الناسخ والمنسوخ ، او عـــلـــم اسباب النزول ، او احكام القرآن او اعجازه ،فان هذا ناشئ من اهتمام بعض الباحثين بها ، اذ اخـــذوا جانبا معينا من جوانب التفسير وحيثية من الحيثيات التفسيرية الخاصة ، موضوعا للبحث في علم التفسير ، وتبعا لهذا الاهتمام الخاص سمي ذلك العلم بعلم خاص مع كونه جزا من علم التفسير.

**ثانيا : التاويل**

وبـــعـــد هذا التعريف العام بعلم التفسير وبحوثه ، نتطرق الى كلمة يتداولهاعلما القرآن كثيرا وهي لـــفظة ( التاويل ) ، وقد وقع البحث في مدى نسبتها الى علم ( التفسير ) ، فهل هي مرادفة للفظة ( التفسير ) ،

ام هي مغايرة لها ؟ ام ماذا ؟.
ويوجد هنا اتجاهان رئيسان لدى علما التفسير في فهم هذه الكلمة :
الاول : وهو الاتجاه الذي يميل الى القول بان كلمة التاويل مرادفة لكلمة التفسير.
وهــذا الاتــجاه هو الاتجاه العام لدى القدما ، ومنه قول ( مجاهد ) ــ عندتفسير القرآن ــ بان العلما يــعــلــمــون تاويله ، وقول ابن جرير الطبري في تفسيره المعروف ( القول في تاويل قوله كذا ) ، الامر الذي يشعر بانه يتبنى هذا المبنى .
الثاني : وهو الاتجاه الذي يرى ان كلمة التاويل تختلف عن كلمة التفسيرفي بعض الحدود ، وهناك بعض الارا بخصوص تحديد الاختلاف في هذا الاتجاه ،وهي :

١ ــ الراي الاول :

وقــد لوحظ فيه طبيعة ( المجال المفسر ) ، اذ يرى بعضهم ان الاختلاف بين التاويل والتفسير هو اختلاف بين العام والخاص .
فــالــتــاويــل مختص في خصوص الكلام الذي له معنى ظاهر فيحمل على غيره فيكون هذا الحمل تاويلا.
واما التفسير فهو اعم منه لا نه بيان مدلول اللفظ مطلقا سوا كان على خلاف المعنى الظاهر او لا.

٢ ــ الراي الثاني :

وقد لوحظ فيه ( نوع الحكم ) فيقال بان ( التفسير ) يصدق على خصوص الموارداالتي نتمكن فيها مــن كــشف معنى القرآن المراد من الكلام القرآني بدرجة القطع ،وذلك باعتبار وجود الوضوح في نتيجة الكشف حتى لو كان هذا الكشف مستنداالى ادلة وقرائن اخرى غير اللفظ.
واما اذا بقي هناك احتمال ارادة معنى آخر وان كان هذا الاحتمال بدرجة ضعيفة فان بيان المعنى هنا هو تاويل لا تفسير.
وهذا يعني ايضا ان احكام ( المفسر ) احكام قطعية ، بينما تكون احكام ( المؤول ) احكاما ترجيحية .

٣ ــ الراي الثالث :

وهو الراي الذي يقول بالفرق بينهما على اساس الدليل والمستند الذي يستند اليه في عملية الكشف . فان كان دليل الكشف عن المعنى دليلا عقليا فهو ( التاويل ) وان كان الدليل على الكشف دليلا شرعيا فهو ( التفسير ).

الموقف الصحيح من هذه الارا :

والــموقف من هذه الارا هو ان البحث في التمييز بين التفسير والتاويل والنسبة بينهما ، تارة يدرس مــن زاوية اصطلاحية في ( علوم القرآن ) ، وحينئذيمكن قبول اي من هذه الارا الثلاثة السابقة ، لا نــه لا مــشاحة في المصطلحات ،اذ المصطلح هو عبارة عن لفظ يتواطا عليه العلما في عملية ( وضــع )

مــقــصــودة وضــمن اطار العلم المعين ووفق اهداف علمية صحيحة ، ولكل عالم الحق في تحديدما يريده مما وضعه من مصطلح وفق هذه الاهداف للتعبير عن مقاصده .

ولــكــن لو درسنا هذا البحث من زاوية اخرى وهي زاوية المدلول القرآني لهاتين الكلمتين باعتبار اســتخدامهما في القرآن الكريم ومن ثم لا بد من افتراض معنى قرآني مدلول معين لهما يراد الكشف عنه ، فحينئذ لا يكون هذا البحث بحثا( اصطلاحيا ) ، بل هو بحث ( موضوعي ).

وعلى هذا لا يصح اتخاذ المعنى الاصطلاحي لكلمة ( التاويل ) كمعنى وحيدللفظ بحيث نفهم كلمة ( التاويل ) على اساسه حتى وان جات في النص القرآني او النصوص النبوية .

وبمراجعة مجموع الايات القرآنية التي استخدمت فيها كلمة التاويل نجدان كلمة التاويل لا ترادف كــلــمــة التفسير ولا تعني مجرد الكشف والابانة عن المعنى ، بل تعني شيئا آخر وهو ما يؤول اليه الشي ، حيث وردت كلمة التاويل في القرآن في سبعة موارد :

١ ــ في سورة آل عمران :

( هو الذي ا نزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخرمتشابهات فاما الذين في قلوبهم زيــغ فــيــتــبعون ما تشابه منه ابتغا الفتنة وابتغا تاويله وما يعلم تاويله الا اللّه والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ) ((٩)) .

٢ ــ في سورة النسا :

( يــا ا يــها الذين آمنوا اطيعوا اللّه واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شي فردوه الى اللّه والرسول ان كنتم تؤمنون باللّه واليوم الاخر ذلك خيرواحسن تاويلا ) ((١٠)) .

٣ ــ في سورة الاعراف :

( ولــقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون # هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جات رسل ربنابالحق ) ((١١)) .

٤ ــ في سورة يونس :

( بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولــما ياتهم تاويله ) ((١٢)) .

٥ ــ في سورة يوسف :

( وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ) ((١٣)) .

٦ ــ في سورة الاسرا :

( واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تاويلا ) ((١٤)) .

٧ ــ في سورة الكهف :

( قال هذا فراق بيني وبينك سا نبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا ) ((١٥)) .

ويــراد من التاويل في جميع هذه الايات ــ كما قلنا ــ هو ما يؤول اليه الشي ،اذ لا توجد آية من هذه الايــات يحتمل فيها ان يكون معنى التاويل هو( التفسير ) ،سوى آية آل عمران ، وذلك لان التاويل فيها اضيف الى الايات المتشابهات .

ولهذا ذهب كثير من مفسري هذه الاية الى القول بان تاويل الاية هوتفسيرها وبيان مدلولها.

وتدل الاية ــ عندئذ ــ على عدم جواز تفسير الاية المتشابهة ، ومن ثم يبقى قسم من القرآن الكريم مستعصيا على فهم الانسان الاعتيادي ولا يعلمه الا اللّه والراسخون في العلم .

والـــصـــحـــيـــح : ان الذي حمل هؤلا المفسرين على هذا الراي هو انسياقهم مع المعنى الاصطلاحي لكلمة التاويل .

تاويل المتشابهات :

ولنا ان نتسال هنا ، هل كان هذا المعنى الاصطلاحي موجودا في عصرنزول القرآن الكريم ؟ وهل جات كلمة التاويل بهذا المعنى آنذاك ؟ اذ لا يكفي مجرد انسباق المعنى الاصطلاحي مع سياق الاية لتحمل الكلمة عليه .

وفي اكبر الظن ان كلمة التاويل حتى في آية سورة ( آل عمران ) يراد بهاما يؤول اليه الشي ايضا.

وعـــلـــى هذا يكون تاويل الايات المتشابهة ليس بمعنى بيان مدلولها وتفسيرمعانيها اللغوية ، بل هو ما تـــؤول الـــيـــه تلك المعاني ، لان كل معنى عام حينما يجسده العقل في صورة معينة تكون هذه الصورة تاويلا له .

وامـــا الـــذيـــن في قلوبهم زيغ فانهم كانوا يحاولون تحديد صورة معينة طبق ميولهم ورغباتهم وكما يريدون هم لمفاهيم الايات المتشابهة اثارة للفتنة ، وذلك لان كثيرا من الايات المتشابهة كانت معانيها مـــتـــعـــلـــقة بعوالم الغيب او بالاحداث والقضايا التاريخية والاجتماعية والانسانية ، فيكون تحديدها وتجسيدها في صورة ذهنية خاصة عرضة للخطر والفتنة .

والـــقرينة على ما نقول من نفس آية سورة آل عمران ، هي ان هذه الاية تفرض ان يكون لكل آية من الـــقرآن من المتشابهات منها معنى مفهوم من الناحية اللغوية لدى الناس ، وله ظهور لفظي لما يفهم من كـــلـــمـــة ( فيتبعون ما تشابه منه )فانه لو لم يكن له ظهور لفظي فلا يصدق على الاخذ باحد معانيه المحتملة الذي يتردد بينها اتباعا للكلام ، بل اتباعا للراي ، واما تشخيص مصداق المعنى الظاهرفي فرد معين ابتغا الفتنة فانه اتباع للكلام ولكن بقصد وهدف سي وهو الفتنة .

وعـــلـــى هذا الاساس يكون معنى التاويل في الاية المباركة هو ما اطلقنا عليه اسم (( تفسير المعنى )).

وعلى اساس هذا الفهم يمكننا استنتاج ما يلي :

١ ــ ان لـــفـــظـــة الـــتـــاويل جات في القرآن الكريم بمعنى ما يؤول اليه الشي لا بمعنى التفسير ، وقد اســـتخدمت بهذا المعنى للدلالة على تفسير المعنى لا تفسيراللفظ ، وعدم الانتباه الى هذا الامر هو الذي ادى الى حصول بعض الالتباسات عند بعض المفسرين .

٢ ــ ان معنى اللفظ في الايات المتشابهة مفهوم ، والا لما صدق لفظ( الاتباع ) في الاية المباركة ، اذ كـــيـــف يـــتبع لفظ لا معنى مفهوم له ، ثم كيف لا يكون معنى معين لبعض الالفاظ القرآنية وهي جز من القرآن الكريم الذي انزل لهداية الناس ولتبيان كل شي ؟ ٣ ــ ان اخـــتـــصـــاص اللّه ســـبحانه وتعالى والراسخين في العلم بتاويل الايات المتشابهة لا يعني ان الايات المتشابهة ليس لها معنى مفهوم وان اللّه وحده هوالذي يعلم بمدلول لفظها وتفسيرها ، بل يعني هـــذا ان اللّه والـــراسخين في العلم هم الذين يعلمون بالواقع والمصداق الحقيقي الذي تشير اليه تلك المعاني ويستوعبون حدوده وكنهه .

وفي خاتمة بحث كلمة التاويل الموضوعي يمكننا ان نضيف معنى رابعا الى كلمة التاويل ــ اضافة الى مـــجـــموعة المعاني الاصطلاحية السابقة ــ ونقول : بان معنى التاويل هو ( تفسير المعنى ) ، وبذلك

نـــتعرف العلاقة بين كلمتي التفسيروالتاويل ، فان كلمة التفسير تعني تفسير اللفظ ، وكلمة التاويل تعني تفسير المعنى .

شروط التفسير

المقدمة الثانية .

الخلفية الفكرية والعقائدية للمفسر

نـــقصد بشروط التفسير الاسس والمتبنيات الفكرية والعقائدية التي لا بد ان يقوم عليها التفسير من اجل ان يكون تفسيرا صحيحا للقرآن الكريم .
اذ لا يمكن للمفسر ان يدخل في عملية التفسير من دون ان تكون له متبنيات عقائدية وفكرية مسبقة قائمة على اساس صحيح من العقائد مستمد من القرآن الكريم ، والا تعرض الى كثير من الانحرافات والفهم الخاطئ للقرآن الكريم .
وقـــد فـــرزنـــا هذا البحث عن بحث ( شروط المفسر ) باعتبار ان تلك الشروطهي الادوات التي يحتاجها المفسر في عملية التفسير ، ولان هذا البحث يعنى بالحالة الفكرية والعقائدية التي يجب ان يقوم عليها التفسير قبل شروع المفسربعملية التفسير.
وهنا عدة مفردات :
.

الاولى : الذهنية الاسلامية

. لا بـــد لـــلمفسر الذي يريد ان يفسر القرآن الكريم ان يفسره بـــ ( ذهنية اسلامية ) ، ومعنى ذلك ان يـــكـــون لـــدى هـــذا المفسر مجموعة من التصورات الاساسية يعتمد عليها الاسلام وترتبط بالقرآن الـــكـــريم وتشكل الاطار العام للتفسير الذي من خلاله يتمكن المفسر من الوصول الى نتائج صحيحة في عمله التفسيري .

القرآن وحي الهي :

واحد هذه التصورات الاساسية مثلا هو ان يكون معتقدا بان القرآن هووحي الهي وليس نتاجا بشريا ، فـــالـــبـــاحـــث الـــذي يـــتعامل مع القرآن على اساس ا نه وحي من اللّه يتمكن من تفسير مجموعة من الـــظواهر التي يجدها فيه بشكل يختلف عن تفسير ذلك الباحث الذي يتعامل معه على اساس ا نه نتاج بشري لشخص رسول اللّه ٩.
وعـــلـــى ســـبـــيل المثال ، فان القرآن قد اقر مجموعة من الاعراف في العصرالجاهلي كان يمارسها الـــجـــاهـــلـــيون ، من قبيل ( الحج ) الذي كان موجودا قبل الاسلام ، اذ كان العرب يقصدون ( البيت الحرام ) في موسم الحج ويقفون في ( عرفات ) ويجتمعون في ( منى ) ويسعون بين ( الصفا ) و (

الـــمـــروة ) ويطوفون بالبيت الحرام ،وبتعبير آخر : ا نهم كانوا يؤدون مجمل الشعائر التي سميت بعد ذلك بشعائر الحج والتي اقرها الاسلام ايضا ((١٦)) .

او مـــن قبيل اقراره ( لعدة الوفاة ) ((١٧)) التي كانت تمارسها النسا في الجاهلية مع تغيير في مدة هذه العدة .

ان تفسير مثل هذه الاقرارات سوف يختلف باختلاف ذهنية المفسر لامحالة ، فالذي يرى ان القرآن الـــكريم جهد بشري ونتاج لرسول اللّه ٩ يفترض ان الرسول ٩ قد تاثر وانفعل بهذه الاعراف ، وا نه اراد ان ينسجم معهاولا يعارضها ابتدا ، حتى يتمكن من ان يؤثر في المجتمع آنذاك ويصلحه .

واما لو نظرنا الى القرآن الكريم بنظرة اسلامية صحيحة قائمة على اساس ا نه وحي الهي لا يمكن ان يـــنفعل او يتاثر بالحالة الاجتماعية القائمة آنذاك ، فحينئذلا يمكن ان تفسر مثل هذه الظاهرة با نـــهـــا عـــملية انفعال من قبل الرسول ٩بتلك الاعراف ، بل لا بد وان ندرك ان القرآن الكريم وان جا لتغيير المجتمع الجاهلي ولكنه اقر الاوضاع الانسانية التي تكون منسجمة مع الفطرة البشرية ،او التي بقيت من التراث الالهي الذي عرفته الانسانية قبل الاسلام .

ووجد في مثل هذه الاعراف ما ينسجم مع الفطرة واهداف الدين الجديد ،والاسلام هو دين الفطرة الانسانية :

( فطرة اللّه التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق اللّه ذلك الدين القيم ) ((١٨)) .

وهـــنـــاك ظـــاهـــرة اخرى قائمة في القرآن الكريم هي ظاهرة اعترافه بالديانات السابقة وتصديقها واقراره لكثير من الاحكام التي كانت موجودة فيها.

فاذا اردنا ان نفسر هذه الظاهرة وفق الذهنية الصحيحة التي ترى في القرآن الكريم وحيا الهيا فاننا نـــقول : بان القرآن الكريم هو وحي الهي ، وماجات به الديانات السابقة هو وحي الهي ايضا ، وعلى هذا فان الاعتراف بهاوالانسجام الموجود بينها امر طبيعي وذلك لوحدة مصدرها.

غـــايـــة ما في الامر ان الاسلام يمثل الديانة الخاتمة التي جات في مرحلة تكامل الانسانية ولا بد ان تكون مضامينه مضامين تامة ومكملة للمضامين السابقة ، وهذا ما اشار اليه القرآن الكريم :

( نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل ) ((١٩)) .

( وا نزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل اللّه ولا تتبع اهواهم عما جاك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شا اللّه لجـــعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى اللّه مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ) ((٢٠)) .

اما اذا فسرت هذه الظاهرة وفق وجهة النظر الاخرى الباطلة فانه يمكن ان يقال بان الرسول ٩ قد تـــاثـــر بـــكتب الرسالات السابقة كالتوراة والانجيل ،ويفترض ان النبي ٩ قد اطلع عليها بشكل من الاشكال .

وقـــد اشير الى هذه الشبهة الباطلة منذ الصدر الاول للاسلام وورد ذكرهافي القرآن الكريم على لسان الكافرين :

( يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين ) ((٢١)) .

( ولقد نعلم ا نهم يقولون انما يعلمه بشر ) ((٢٢)) .

وخـــلاصـــة الـــقـــول : انه لا بد للمفسر من ان يكون على وضوح من الصورة والاطار الذي يفسر به القرآن الكريم ، وان هذه الصورة هي صورة الوحي الالهي ، وان هذا الاطار هو اطار نسبة القرآن

الــكريم الى اللّه سبحانه وتعالى ،وعلى ان القرآن ليس نتاجا وجهدا بشريا ، ومن خلال هذا وحده يــتمكن من الوصول الى نتائج صحيحة في تفسيره للقرآن الكريم ولما ذكرناه من الظواهرالقرآنية ولــمــا لــم نذكره منها ، والا انحرف كما انحرف كثير من المفسرين الاسلاميين الذين وقعوا تحت تاثير المستشرقين وطبيعة تفكيرهم .

.

## الثانية : التصور العام عن القرآن

. ان يــكــون لــدى الــمفسر تصور عام عن القرآن الكريم وكيفية نزوله والاسلوب الذي اتبعه في ( عــملية التغيير ) ومنهجه في طرح القضايا والاحداث من قبيل ان يعرف المفسر ( اجمالا ) ان في الــقــرآن الــكريم ناسخا ومنسوخا ، فان هذه الفكرة ذات اثر كبير في فهم القرآن وامكانية تفسير بعضه ببعض .

وان يــنظر الى القرآن الكريم على ا نه يمثل وبمجموعه نصا واحدا ، وان بعضه يشكل قرينة على بــعــضه الاخر ، ففيه ( المطلق والمقيد ) وفيه ( المجمل والمبين )وفيه ( المحكم والمتشابه ) وان القرآن الكريم وان نزل بشكل تدريجي وخلال ثلاث وعشرين سنة ، الا ان هناك قرائن عديدة تــدل عــلى ان هذا الشي الذي نزل بشكل تدريجي يشكل وبمجموعه قضية واحدة وكلاما واحدا ، وان بعضه يكمل الاخر ويوضحه .

فــقــد اكــد ائمة اهل البيت : كثيرا اهمية هذا الموضوع في تفسير القرآن الكريم ووجهوا انتقادا شديدا لمجموعة المفسرين الذين كانوا يتعاملون مع القرآن الكريم من دون الالتفات الى هذه الرؤية العامة للقرآن .

فــقــد ورد عــن الــصادق ٧ في حديث احتجاجه على الصوفية لما احتجواعليه بيات من القرآن في الايــثار والزهد قال : الكم علم بناسخ القرآن ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه الذي في مثله ضل من ضــل ، وهــلــك ومــن هــلك من هذه الامة ؟ قالوا او بعضه : فاما كله فلا فقال لهم : فمن ههنا اتيتم ، وكــذلــك احــاديــث رسول اللّه ٩ ــ الى ان قال : ــ فبئس ما ذهبتم اليه وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب اللّه وسنة نبيه ٩ واحاديثه التي يصدقها الكتاب المنزل وردكم اياها لجهالتكم وترككم النظر في غريب القرآن من التفسير والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والامر والنهى ــ الى ان قال : ــ دعوا عنكم ما اشتبه عليكم مما لا علم لكم به ، وردوا العلم الى اهله توجروا وتعذروا عند اللّه ، وكونوافي طلب ناسخ القرآن من منسوخه ، ومحكمه من متشابهه ، وما احل اللّه فيه ممــاحرم ، فانه اقــرب لكم من اللّه ، وابعد لكم من الجهل ، دعوا الجهالة لاهلها ، فان اهل الجهل كثير ، واهل العلم قليل ، وقد قال اللّه : ( وفوق كل ذي علــم عليم ) ((٢٣)) .

ومــا رواه ابــان بن ابي عياش عن سليم بن قيس الهلالي قال : قلت لاميرالمؤمنين ٧ : اني سمعت من ســلــمان والمقداد وابي ذر شيئا من تفسير القرآن واحاديث عن النبي ٩ غير ما في ايدي الناس ، ثم ســمــعــت مــنــك تــصــديــق مــاسمعت منهم ، ورايت في ايدي الناس اشيا كثيرة من تفسير القرآن ، واحاديث عن نبي اللّه ٩ انتم تخالفونهم فيها وتزعمون ان ذلك كلة باطل ، افترى الناس يكذبون على رســول اللّه ٩ مــتــعمدين ؟ ويفسرون القرآن برائهم ؟ قال : فاقبل علي ٧ ثم قال : قد سالت فافهم

الـــجـــواب : ان فـــي ايـــدي الـــنـــاس حقا وباطلا ،وصدقا وكذبا وناسخا ومنسوخا ، وعاما وخاصا ، ومحكما ومتشابها ، وحفظاووهما ، وقد كذب على رسول اللّه ٩ على عهده حتى قام خطيبا وقال : ايهاالناس قد كثرت علي الكذابة فمن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار ، ثم كذب عليه من بعده ، وانما اتاكم الحديث من اربعة ليس لهم خامس : رجل منافق يظهر الايمان متصنع بالاسلام ، لا يتاثم ولا يـــتـــجـــرح ان يـــكذب على رسول اللّه٩ ــ الى ان قال : ــ ورجل سمع من رسول اللّه ٩ شيئا لم يـــســـمـــعه على وجهه ،ووهم فيه ، ولم يتعمد كذبا ، فهو في يده ، يقول به ، ويعمل به ، ويرويه ، فـــيـــقول : اناسمعته من رسول اللّه ٩ فلو علم المسلمون ا نه وهم لرفضوه ، ولو علم هو ا نه وهم لـــرفضه ، ورجل ثالث سمع من رسول اللّه ٩ شيئا امر به ثم نهى عنه وهو لايعلم ، او نهى عنه ثم امر به وهو لا يعلم فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ ، فلوعلم ا نه منسوخ لرفضه ، ولو علم الناس اذ سمعوه منه ا نه منسوخ لرفضوه ، وآخررابع لم يكذب على رسول اللّه ٩ ، مبغض للكذب خوفا مـــن اللّه وتـــعـــظـــيمالرسول اللّه ٩ ، لم يسه ، بل حفظ ما سمع على وجهه ، فجا به كما سمعه ، لم يزدفيه ولم ينقص منه ، وعلم الناسخ من المنسوخ ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ ،فان امر النبي ٩ مثل القرآن ، منه ناسخ ومنسوخ ، وخاص وعام ، ومحكم ومتشابه ، وقد كان يكون من رسول اللّه ٩ الكلام له وجهان ، وكلام عام وكلام خاص مثل القرآن ــ الى ان قال : ــ فما نزلت على رسول اللّه ٩ آيـــة مـــن القرآن الا اقراينها واملاها علي ، فكتبتها بخطي ، وعلمني تاويلها وتفسيرهاوناسخها ومـــنـــســـوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وخاصها وعامها ، ودعا اللّه لي ان يعطيني فهما وحفظا ، فما نسيت آية من كتاب اللّه ولا علما املاه علي واثبته الحديث ((٢٤)) .

## الثالثة : العقيدة الصحيحة

ان تكون المتبنيات العقائدية للمفسر متبنيات عقائدية ( صحيحة ) ((٢٥)) . والـــمـــقـــصـــود مـــن الـــعـــقـــيدة الصحيحة هي تلك العقيدة التي تنتهي في سلسلة مراتبها وارتباطاتها واستنباطها الى القرآن الكريم نفسه .

فـــتصبح هذه العقيدة ــ والتي هي قرينة على فهم المضامين القرآنية ــ نابعة من القرآن الكريم ذاته ، ومن ثم لن نخرج في تفسيرنا عن حدود نفس القرآن الكريم .

فـــصـــحـــة العقيدة وعدم صحتها لا يمكن ان نفهمها وبشكل مستقل عن القرآن الكريم نفسه ، حيث لا تـــصـــلـــح ــ عندئذ ــ لان تكون قرينة مفسرة للقرآن الكريم واما اذا كانت مستنبطة من القرآن نفسه امكن ان تكون قرينة على فهم النص القرآني لان القرآن يفسر بعضه بعضا.

وحينئذ ، لا يكون قولنا بان مثل هذه العقيدة تشكل قرينة على فهم القرآن قولا غير منطقي لا ننا لا نفرض شيئا على القرآن من خارجه ، بل اخذناه منه وجعلناه قرينة على فهمه .

امـــا عـــندما تكون العقيدة المتبناة ليست مستنبطة من القرآن الكريم بل من ادلة وبراهين اخرى غير مـــرتبطة به ، فاضافة الى ان هذه العقيدة قد لا تكون صحيحة بنفسها فانها لا تصلح لان تكون قرينة عـــلـــى فـــهـــم الـــقـــرآن ، بـــل تكون تفسيرا له بالراي ، خصوصا مع الاخذ بنظر الاعتبار ان مجمل الـــمـــوضـــوعـــات الـــمـــرتـــبـــطـــة بالمعارف الاسلامية موجودة في القرآن الكريم ، ومنها ما ارتبط بـــجـــانـــب العقيدة كمفاهيم التوحيد والنبوة بمعناها الشامل اي ( الامامة ) ، وكذلك عالم الغيب والدار الاخرة وحياة الانسان وحركته الاجتماعية والتكاملية والسنن المؤثرة في تطوره ، اذ لا يمكن ان نـــفـــتـــرض ان هناك فكرة لها ارتباط في حياة الانسان ومصيره ، ومن ثم لها علاقة بفهم اعظم نص وهـــو الـــقـــرآن الـــكريم لا تكون موجودة فيه ، بل لا بد وان تكون مثل هذه الافكار موجودة فيه ، ويمكن استنتاجها منه وبشكل طبيعي ، لقوله تعالى :

( ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي ) ((٢٦)) .

ولان هـــذا هو معنى كون القرآن هداية للناس ، وحينئذ فان ما اخذ من هذه المفاهيم من القرآن نفسه يمكن ان يشكل قرينة وخلفية ذهنية لفهمه .

## التدبر والتفسير بالراي :

ومـــن خـــلال هذا الفهم للتفسير والخلفية الذهنية التي يجب ان يتمتع بهاالمفسر ، يمكن ان نميز بين الـــتـــفسير الصحيح الذي يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية الذي يمكن ان نطلق عليه اسم (( عملية التدبر )) ، وبين التفسير الباطل الذي يطلق عليه اسم (( التفسير بالراي )).

وهـــذا الـــموضوع من القضايا ذات البعد التاريخي الذي يرجع الى عهدالرسول ٩ ، فقد ورد عنه ٩ النهي عن التفسير بالراي ، فعنه ٩ :

(( من فسر القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار )) ((٢٧)) .

ولعل الاية الكريمة : ( فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاالفتنة ) ((٢٨)) تشير الـــى احـــد مـــصـــاديـــق هذا النوع من التفسير ايضا ، اضافة الى عدد كبير من الاحاديث الواردة عن المعصوم ٧ والمروية من طرق الفريقين والتي تدل على هذا المعنى ((٢٩)) .

ومـــن اجـــل تـــوضـــيـــح المقصود من التفسير بالراي الذي يعتبر امرا مهما ،يحسن بنا ان نبحث هذا الموضوع .

## احتمالات التفسير بالراي :

هـــنـــاك احـــتـــمالات ثلاثة في معنى ( التفسير بالراي ) الذي يكون موضوعالذاك النهي الوارد عن الـــمـــعـــصـــوم ٧ في روايات متواترة في مضمونها ( بالتواترالاجمالي ) لا بد من تمحيصها ، وهذه الاحتمالات الثلاثة هي :

الاول : ان المراد من التفسير بالراي هو ان يفسر الانسان النص القرآني اعتمادا على رايه وذوقه الشخصي في مقابل الفهم العام للقرآن المتمثل بالظهورالعرفي والذي يعتمد على القرائن السابقة .

وتوضيح ذلك ان علما الاصول يذكرون ان ظهور الكلام يمكن ان يكون على نحوين :

١ ــ الظهور النوعي :

وهــو ان يــكــون ظــهور الكلام ظهورا قائما لدى العرف العام ويفهمه ( نوع الناس )وعامتهم على اساس القواعد العامة للغة واساليب الخطاب .

٢ ــ الظهور الشخصي :

وهــو الــفهم الذي يختص به شخص ما من الناس والذي يعتمد عادة على الظروف الذهنية والنفسية والــذوقية لذاك الانسان ، حيث تجعله تحت تاثيرات معينة بحيث يفهم من الكلام معنى خاصا لا يفهمه غيره من الناس .

وهذا النحو من الفهم للقرآن الكريم ــ وهو الفهم الشخصي له والمعتمدعلى الظهور الشخصي لدى الــمــفــســر ــ هو تفسير للقرآن بالراي وهو التفسير المنهي عنه ، مثل تفسير المتصوفة او بعض اصــحــاب الــعــقــائد الفاسدة الذين لهم ذهنيات ومصطلحات خاصة تكونت ضمن ثقافتهم ، ويفسرون القرآن على اساس تلك التصورات والمصطلحات .

وهــذا الــنــحــو مــن الــتــفسير يختلف تماما عن فهم القرآن وتفسيره اعتماداعلى الخلفية الذهنية والــعــقــائدية الصحيحة للمفسر ، لان هذا التفسير تفسير معتمدعلى راي شخصي ووفق ظروف الشخص واوضاعه ، واما ذاك فهو راي وفهم للقرآن الكريم بقرينة العقيدة الصحيحة الماخوذة من القرآن ذاته كما ذكرنا سابقا.

الثاني : ان يكون النهي الوارد على لسان الرسول ٩ عن التفسيربالراي هو كمعالجة لظاهرة برزت فــي زمــن الرسول ٩ في تفسير القرآن وبشكل محدد ، ثم تطورت وبشكل واسع حتى تكونت على اساسها مدارس في المجتمع الاسلامي .

حــيــث ورد الــنــهي آنذاك عن البحث في تفسير الايات العقائدية او التاريخية تاثرا بالديانات السابقة وفــلــسفاتها وتاريخها ، كاليهودية والنصرانية والبوذية وغيرها ، الامر الذي ادى الى ابتعاد بعض المسلمين عن المفاهيم القرآنية .

ونــتيجة لذلك ، فقد حاول بعض المسلمين الاوائل ان يفرضوا مثل هذه الارا على القرآن ويفسروه بــهــا عــلى خلاف مضمونه ومعناه الصحيح متاثرين في ذلك بالمتبنيات الذهنية والفكرية والعقائدية المسبقة على القرآن :

( وقد كان فريق منهم يسمعون كلام اللّه ثم يحرفونه ) ((٣٠)) .

( يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ) ((٣١)) .

ولا شك ان هذا النوع من التفسير يختلف عن تفسير القرآن على اساس العقائد المستنبطة من القرآن نفسه .

الــثالث : وهو المعنى الذي ينسجم مع معنى ( الراي ) في ( مدرسة الراي )في الفقه الاسلامي ففي الفقه الاسلامي يوجد اتجاهان في ( الاستنباط ) :

احــدهــمــا : الاتــجــاه الذي يعتمد في الاستنباط وفهم الحكم الشرعي على القرآن وسنة المعصوم ٧ ((٣٢)) باعتبارهما المصدرين الاساسيين ، واليهما يرجع ( العقل ) و ( الاجماع ) ايضا.

ثانيهما : اعتماد الفقيه في استنباط الحكم الشرعي اذا لم يجد نصا يدل عليه في الكتاب والسنة على ( الاجتهاد ) و ( الراي ) بدلا من النص ، و( الاجتهاد ) هنا يعني الراي الشخصي للفقيه ، مثل القياس والاستحسان والمصالح المرسلة وغيرها.
وحينئذ يكون ( الاجتهاد ) دليلا من ادلة الفقه ومصدرا من مصادره اضافة الى الكتاب والسنة .
وقد نادت بهذا المعنى للاجتهاد مدارس كبيرة في الفقه السني ، وقامت منذاواسط القرن الثاني مدرسة فقهية كبيرة كانت تحمل اسم مدرسة (( الراي والاجتهاد )) ، حيث انه لم يصح لدى ابي حنيفة صاحب هذه المدرسة الا عددمحدود من الاحاديث ، قيل : انها دون العشرين .
وقد انتقد ائمة اهل البيت : هذه المدرسة واتجاهها انتقادا شديدا.
وقد يشكل هذا الانتقاد الشديد للائمة : قرينة على ان المراد من ( التفسير بالراي ) المنهي عنه هو ( الراي ) في هذه المدرسة باعتبار ا نها تشكل اتجاها خطيرا في الفقه الاسلامي لا من ناحية النتائج التي انتهت اليها فقهيا فقط ،وانما باعتبار الاتجاه والطريق الخاطئ الذي انتهجته في عملية الاستنباط والمعتمدبالاساس على القياس والاستحسان والمصالح المرسلة والظنون وما اشبه ذلك من قضايا مرجعها الى الراي ، وتنتهي في نهاية المطاف الى انحراف خطير في فهم القرآن والسنة ((٣٣)) .
وعلى هذا الاساس كان النقد الذي وجهه اهل البيت : الى هذا الاتجاه اكبر من نقد المذاهب الفقهية الاخرى والتي لم تلتزم بهذا الطريق الخطير في عملية الاستنباط ، وان كانت نتائجها غير صحيحة ايضا.
وحينئذ قد يراد من التفسير بالراي هذا النوع من الراي وهو : الاعتماد في فهم المضامين القرآنية على الذوق والاستحسان ، فيرى ان هذا النوع من المضمون هو الاقرب الى النفس اكثر من غيره .
وفرق هذا الراي عن الراي الاول هو ان الحالة الذاتية كان لها دور في فهم ( تفسير اللفظ ) في الراي الاول ، بينما كان لها دور في فهم و ( تفسير المعنى ،وتشخيص المصداق ) بنا على هذا الراي .
وعلى هذا الاساس نعرف الموقف من بعض المحاولات التفسيرية الحديثة ،حيث نجد ان كثيرا من المفسرين وقع في خطا حينما فسروا بعض مفاهيم القرآن متا ثرين بكثير من القضايا في الحضارة الغربية التي انشات في انفسهم استحسانات معينة ، ففسروا آية الشورى مثلا تفسيرا يجعل مفهوم الشورى في الاسلام مطابقا لمفهوم ( الديمقراطية ) : الانتخابات البرلمانية الغربية وهكذا.
ان هذا النوع من الاستحسان والقياس والاعتماد على الجانب الشخصي في تفسير ( المعنى ) هو في الواقع من تفسير القرآن بالراي ، ومن ثم يكون واقعافي طريق النهي الوارد بخصوص التفسير بالراي .

## الفرق بين التدبر والتفسير بالراي :

وهذا الاحتمال الثالث لا يكون متضاربا مع ما ذكرناه من صحة تفسيرالقرآن اعتمادا على الخلفية العقائدية الصحيحة ، لان هذه العملية ليست عملية استحسان وقياس او ميولا وظنونا شخصية ، وانما هي تصورات عقائدية ماخوذة من القرآن الكريم ومفاهيمه .
وقد حاول بعض الاتجاهات التفسيرية ان يعطي لقضية ( التفسير بالراي )ومفهوم ( الراي ) دائرة اوسع ، بحيث تشمل كل جهد يمارسه الانسان الباحث والمفسر العالم في فهمه للقرآن الكريم ، ويفترض بان

هذه النتائج هي ( راي ) لا نه انتهى اليه من خلال جهده ونظره ومن ثم يكون مصداقا لذلك الحديث : (( من فسر القرآن برايه فقد هوى )).

وبهذه الطريقة يحاول هذا ( البعض ) ان يعطل البحث في القرآن الكريم وتفسيره ، ويقول بان الشي الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه في تفسير القرآن الكريم انما هو النصوص الواردة عن المعصومين :

وقد استند هذا الاتجاه على بعض النصوص المروية عن اهل البيت :والتي حاول ان يفهمها اصحاب هذا الاتجاه على ا نها تمنع من ممارسة التفسير ما لم يعتمد على النصوص الواردة عن المعصومين : ((٣٤)) .

ولعل من الاثار التي تركها وجود هذا النوع من التفكير في مدرسة اهل البيت : هو عدم تطور حركة التفسير في هذه المدرسة تطورا يناسب التطورات المهمة في المجالات الاخرى لهذه المدرسة المعطاة ذات المستوى العالي ، والذي يمكن ملاحظته من خلال ما وصلت اليه بحوث علم الفقه والحديث والاصول والكلام فيها ، بل بقي التفسير فيها مواكبا للحركة العامة للتفسير لدى المسلمين .

الا ان هذا الفهم للتفسير بالراي فهم خاطئ ، وهناك مجموعة من الادلة والبراهين تشير الى عدم صحته ، كما ان هناك طريقين يمكن اتباعهما لاثبات ذلك ، وهما :

اولا : البحث في الروايات والنصوص الواردة في موضوع التفسير بالراي تفصيلا ، حيث نتوصل من خلال ذلك الى ان ما ذكر فيها لا ينطبق على هذاالمفهوم الواسع المذكور للتفسير بالراي ، وهذا البحث نؤجله الى بحث المحكم والمتشابه في الابحاث التفسيرية .

ثانيا : الرجوع الى مجموعة القرائن والادلة والشواهد الموجودة في الكتاب والسنة الشريفة ، مما لا يمكن ان ينسجم مع افتراض ان يكون ( الراي ) المقصودبهذه الروايات هو هذا المعنى ( الواسع ) الشامل لحالة الجهد الشخصي الذي يتخذمسيرا صحيحا ، وينتهي الى راي تفسيري معين ، حتى وان لم يكن هذا التفسيرمرتبطا بالرواية عن المعصومين : ، ومن هذه القرائن والادلة ما يلي :

الدليل الاول :

ما ورد من الايات القرآنية المؤكدة ان القرآن الكريم قد نزل بلسان عربي مبين ،وا نه نور وهدى للعالمين ، وا نه فيه تبيان كل شي ، كقوله تعالى :

( لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ) ((٣٥)) .

( قد جاكم من اللّه نور وكتاب مبين ) ((٣٦)) .

( وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشا من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم ) ((٣٧)) .

( ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ) ((٣٨)) .

( ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي ) ((٣٩)) .

فان هذه الايات وآيات كثيرة وان جات بالسنة ومضامين متعددة ولكنها كلها تصب في مصب واحد وهو : ان القرآن الكريم وبحسب طبيعته يمكن ان يتفاعل معه الانسان العادي ، ويشكل القرآن

حـــينئذ مصدر الهداية ويكون تبيانا لكل شي ، مما يدل على امكانية فهم الكثير من المضامين والمعاني والـــهداية والنور الموجود فيه وبشكل مباشر ، ولا يكون هذا الفهم من التفسير بالراي حتى اذا كان بـــدون الاســـتناد الى رواية او حديث معين ، وانما نتيجة لجهد الانسان الشخصي من خلال مراجعته لمجموعة المعلومات والقرائن المتوفرة عنده .

وتـــاكيد القرآن ا نه ( لسان عربي مبين ) يؤكد هذه الحقيقة ، اذ ان هذه الابانة لا يمكن ان تفترض في كتاب لا يمكن فهمه الا بالرجوع الى الروايات الموجودة في كتب الحديث ، لان الابانة حينئذ لا تـــكـــون ــ فـــي الـــواقع ــ ابانة للقرآن الكريم بل للاحاديث ، وهي التي ستكون ( المبين ) وهذا هو خلاف الافتراض في ان القرآن بنفسه فيه حالة الابانة والتوضيح والهداية .

خـــصـــوصـــا وان هذه الابانة احيانا تنسب الى النص القرآني من قبيل قوله تعالى : ( لسان عربي ) ، واللسان يعبر عن حالة النص والجانب المرتبط باللفظلا الجانب المرتبط بالمضمون .

ولـــذا فـــلا مـــجـــال لادعـــا ان هذا المضمون القرآني لا نفهمه الا من خلال الروايات عن الائمة : ، وحينئذ يكون مبينا بعد فهمه من خلال الروايات .

نـــعـــم تـــكـــون هذه الروايات شارحة ومفسرة للقرآن ولا بد من الرجوع اليهاعند وجودها وتوفر الـــشـــروط الـــموضوعية الصحيحة فيها ، وعند فقدانها يمكن الاعتماد على النص القرآني مباشرة لفهمه وتفسيره .

**الدليل الثاني :**

وهو ما ورد في آيات الحث على التدبر والتامل ، وفهم القرآن واخذ معانيه والاهتدا بهديه ، كقوله تعالى :

( افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ) ((٤٠)) .

( كتاب ا نزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب ) ((٤١)) .

( ا فلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه اختلافاكثيرا ) ((٤٢)) .

وهـــذه الايـــات تـــخـــتـــلف من حيث المضمون عن تلك الايات التي تشير الى وجود النور والهدى في القرآن الكريم ، وذلك لاحتوائها على امر المسلمين بالتدبروالتفكر في معاني ومفاهيم القرآن .

ومثل هذه الاوامر تكون اوامر لا فائدة منها لو فرضنا بان القرآن الكريم لا يمكن ان يفهم مباشرة الا بـــالاســـتـــعـــانـــة بالروايات والاحاديث الشريفة ،خصوصا وان هذه الروايات لم تات الا في عصور متاخرة .

**الدليل الثالث :**

الروايات المتواترة عن الائمة : والتي وردت في مرجعية القرآن للروايات وطلب عرض اخبارهم وكـــذلـــك الـــشـــروط الـــتي تشترط في ( العقود ) و( المعاملات ) على القرآن من اجل معرفة ان مضمون هذا الشرط او الخبر هل هومنسجم مع الشريعة ام لا ؟، فعن الصادق ٧ :

(( ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف )) ((٤٣)) .

وعنه ٧ :

(( الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة ، ان على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نورا ، فما وافق كتاب اللّه فخذوه وما خالف كتاب اللّه فدعوه )) ((٤٤)) .

(( وكل شرط خالف كتاب اللّه فهو رد )) ((٤٥)) .

(( فاذا كان شرط يخالف كتاب اللّه فهو رد الى كتاب اللّه عز وجل )) ((٤٦)) .

بحيث جعلوا : القرآن الكريم ميزانا وفرقانا لمعرفة الشرط الصحيح من غيره والاخبار الصحيحة مضمونا من غيرها.

وهذا لا يمكن ان يتم الا بافتراض امكانية فهم النص القرآني والتفاعل معه بشكل مباشر ، وافتراض صحة هذا التعامل والنتائج التي يتوصل اليها حتى وان احتيج في هذا الى اعمال نظر وبذل جهد ، كما ان فـي هـذا الامر دلالة على ان الروايات نفسها تحتاج الى ان يؤيد النص القرآني مضامينها ، فكيف يمكن حصرطريق فهم النص القرآني بها فقط ؟ وهذا الامر من الامور الواضحة جدا عند مدرسة اهل البيت : ، بل عند المسلمين جميعا.

## الدليل الرابع :

هـو الـسيرة الواضحة والمتواترة للائمة : في تعليمهم المسلمين في ان ياخذوامن القرآن الكريم مباشرة .

فقد ورد في كثير من احاديث الائمة : استشهادهم على الاحكام التي يصدرونها بية قرآنية ، مما يدل على امكانية فهم هذا الحكم وبشكل مباشر من الاية القرآنية ، اذ لو كان النص القرآني مغلقا لما كان لهذا الاستشهاد معنى ولكان على الامام ٧ ان يقول : انا افهم من الاية هكذا.

فقد ورد عن الامام ٧ مثلا :

(( يعرف هذا واشباهه من كتاب اللّه ( هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ) ((٤٧)) .

فقد استشهد الامام ٧ بهذه الاية في مقام استنباط حكم شرعي من قاعدة كلية وهي قاعدة ( لا حرج ).

وقد علم الامام ٧ السائل كيف يستنبط هذا ( الحكم ) من تلك ( القاعدة ) الكلية .

وهـذا مـعـناه ان هذه الاية المباركة : ( وما جعل عليكم في الدين من حرج ) ،يمكن ان يفهمها هذا الانسان وبشكل مباشر ، مما يدل على صحة فهم المعنى من النص القرآني مباشرة ، وان اعتمد على جهد الباحث .

وخـلاصـة الـقـول : ان ( الـتـفسير بالراي ) المنهي عنه قد يشتمل على احدالاحتمالات الثلاثة الـمذكورة سابقا ، وليس لهذا علاقة بقضية التدبر في القرآن وفهم معانيه والتي تؤدي بالانسان الى الـهـداية والى الصراط المستقيم ((٤٨)) ، الامرالذي امر القرآن الكريم نفسه بهذا التدبر ، كما قراناه في الايات السابقة .

.

## المقدمة الثالثة

.

## في شروط المفسر

المقصود من شروط المفسر هي المواصفات الروحية والنفسية والاخلاقية والعلمية التي يجب ان يتصف بها المفسر الذي يتناول تفسير القرآن الكريم .
وسوف نتناول هنا خصوص الخلفية العلمية للمفسر ، ونقصد بهذا ما يجب ان يتصف به المفسر من مجموعة العلوم المرتبطة بعلم التفسير والتي يعتمد عليهافي استنباط المعنى من خلال القرآن ، وبتعبير آخر ما يمكن ان نسميه ايضابوسائل الاثبات .
.

## الخلفية الروحية

اما ما يتعلق بالخلفية النفسية والروحية التي يجب ان يتصف بها المفسرفانها امر اخلاقي ، وهذا الامر وان كان امرا له تاثير مهم جدا في فهم القرآن الكريم الا انه غير ملموس ، ولذا لم نذكره كشي مستقل .
فان الحالة الروحية الاخلاقية كالتقوى والورع وحالة الطهارة والاخلاص في التعامل مع النص القرآني لها تاثير كبير في عملية فهم القرآن ، لان الانسان مهما كانت لديه من قدرات ومعلومات يبقى محدودا ومعرضا للخطا اماعندما تكون عنده حالة التقوى والاخلاص والطهارة والنقا اضافة الى ذلك ،فانه يكون في موضع التاييد والرعاية الالهية ، ومن ثم يكون في موقع التوفيق في الوصول الى الحق والرشد ، ولذلك ورد الامر الى النبي ذاته ٩ لكي يدعو اللّه تعالى في ان يزيده علما : ( وقل رب زدني علما ) ((٤٩)) .
وذلك بلحاظ فهم القرآن الكريم وتلقيه ، كما ورد تاكيد هذا المعنى الاخلاقي في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى : ( لا يمسه الا المطهرون ) ((٥٠)) .
.

## الخلفية العلمية

. واما ما يتعلق بالخلفية العلمية او شروط المفسر ، فقد ذكر العلما جملة من العلوم لا بد ان يكون المفسر عالما بها بالحد المناسب لعملية التفسير من ناحية الكم او الاقتران او التقدم .
ويمكننا ان نجمل هذه الشروط العلمية بامور ثلاثة اساسية ، بحيث يكون لكل امر ملاك وسبب مستقل وهذا الملاك هو الشرط الحقيقي الذي يشترط في المفسر :

### ١ ــ علوم اللغة العربية :

الاول : ما يتعلق بعلوم اللغة العربية ، وملاكه هو ان القرآن الكريم نص عربي وقد جا وفق نظام اللغة العربية .
وحينئذ ، فان كل ما يرتبط بنظام اللغة العربية يكون له دور واثر في فهم القرآن وتفسيره .

ومــن عــلوم اللغة العربية التي تذكر في هذا الصدد علوم : النحو ، والصرف ،والمعاني ، والبديع ، والبيان ، واللغة .

والــحد الذي يجب ان يتوفر للمفسر من هذه العلوم هو الحد الذي يتناسب مع القرآن الكريم ونصه ، لان الــمــعــلــومات التي تكون غير مرتبطة بالنص القرآني مع اشتقاقاتها وتفرعاتها الغريبة عن ذلك النص امور غير مهمة وغير لازمة للمفسر.

## ٢ ــ علوم القرآن :

الثاني : ما يتعلق بعلوم القرآن الكريم ، وملاكها هو ان البحث في هذه العلوم بحث في القرائن الحالية او المقالية ( الداخلية او الخارجية ) والتي تؤثر في فهم القرآن ومعرفة مضمونه .

فيجب على هذا ان يكون للمفسر معرفة وفهم لتفاصيل علوم القرآن ،ولكن بالحد الذي يكون متناسبا مع فهم النص القرآني وتفسيره .

كــل ذلــك لان الــقرآن الكريم وكما هو معروف قد نزل باسلوب خاص وبشكل تدريجي ، ولذا فان بعضه قد جعل قرينة على بعضه الاخر يفسره ويحل مشكله .

ولذا لا يمكن ان يعرف القرآن بشكل كامل الا اذا عرفت تلك الخصائص والقرائن المحيطة به والتي يكون بعضها مؤثرا في بعضها الاخر.

ومن هذه القرائن والملابسات ما يكون داخليا ومنها ما يكون خارجيا.

فــمــن القرائن الخارجية مثلا ( اسباب النزول ) المرتبطة بتلك الاحداث التي اثارت نزول آية من آيــات الــقــرآن الــكــريــم ، كــالغزوات والاشاعات والحالات النفسية والسياسية التي كان يعيشها المسلمون والاستفسارات المهمة ، او اي امرآخر يواجهه المسلمون .

هذه الاحداث التي كانت مثارا لنزول القرآن يكون شانها شان اي قرينة ( حالية ) تحيط باي كلام ، لان فهم الكلام عرفا يتا ثر بقرائن الحال والمقال المحيطة به .

وقد تكون علوم القرآن من قبيل القرائن الداخلية كعلم ( المحكم والمتشابه ) ، فان الايات المحكمة تشكل قرائن على فهم الايات المتشابهة .

وقــد ذكــر الــقــرآن اولــئك الاشــخاص الذين ياخذون المتشابهات ويتركون المحكمات ووصفهم بالانحراف وعدم القدرة على فهم القرآن الكريم فهماصحيحا :

( هو الذي ا نزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخرمتشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغا الفتنة ) ((٥١)) .

ومــن قــبــيل علم ( الناسخ والمنسوخ ) وعلم ( المطلق والمقيد ) و ( الخاص والعام ) و ( المكي والمدني ) وعلم ( القرات ).

## ٣ ــ علوم الشريعة :

الــثــالــث : مــا يــتعلق بعلوم الشريعة ، من قبيل علم الاصول والفقه والرجال والدراية ، حيث يرتبط بمعرفة وسائل الاثبات بهذه العلوم .

ان ممارسة عملية التفسير تجعل الباحث وجها لوجه امام جملة من القضايالا بد من اثباتها ، وحينئذ يمكن ان تدخل بعض بحوث علوم الشريعة هذه كوسائل اثبات في هذه الدراسات .
فالنص القرآني وان كان متواترا وثابتا لدينا ، الا ان كشف المعنى القرآني عن طريق ظهوره ليس كشفا قطعيا ، بل هو كشف ظني ، ولا بد من اثبات حجية هذا الظن من خلال البحوث المتعلقة بـ (( حجية الظهور )) في علم الاصول .
كما ان هناك مسالة هي موضوع للبحث في علم الاصول ، وهي هل يمكن تخصيص القرآن الكريم بالسنة النبوية الصحيحة ؟ مخصصات النصوص القرآنية المعينة ان وجدت .
وكذلك على مستوى البحث في وسائل الاثبات ، اذا قلنا بامكان هذا النوع من التخصيص ، فهناك بحث في ا نه هل يمكن اثبات هذا النوع من التخصيص عن طريق ( خبر الواحد ) ؟ او لا بد من ( تواتر الخبر ) المخصص للقرآن الكريم باعتبار ان القرآن الكريم متواتر ولا بد ان يكون مخصصه بنفس المستوى من الاثبات بحيث يكون متواترا وقطعيا ؟ وحينئذ ننتقل الى بحث من بحوث علم الاصول وهكذا.
ومثل ذلك ما يتعلق بابحاث ( اسباب النزول ) فاذا كان لمعرفة اسباب النزول تاثير في فهم النص القرآني فاننا نحتاج حينئذ الى اثبات اسباب النزول وتعرف وسائل اثباتها.
واما ما يتعلق بمستوى المعرفة في علوم الشريعة وكذلك الزمان الذي لا بدان تتوفر فيه هذه المعرفة فان الكلام فيه هو ما قلناه بالنسبة الى الموردين السابقين .

## دور العلوم التجريبية في تفسير القرآن :

وقد يقال هنا : باشتراط اطلاع المفسر على حد معين من العلوم التجريبية قبل ان يبدا بعمله التفسيري او يقارنه ، وذلك باعتبار تناول القرآن الكريم لمجموعة من القضايا الطبيعية التي يتوقف فهمها على هذا الاطلاع .
وفي الواقع لا ضرورة لاشتراط ذلك في المفسر، باعتبار ان القرآن الكريم عندما تناول هذه القضايا الطبيعية تناولها على اساس ا نها ظواهر يدركهاالانسان ويلاحظها بحسه ، ومن خلالها اريد له الانتقال والاستدلال على بعض القضايا والحقائق العقائدية كوجود اللّه والمعاد وغيرها ، وذلك لان الهدف الاساس للقرآن الكريم ليس هو تناول هذه العلوم وبحثها والسعي لان يتكامل الانسان فيها ، بل ترك امرها للانسان نفسه يبحث فيها ويتكامل ان شا من خلال التجربة ، وذلك بخلاف ( الدين ) والشريعة الذي ارتبط امره بالسما ، ولايمكن للانسان ان يتكامل فيه من خلال التجربة ، بل لا بد من الوحي الالهي فيه .
وعلى هذا الاساس فان العلوم والمعارف الطبيعية التي تحتاج الى تجربة وفن وجهد لا تحتاجها عملية التفسير ولا تكون مكملة لها ((٥٢)) .
بل يمكن ان نضيف هنا : ان الخلفية التجريبية العلمية باعتبارها خلفية ناقصة دائما فانها لا تصل الى حد اليقين القطعي ــ الا بشكل محدود ــ الذي لايكون هناك مجال لاحتمال خلافه اطلاقا ، ومن هنا نجد التجديد والتغيير في النظريات العلمية التجريبية بسبب ان وسائل الاثبات فيها غالبا ما تكون ناقصة .
وعلى هذا فانه من غير الصحيح ان تحمل هذه الخلفية الناقصة على فهم القرآن الكريم وتفسيره ، وذلك لان القرآن الكريم مصدره الغيب الالهي ، واللّه مطلع على كل الحقائق وبدون اي احتمال

للخطا ، وتبقى التجربة معرضة للخطالا نه مهما روعيت فيها مسائل الدقة والضبط والاحتراز فانه قد يبقى فيها جانب ناقص كما اشرنا ، ومن ثم فانه قد يكون للغيب معنى لم تتوصل اليه التجربة في الظاهر لنقصانها ، فاذا اريد تفسيره في ضؤ نتائجها المحدودة نقع في الخطاوالاشتباه .
على ان التجربة يمكن ان تفتح لنا آفاقا في فهم النص القرآني من حيث تعدد المصداق وتشخيص المعنى ، وتطرح امامنا احتمالات جديدة ولكن لا يمكن ان تعطينا القطع والجزم بالمعنى القرآني من خلال رؤيتها.
.

## الهدف من نزول القرآن

## المقدمة الراب عة

## في بيان الهدف من نزول القرآن

تشكل معرفة الهدف من نزول القرآن الكريم موضوعا من موضوعات القرآن الكريم وبحثا تفسيريا يمكن ان يتناوله الباحثون كما يتناولون التوحيدوالنبوة والانسان والسنن التاريخية في القرآن ، وذلك لان القرآن قد تحدث عن الهدف من نزوله ومن خلال آياته ، كما تحدث عن الموضوعات الاخرى .
وذكرنا هذا الموضوع هنا في مقدمات بحث التفسير لا نه يلقي الضؤ على كل مجرى البحث التفسيري من ناحية ، ولا نه يفسر مجموعة كبيرة من الظواهرالبارزة في القرآن الكريم من ناحية اخرى ، وقد كتبنا رسالة مستقلة في هذاالموضوع اسميناها ( الهدف من نزول القرآن ).
وفي موضوع معرفة الهدف من نزول القرآن الكريم سوف نكتفي بالحديث في اربع نقاط اساسية هي :

## الاولى

## الفائدة من معرفة هدف النزول

وهنا نشير الى فائدتين من فوائد هذه المعرفة في مجال البحث التفسيري دون الاشارة الى فوائدها الاخرى في غير هذا المجال :

### الفائدة الاولى :

هي ان هذه المعرفة تعيننا على فهم النص القرآني الكريم ، بحيث ان تغيير الهدف المتبنى سوف يغير فهم النص في كثير من الموارد لا محالة .
فقد ورد في القرآن الكريم ــ مثلا ــ قوله تعالى :
( ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي ) ((٥٣)) .
وكلمة (( كل شي )) هنا اذا لاحظناها بلفظها المطلق مجردة عن هدف نزول القرآن الكريم ، فانها سوف

تعني ( كل شي ) بمعناها الواسع الشامل لكل الاشيافي الوجود.
وعندئذ قد يطرح هذا السؤال وهو : ا ننا عندما نقرا القرآن الكريم ((٥٤)) لانجد فيه كل شي ، اذ ايــن هــي علوم الطب والفيزيا ، والعلوم الطبيعية الاخرى ،او حتى العلوم الانسانية كعلم التاريخ والاجــتــمــاع ؟ فان بعض اصولها وان كان موجودا في القرآن الكريم الا ان كثيرا من تفاصيل هذه العلوم غير موجودة في القرآن فكيف يمكن افتراضه تبيانا لكل شي ؟.
واما اذا اخذنا هذه الاية الكريمة في ضؤ الهدف القرآني فسوف نعرف ان لــ ( كل شي ) هنا مضمونا واقــعــيا وحقيقيا ، وان هذه ( الكلية ) وهذا ( العموم )الذي استخدم فيه اداة ( كل ) لها مصداقية خارجية ولكن في ضؤ الهدف القرآني .
فالقرآن الكريم حينئذ ( تبيان لكل شي ) يرتبط بتحقيق ذلك الهدف الذي استهدفه في نزوله ، بحيث لم يبق شي يتعلق بتحقيق ذلك الهدف لم يذكره .

الفائدة الثانية :

هي ان معرفة هدف النزول تعيننا على تفسير كثير من الظواهر التي اتصف بهاالقرآن الكريم . فــقــد اتــصف مثلا بظاهرة ( النزول التدريجي ) ، وظاهرة ( التعرض الى بعض القضايا الشخصية الــمــرتــبطة برسول اللّه ٩ ) ، وظاهرة ( التعرض الى العادات والتقاليد المحدودة والجزئية في المجتمع الجاهلي ) ، وظاهرة اختصاص ( القصة )بانبيا ما يعرف الان ( بمنطقة الشرق الاوسط ) دون غــيرهم من الانبيا ، على فرض وجودهم تبعا لوجود البشر في غير منطقة الشرق الاوسط ، ولقوله تعالى :
( وان من امة الا خلا فيها نذير ) ((٥٥)) .
وظواهر اخرى .
وحــينئذ ، فان معرفة الهدف من نزوله تتدخل في تفسير هذه الظواهروغيرها مما ورد في القرآن الكريم ، كما سيتبين لنا اثنا البحث ان شا اللّه .

الثانية

احتمالات اهداف النزول من منظور قرآني

وبــهــذا الــصدد سوف نشير الى مجموعة الاهداف التي ذكرها القرآن الكريم وعنونها من اجل ان نــتــبين الهدف الاساس من بينها ، ونترك جملة من الاهداف الاخرى التي يمكن ان نحددها من خلال مــلاحــظة ما تضمنه القرآن الكريم من مفاهيم وتصورات وتشريعات لم يتم ذكرها بصورة مباشرة كهدف من اهداف نزوله ، فنجد :

اولا ــ هدف ( الانذار ) :

فقد ذكر ان هدف وعلة نزول القرآن هو الانذار ، وقد جا ذكر هذا الهدف علة غائية لنزوله مرة ، وعلة غائية لارسال الرسول والنبي والذي يكون هدفه في الواقع هو نفس هدف الكتاب مرة اخرى ، وذلك في

مثل قوله تعالى :
( واوحي الي هذا القرآن لا نذركم به ومن بلغ ) ((٥٦)) .
( طه # ما ا نزلنا عليك القرآن لتشقى # الا تذكرة لمن يخشى ) ((٥٧)) .
و ( التذكرة ) و ( الانذار ) من باب واحد :
( او لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين ) ((٥٨)) .

## ثانيا ــ ضرب الامثال وتصريفها :

فان لحن بعض الايات يشير الى ان القرآن انما انزل من اجل ضرب الامثال وتصريفها وبيان الحقائق التي كانت قائمة في المجتمع الانساني للاعتباربها ، قال تعالى :
( ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ) ((٥٩)) .

## ثالثا ــ اقامة الحجة والبرهان على الحقائق

الالهية : اذ كان من ضمن اهداف القرآن الكريم هو ان تكون هناك حجة وبرهان ومعجزة يعرف بها الانسان الحقيقة الالهية والرسالات السماوية والانبيا والغيب وغير ذلك من المعارف الالهية ، وذلك لكي يكون هذا القرآن حجة على الانسان يوم القيامة ولا يترك له اي عذر يعتذر به ،وهذاالهدف هومانفهمه من مثل قوله تعالى :
( يا ا يها الناس قد جاكم برهان من ربكم وا نزلنا اليكم نورا مبينا ) ((٦٠)) .
( وهذا كتاب ا نزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون # ان تقولوا انما ا نزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ) ((٦١)) .
( انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وا يوب ويونس وهارون وسليمان وآتيناداود زبورا # ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم اللّه موسى تكليما # رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على اللّه حجة بعد الرسل وكان اللّه عزيزا حكيما ) ((٦٢)) .
( قل لئن اجتمعت الا نس والجن على ان يا توا بمثل هذا القرآن لا يا تون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ) ((٦٣)) .

## رابعا ــ بيان تفاصيل الشريعة الاسلامية :

فقد تضمن القرآن الكريم بيانا لتفاصيل الشريعة والنظام الذي يريده اللّه لتنظيم حياة الناس ، واشير في القرآن الى ان هذا الامر من اهداف انزال القرآن والكتاب :
( وا نزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ) ((٦٤)) .
( ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي ) ((٦٥)) .
( انا ا نزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك اللّه ) ((٦٦)) .

**خامسا ــ حل الاختلاف وفصل النزاعات بين البشرية :**

فــقــد نــزل القرآن الكريم من اجل ان يحل الاختلاف ويفصل في النزاعات القائمة بين البشرية في مسيرتها التاريخية ويبين الموقف الصحيح منها :

( وما ا نزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه ) ((٦٧)) .

( ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يخــتلفون ) ((٦٨)) .

**سادسا ــ تصديق الرسالات السابقة :**

فــقــد كــان مــن اهــداف نــزول القرآن الكريم هو تصديق الرسالات السابقة وامضاؤها وتصحيحها والهيمنة عليها :

( وا نزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناعليه ) ((٦٩)) .

( نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وا نزل التوراة والانجيل # من قبل هدى للناس وا نزل الفرقان ) ((٧٠)) .

**سابعا ــ بيان الفصول التاريخية لتطور حركة الانسان :**

ان من جملة اهداف نزول القرآن الكريم هو بيان هذه الفصول ، فكا نه ارادان يؤرخ للانسان لا على مــســتــوى ذكــر تــفاصيل الاحداث وانما على اساس ذكرفصول هذه الحركة والعوامل والقوانين والسنن المؤثرة فيها.

حــيــث يلاحظ ان الهدف من ورود ذكر كثير من قصص الانبيا والامم السابقة هو بيان هذا التصور عن الفصول التاريخية لتطور الانسان :

( انا ا نزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون # نحن نقص عليك احسن القصص بماوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ) ((٧١)) .

**ثامنا ــ اعطا التصور الكامل عن الكون والحياة :**

فــقــد اشــتــمــلت بعض الايات المباركة على تصور كامل عن الكون والحياة وعلتها ، واصل مسيرة الانسان وعلاقتها بالمبدا وعن بداية هذه المسيرة ونهايتهاوكيف يتكامل الانسان فيها وكيف يتسافل ، الامر الذي قد يكشف عن ان بيان هذه الحقائق هو الهدف من نزول القرآن .

**تاسعا ــ انزال الهداية والرحمة :**

فقد اشارت بعض الايات الى ان القرآن قد انزل كتاب هداية ورحمة للبشرية : ( ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ) ((٧٢)) .

( وننزل من القرآن ما هو شفا ورحمة للمؤمنين ) ((٧٣)) .

**الثالثة . في ( الهدف الاساس ).**

**من خلال استعراض الاهداف السابقة والمقارنة بينها يمكن ان نحدد الهدف الاساس الذي نزل القرآن الكريم من اجل تحقيقه وساهمت بقية الاهداف بشكل او بخر في تحقيقه ، كما اشار القرآن الى ذلك احيانا.**
**وهذا الهدف الرئيس هو ( تغيير الناس ) ، ويمكن ان يفهم هذا الهدف من خلال دراسة الابعاد الثلاثة الاتية التي توضح وتشخص نوع العملية التغييرية التي استهدفها القرآن الكريم :**

**البعد الاول ــ ايجاد التغيير الجذري في المجتمع الانساني كله :**

**وقد قام هذا التغيير على قاعدة تمثل النظرة القرآنية الاسلامية لمحور عملية التغيير وهو الانسان ، فــان الــقــرآن الكريم يرى ان تغيير المجتمع والحياة الانسانية كلها تنطلق من قاعدة تغيير النفس الانسانية ذاتها :**
**( ان اللّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما با نــفسهم ) ((٧٤)) .**
**كما ان هذا التغيير لا بد ان يكون تغييرا جذريا ، اذ ان التغيير يمكن ان يكون على احد شكلين ، هما :**
**احــدهــمــا : الــتــغــيير الاصلاحي ، ويراد به كل تغيير يتناول بعض المعالم الجانبية في المجتمع ويــحــتفظ اثنا القيام به بعامة الاصول والقضايا الاساسية التي تتحكم في اوضاع المجتمع العامة ، اذ يفترض هذا المنهج من التغيير صحة الاصول العامة التي يقوم عليها المجتمع الانساني ، مع افتراض وجــود جــوانــب فــاسدة ومنحرفة وغير صحيحة في المجتمع لا بد ان تطالها عملية التغيير دون اسس واصول ذلك المجتمع .**
**فتكون العملية حينئذ عملية اصلاح الوضع القائم لا تغييره تغييرا جذريا.**
**والاخر : التغيير الجذري ، ويراد به كل تغيير يتعرض لعامة الاصول والاسس القائمة في المجتمع ، فتطالها عملية التغيير وان بقيت بعض الجوانب والامور الثانوية على حالها ، وهذا هو ما يعبر عنه في العصر الحديث ( بالثورة ) و( الانقلاب ).**
**والامــر الــواضح ان احد ابعاد الهدف الرئيس لنزول القرآن ــ وهو هدف تغيير المجتمع ــ ان يكون هذا التغيير تغييرا من الشكل الثاني : تغيير جذري لا اصلاحي .**

وقــد عبر القرآن الكريم عن هذا البعد بعملية الاخراج من ( الظلمات ) الى ( النور ) ، اذ جا هذا التغيير في معرض حديثه عن هدف نزوله .

وعــنــدما ننظر الى هذه الحالة ــ الاخراج من الظلمات الى النور ــ يمكن ان نلاحظ حالة التغيير من ناحية ، والحالة الجذرية في التغيير من ناحية اخرى ، اذنرى خروجا من احد القطبين المتناقضين الى القطب الاخر :

( قــد جــاكــم مــن اللّه نور وكتاب مبين # يهدي به اللّه من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظــلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ) ((٧٥)) .

وقــد جــا ذكر الهدف هنا نتيجة لوجود الكتاب وتعامل الناس معه ، ولكنه ذكر في آيات اخرى علة غائية لنزول الكتاب ، كقوله تعالى :

( هــو الــذي يــنــزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظــلمات الى النور وان اللّه بكم لرؤوف رحيم ) ((٧٦)) .

وفي غيرها ربط بين نزول الكتاب ومهمة النبي ٩ باعتبار وحدتهما ،كقوله تعالى :

( قــد ا نــزل اللّه الــيــكــم ذكرا # رسولا يتلو عليكم آيات اللّه مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ريال ) ((٧٧)) .

## ( اللّه ) تبارك وتعالى و ( الطاغوت ) :

ولــما كانت العملية التغييرية في القرآن الكريم جذرية ، اذن فما هو الاصل او الاصول التي تناولها القرآن الكريم بالتغيير في المجتمع الجاهلي ؟.

من خلال مراجعة سريعة للقرآن الكريم يمكن ان نحدد ذلك الاصل والاساس الذي يستهدفه القرآن الكريم في عملية التغيير الجذري ، فنجد ان القرآن الكريم يحدد لنا محور اصول الظلمات ومحور اصول النور.

فاما محور اصول الظلمة فهو ( الطاغوت ) الذي تقوم عليه اسس الظلمات والتي منها يخرج الانسان الى النور.

واما المحور الاساس للنور فهو ( اللّه ) تبارك وتعالى ، ولذلك ورد في القرآن الكريم : ( اللّه نور الــسـمــاوات والارض ) ((٧٨)) باعتبار ان هذا المحور هو الذي يمثل الاصل لكل النور والهدى والاصول الصحيحة للمجتمع الصالح .

كما ورد فيه ذكر التقابل بين ( اللّه ) و ( الطاغوت ) في عدة مواضع :

( اللّه ولــي الــذيــن آمــنــوا يــخــرجــهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظــلمات ) ((٧٩)) .

( الذين آمنوا يقاتلون في سبيل اللّه والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ) ((٨٠)) .

ولــهذا فان معرفة احتياج مجتمع ما الى حدوث حالة التغيير الجذري فيه تتوقف على معرفة حالة ( الــطــاغوت ) فيه ، فان وصلت هذه الحالة الى الحد الذي اصبحت تمثل المحور في تحرك المجتمع فــسـيكون هذا المجتمع مجتمع الظلمات والجاهلية والانحراف ، حتى وان كانت فيه بعض الامور الصحيحة او الارتباط باللّه بنحومن الانحا ، ولا بد حينئذ من حصول عملية تغيير جذري فيه .

واما اذا كانت الاصول العامة فيه ومقوماته الاساسية مقومات الهية ، فهومجتمع ( النور ) وان كان فيه بعض الانحراف والفساد والباطل ، ولا يحتاج الا الى عملية تغيير اصلاحية .

## الانبيا اولو العزم وانبيا الرسالات :

وبهذا البعد يمكن ان نفهم قضية الانبيا من اولي العزم والمهمات التي تحملوها في العملية التغييرية والفرق بينهم وبين غيرهم من انبيا الرسالات .
فالنبي الذي يبعث الى مجتمع يعيش حالة الظلمات بحيث تنتهي اصوله ومقوماته الى محور الطاغوت ، ويحاول تغييره الى مجتمع النور ، يكون هذا النبي نبيا من انبيا اولي العزم ، اذ يكون محتاجا في الواقع الى هذا ( العزم ) الذي هوالارادة القوية والقرار الثابت المقرون بالصبر والجد ، لان هذه العملية عملية مرهقة وصعبة .
واما اذا بعث النبي الى مجتمع اصوله محكومة للّه تعالى ولكتابه ، ولكنه يعيش بعض حالات الانحراف على مستوى السلوك والعقائد التفصيلية الثانوية ،فيكون مثل هذا النبي حينئذ نبي رسالة لا نه لن يمارس عملية اخراج للمجتمع من الظلمات الى النور ، بل سوف يمارس عملية تعميق وتوسعة لحالة النور الموجودة في ذلك المجتمع ، بحيث تشمل كل جوانبه وتفاصيله .

## البعد الثاني ــ المنهج الصحيح للتغيير :

وهذا البعد يتمثل في مجموعة المفاهيم والمعاني القرآنية والواجبات والاساليب التي ترسم الطريق لهذا الانسان وتهديه الى وسيلة النجاة في الدنياوالاخرة ، والتي من دونها لا يمكن ان تتم عملية التغيير الجذرية في نفس الانسان ومجتمعه .
وقد عبر القرآن الكريم عن هذا المنهج : بـ ( الصراط المستقيم ) ، قال تعالى :
( اهدنا الصراط المستقيم # صراط الذين ا نعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ) ((٨١)) .
والهداية في الواقع هي عبارة عن الدلالة على الطريق :
( يهدي به اللّه من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النوربإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ) ((٨٢)) .

## ( الكتاب ) و ( الحكمة ) :

وقد لخص القرآن الكريم هذا المنهج بكلمتين هما ( الكتاب ) و ( الحكمة ) : ( هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ) ((٨٣)) .
والمراد من الكتاب هنا ــ واللّه اعلم ــ هو الدين او الشريعة او مجموعة التعليمات والقوانين والتشريعات التي جات على يد الانبيا : وانزلت عليهم وحيا لتنظيم الحياة البشرية الاجتماعية والفردية .
واما الحكمة ، فانها تمثل مجموعة الحقائق التي ترتبط بالكون والانسان وتاريخه وحركته

الاجـــتماعية والفردية ، والتي يكون لها تاثير على طريق التكامل او التسافل العملي والتي لا بد وان تؤثر في النهاية على سعادته وشقائه .

**البعد الثالث ــ ايجاد القاعدة الانسانية الثورية :**

ويشكل هذا البعد مع بعد المنهج الصحيح اساسا لعملية التغيير الجذري . وخـــلاصـــة هـــذا البعد هو ان القرآن الكريم قد اهتم اهتماما خاصا وعمل على ايجاد قاعدة بشرية انـــســـانـــية ثورية ملتزمة معينة وخلال حقبة محددة وهي مدة نزوله ، بحيث تكون هذه القاعدة امام مسؤولية حمل الاسلام على مدى الازمان وفي كل مراحل تاريخ البشرية في المستقبل ، قال تعالى :

( وهذا كتاب ا نزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها ) ((٨٤)) .

والمراد من (( ام القرى )) هي القرية الام وهي ( مكة ) وما حولها ، والاية دالة على ارادة جماعة معينة ، لا ننا مهما توسعنا في المراد من ( وما حولها ) فلن تشمل الارض كلها.

وكذلك قوله تعالى :

( هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ) ((٨٥)) .

فـــان الـــمقصود من (( الاميين )) وعلى مستوى تفسير المعنى هم ( العرب )وباجماع المفسرين ، وان اختلفوا في تفسير اللفظ لهذه الكلمة .

مـــن هذه الايات وغيرها يتضح لنا ان القرآن الكريم قد استهدف ــ في ضمن اهدافه ــ تربية وتزكية مـــجموعة ما وبشكل خاص مع تاكيد ان الرسالة هي رسالة عالمية لكل البشرية ولا تختص بجماعة معينة .

فـــلـــقـــد ادركـــت الـــرســـالة بان البشرية كلها لا يمكن ان تتغير ــ بالفعل ــ خلال تلك المدة الوجيزة والـــمـــحدودة لنزول القرآن ، ذلك التغيير الجذري المطلوب ،ولذلك عمدت الى تحقيق هدفها على مراحل من خلال ايجاد مثل هذه القاعدة الثورية التي تتحمل مسؤولية الرسالة تجاه البشرية كلها.

وعـــلـــى هذا يمكن ان نفهم ان احد الابعاد المهمة في هدف القرآن هو الاهتمام بتغيير هذه الجماعة الـــبـــشرية في الجزيرة العربية بشكل خاص ، وان هذه الخصوصية التي اعطيت للعرب ليست على مستوى اختصاص الرسالة بهم وجعلها رسالة قومية منحصرة بهذه الامة ، بل هي عملية لوحظ فيها هذا البعدالمشار اليه ، وان هذا الاختيار كان محكوما بكيفية تحقيق هدف السما على الارض .

وهذا ليس امتيازا ذاتيا للعرب على بقية الامم وان كان فضلا من اللّه عليهم ((٨٦)) كما تفضل اللّه على بني اسرائيل في بعض مراحل التاريخ ، فجعل منهم انبيا وملوكا.

ومـــمـــا يـــؤكد هذا الامر ايضا هو تهديد السما لهذه الامة بالاستبدال ان لم تقم باعبا ما كلفت به قياما صحيحا :

( وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ) ((٨٧)) .

( يا ا يها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي اللّه بقوم يحبهم ويحبونه ) ((٨٨)) .

ومـــن الـــمحتمل جدا ان عملية ايجاد الجماعة الثورية وملاحظة خصوصيات هذه الجماعة هي التي جـــعلت القرآن الكريم يهتم بمجموعة من القضايا التي وان كان لها جذر في التاريخ الانساني وامتداد في المستقبل ، ولكن هذا الاهتمام الخاص قد يكون بسبب ظروف هذه القاعدة ، وذلك من قبيل :

اهتمامه بقضية ( الاصنام ) ، فقد يكون ــ واللّه اعلم ــ من الصحيح ان تطرح قضية الاصنام وتناقش لــوجــود امــم تــعــبــدها ، او لوجود اتجاه فطري في الانسان الى التجسيد ، الامر الذي يؤدي الى الانحراف باتجاه عبادة الاصنام اذا لم تتم معالجته وتوجيهه ، شانه في ذلك شان بقية القضايا الفطرية ، ولــكــن هــذا الــقــدرالــكبير من الاهتمام بها وطرحها ومعالجتها بصورة مستمرة قد يكون سببه هوملاحظة ان القاعدة التي يريد ان يتفاعل معها القرآن والرسالة ابتدا امة تتبنى عبادة الاصنام ، ومن ثم تحتاج الى ان يؤكد هذا الامر وبهذا المقدار ، لكي تتم معالجته وتغييره بشكل تام في المستقبل .

وهكذا اهتمامه بقضية ( الوحي ) واصالته ، وا نه ليس بالشي الغريب والمستحدث بل له سوابق عند الانبيا الاخرين .

فلو كان القرآن نازلا في مجتمع اهل الكتاب لما احتاج الى مثل هذا التاكيدوبهذا المقدار ، وذلك لان مجتمع اهل الكتاب مجتمع يؤمن بالوحي وبالرسالات وبارتباطها بالسما.

ومــثــل هذا يقال في تاكيد القرآن الكريم دور ابراهيم ٧ وحنيفيته واخلاصه في التوحيد والعبادة ودوره في الاسلام ونسبة الاسلام اليه .

كــل هذا باعتبار ان هذه الجماعة التي نزل القرآن فيها لم تكن تعرف من الانبيا ، ولم تكن لها علاقة حــب وايمان الا مع ابراهيم ٧ وذلك لان غيره من الانبيا لم يكونوا واقعين في الجذر التاريخي لهذه الجماعة .

وفــي هذا السياق ايضا جا اهتمام القرآن الكريم بجانب الاسلوب في العرض والبيان الذي يعبر عنه بــ ( البلاغة ) ، وهدفه الاساس من هذا هو التاثيرعلى هذه ( الجماعة ) باعتبار تاثرها بمثل هذا الــلــون مــن الاسلوب ، ولو كان نازلافي غير العرب فقد لا يكون لهذا الامر هذا القدر من الاهمية الكبيرة ، وهذا التاثيرمن الناحية العاطفية والشعورية بحيث يغيرهم من حال الى حال .

## الرابعة

## في مساهمة الاهداف الثانوية

## في تحقيق الهدف الرئيس

وفــي ضــوء التفسير الذي طرح للهدف الرئيس من نزول القرآن الكريم يمكن ان نفهم دور الاهداف الاخرى التي استعرضناها في تحقيق هذا الهدف :

### الانذار :

فــقــد ذكــر الانــذار والتذكير هدفا لنزول القرآن الكريم مرة ، وهدفا لعمل الانبيا : مرة اخرى ، وهــذا الــهــدف لا يمكن ان يكون هو الهدف الرئيس لنزول القرآن ، لا نه ذكر في آيات اخرى الى جانب ذكر مجموعة من الاهداف الاخرى ، كقوله تعالى :

( كــان الــناس امة واحدة فبعث اللّه النبيين مبشرين ومنذرين وا نزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الــنــاس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعدما جاتهم البينات بغيا بينهم فهدى اللّه

الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه واللّه يهدي من يشا الى صراط مستقيم ) ((٨٩)) .
الامـــر الـــذي يشعر بان الانذار ليس هو الهدف الرئيس والوحيد ، بل هوواحد من الاساليب المهمة والاساسية والمساعدة في تحقيق هدف النزول الرئيس ، وهو هدف تغيير الجماعة البشرية تغييرا جذريا ، وهو وضعهم على السراط المستقيم .
وانـــمـــا جا تاكيد دور الانذار ووضع هدفا في بعض الايات ، لان المعادلة الاساسية التي يقيم عليها الـــديـــن عـــملية التغيير هذه معادلة ترتبط بالانذار وتقوم على اساسه ، وهي معادلة الدنيا بالاخرة ، والـــتـــي عـــنـــصـــرها الاساس هو معادلة التضحيات والتنازلات المادية المحدودة ــ ويراها الانسان بـــنظره القاصر تنازلات وخسارات ــ بما يحصل عليه الانسان في الاخرة من ثواب وجزا ، والذي يشيراليه القرآن الكريم بـــ ( البشير ) و ( البشرى ).
وكـــذلـــك معادلة اللذات والشهوات وحالة الرفاه وغير ذلك مما يستحسنه ويهواه ويحصل عليه من غـــيـــر طريقه المشروع ، معادلة كل هذا بما يلاقيه الانسان في الحياة الاخرى من عذاب ومحنة ، وقد عبر عنه القرآن الكريم بـــ (النذير) و (الانذار).
وعـــلـــى هـــذا الاســـاس يصبح ( الانذار ) مفردة من المفردات الاساسية والمهمة للمنهج الصحيح ، وبالذات في جانب ( الكتاب ) منه .
وامـــا سر تاكيد مفردة من مفردات ( الكتاب ) هذا التاكيد الكبير حتى وكان مهمة النبي والكتاب معا قد حصرتا بها فذلك راجع الى جملة امور منها :
اولا : لدخول مفردة ( الانذار ) في المعادلة الاساسية التي يقوم عليهاالدين ، كما ذكرنا ذلك سابقا.
ثـــانـــيـــا : لمعالجة حالة نفسية قد يعيشها الانبيا وكل الدعاة الى اللّه ، وتلك هي شعورهم احيانا بعدم قـــدرتـــهـــم عـــلى تحقيق اهدافهم رغم كل ما يبذلونه من جهد وطاقة في سبيل ذلك ، وتصورهم بان قـــضية التغيير هي من مسؤوليتهم بحيث ان عدم تحققها يستدعي وقوفهم موقفا محرجا امام اللّه عز وجل ، ومن ثم حصول الالام النفسية والروحية لهم بسبب ذلك .
وقد عالج القرآن الكريم هذه الحالة بيات عديدة حدد من خلالهامسؤولية النبي وميزها عن مهمته ، فـــمـــسؤولية النبي ــ والتي ينتهي عندها تكليفه الشرعي ــ هي ( الانذار ) ، واما الاستجابة وعدمها فهي من الامور الخارجة عن مسؤوليته ووظيفته :
قال تعالى : ( طه ، ما ا نزلنا عليك القرآن لتشقى # الا تذكرة لمن يخشى ) ((٩٠)) .
( لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ) ((٩١)) .
( ومن ضل فقل انما انا من المـــنذرين ) ((٩٢)) .
ثـــالـــثـــا : كما ان من ضمن الامور التي قد تكون سببا لتاكيد مسالة ( الانذار )هو الاشارة الى ان هذا النبي ليس له طمع في جاه او سلطان وانما يريد القيام بواجبه وبمسؤوليته وهي الانذار :
( قل لا اسا لكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ) ((٩٣)) .
( واتـــل عـــلـــيهم نبا نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بيات اللّه فعلى اللّه تـــوكلت فاجمـــعوا امركم وشركاكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون # فان توليتم فما سالتكم من اجر ان اجري الا على اللّه ) ((٩٤)) .

بقية الاهداف الفرعية :

وهــكــذا يدخل هدف ( ضرب الامثال ) وهدف ( اقامة الحجة والبرهان ) في موضوع ( الانذار ) ولا يكونان هدفين رئيسسين ، حيث يكونان افضل وسيلة للانذار.
ومــثــلــهــما هدف ( تفصيل الاحكام وبيان الشرائع ) و ( الفصل في الخصومات والتفريق بين الحق والباطل ) و ( تصديق وتكميل الرسالات السابقة ) و ( سردتاريخ الانسان وقصص الانبيا ) و ( طــرح الــتــصــور الــكامل عن الكون والحياة )كل هذه الاهداف ترتبط بالبعد الثاني من ابعاد الهدف الــرئيــس وهــو ( بــيان المنهج الصحيح ) لعملية التغيير الجذري ، سوا في جانب ( الكتاب ) او ( الحكمة ) ،وبذلك تساهم في تحقيق ذلك الهدف مساهمة فعالة وهذا ما حصل بالفعل في تاريخ القرآن الكريم .
بــقي ان نشير هنا الى اثارة قد تثار حول هدف تصديق وتكميل الرسالات السابقة ومدى انسجام هذا الــهــدف مع العملية التغييرية الجذرية التي قام بهاالاسلام ، اذ يقال هنا بان افتراض ان مهمة القرآن هي تصديق الرسالات السابقة وتكميلها سوف يخرج عملية التغيير من كونها عملية تغيير ( جذرية ) الى عملية كمال و ( اصلاح ) كما هو موجود بالفعل .
وجــواب هــذا يمكن ان نعرفه مما سبق ، حيث ان هدف القرآن الكريم هوالتغيير الجذري لمجتمع الــطــاغوت الذي انزل فيه لا التغيير الجذري للرسالات السماوية السابقة ، فاذا كان المجتمع الذي نزلت فيه الرسالات السابقة قد انحرف عنها بدرجة اصبح الطاغوت فيه هو محور لحركة المجتمع امكن ان يكون القرآن الكريم مصدقا للرسالات السماوية السابقة ومغيرا بشكل جذري للمجتمع .

## مناهج التفسير

## المقدمة الخامسة

## في مناهج التفسير

وسنتناول هذا البحث من جانبين :الاول : تحديد منهج التفسير المعتمد واسسه . الثاني : الاهتمامات التفسيرية .

## الجانب الاول

## التفسير الموضوعي والتفسير التجزيئي

امــا الجانب الاول فسوف نحدد فيه المنهج الذي نعتمده في التفسير ،وهل هو المنهج الموضوعي ام الــمــنــهج التجزيئي ــ وفقا للتقسيم الذي وضعه السيدالشهيد الصدر ١ لمناهج التفسير الموجودة ــ وعــلــى هذا لا بد ان نفهم ما هو المرادمن التجزيئية والموضوعية هنا ، لكي نحدد بعد ذلك موقفنا تجاهها.

### منهج التفسير التجزيئي :

(( وهو المنهج الذي يتناول المفسر ضمن اطاره القرآن الكريم آية فية وفقالتسلسل تدوين الايات في المصحف الشريف ، ويفسره بما يؤمن به من ادوات ووسائل للتفسير من الظهور او الماثور من الاحاديث او بلحاظ الايات الاخرى التي تشترك مع تلك الاية في مصطلح او مفهوم ، وبالقدر الذي يلقي ضؤا على مدلول القطعة القرآنية التي يراد تفسيرها والكشف عن مدلولها اللفظي ، مع اخذالسياق الذي وقعت تلك القطعة ضمنه بعين الاعتبار في كل تلك الحالات .
فالهدف في كل خطوة من هذا التفسير هو فهم مدلول هذا المقطع او هذه الاية التي يواجهها المفسر بكل الوسائل الممكنة ، اي ان الهدف ( هدف تجزيئي )لا نه يقف دائما عند حدود فهم هذا الجز او ذاك من النص القرآني ولا يتجاوزذلك غالبا )) ((٩٥) .

## منهج التفسير الموضوعي :

وهو المنهج الذي لا يتناول المفسر فيه تفسير القرآن آية فية بالطريقة التي يمارسها في المنهج التجزيئي ، بل يحاول القيام بالدراسة القرآنية لموضوع من موضوعات القرآن العقائدية او الاجتماعية ، كعقيدة التوحيد ، او النبوة ، اوسنن التاريخ في القرآن .
ويستهدف التفسير الموضوعي من القيام بهذه الدراسات تحديد موقف نظري للقرآن الكريم ، ومن ثم للرسالة الاسلامية من ذلك الموضوع ((٩٦)) .
ومن اجل ان يتضح موضوع البحث ومركز الاختلاف لا بد ان نفهم مصطلح ( الموضوعية ) فان هناك ثلاثة معان لمصطلح ( الموضوعية ) ذكرهاالشهيد الصدر ١ ، وهي :
اولا : ( الموضوعية ) في مقابل ( الذاتية ) و ( التحيز ) ، والموضوعية بهذاالمعنى عبارة عن الامانة والاستقامة في البحث ((٩٧)) والتمسك بالاساليب العلمية المعتمدة على الحقائق الواقعية في نفس الامر والواقع ، دون ان يتاثر الباحث باحاسيسه ومتبنياته الذاتية ولا ان يكون متحيزا في الاحكام والنتائج التي يتوصل اليها.
وهذه ( الموضوعية ) امر صحيح ومفترض في كلا المنهجين : ( التجزيئي )و ( الموضوعي ) ولا اختصاص لاحدهما بها.
ثانيا : ( الموضوعية ) بمعنى ان يبدا في البحث من ( الموضوع ) ، الذي هو( الواقع الخارجي ) ويعود الى ( القرآن الكريم ) ((٩٨)) لمعرفة الموقف تجاه الموضوع الخارجي .
(( فيركز المفسر ــ في منهج التفسير الموضوعي ــ نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقائدية او الاجتماعية او الكونية ويستوعب ما اثارته تجارب الفكر الانساني حول ذلك الموضوع من مشاكل ، وما قدمه الفكرالانساني من حلول وما طرحه التطبيق التاريخي من اسئلة ومن نقاط فراغ ، ثم ياخذ النص القرآني ويبدا معه حوارا ، فالمفسر يسال والقرآن يجيب ، وهويستهدف من ذلك ان يكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح )) ((٩٩)) .
(( وقد يسمى هذا المنهج ايضا بالمنهج ( التوحيدي ) باعتبار ا نه يوحد بين ( التجربة البشرية ) و ( القرآن الكريم ) لا بمعنى ا نه يحمل التجربة البشرية على القرآن ، بل بمعنى ا نه يوحد بينهما في سياق واحد لكي يستخرج نتيجة هذا السياق المفهوم القرآني الذي يمكن ان يحدد موقف الاسلام تجاه هذه التجربة او المقولة الفكرية )) ((١٠٠)) .

ثالثا : ( وقد يراد من ( الموضوعية ) ما ينسب الى الموضوع ، حيث يختارالمفسر موضوعا معينا ثم يجمع الايات التي تشترك في ذلك الموضوع فيفسرها.
(( ويـمـكـن ان يسمى مثل هذا المنهج منهجا توحيديا ايضا باعتبار ا نه يوحدبين هذه الايات ضمن مركب نظري واحد )) ((١٠١)) .
ولا شـك ان الـمـعـنـى الاول لـيـس موضوع البحث اذ لا يختلف التفسيرالموضوعي عن التفسير التجزيئي في ضرورة توفر هذا الوصف فيه ، ويبقى عندناالمعنى الثاني والثالث .

## مرجحات منهج التفسير الموضوعي على منهج التفسير التجزيئي :

ونـذكر ثلاثة مرجحات رئيسة للمنهج الموضوعي على المنهج التجزيئي اشار اليها استاذنا الشهيد الصدر رضوان اللّه عليه في بحوثه القرآنية ، وهي :
الاول : (( ان الـتـفـسير الموضوعي يرجح على التفسير التجزيئي لا نه يمثل حالة من التفاعل مع الواقع الخارجي ، اذ ان المفسر يبدا من خلاله بالواقع الخارجي ثم ينتقل الى القرآن الكريم )) ، ثم يـعـود الـى الـواقـع الخارجي مرة اخرى بنتاج بحثه داخل القرآن ، مما يجعل القرآن الكريم ملبيا وبـشـكـل مـسـتـمـر لـكـل مـتطلبات الحالة الانسانية والاجتماعية التي تفرضها حركة التاريخ والحركة التكاملية لهذا الانسان .
(( ومن هنا تبقى للقرآن قدرته الدائمة على القيمومة والعطا المستجد الذي لا ينفد والمعاني التي لا تنتهي التي نص عليها القرآن نفسه ونصت عليها احاديث اهل البيت : )) ((١٠٢)) .
ولا تـوجد مثل هذه الخصوصية والميزة في منهج التفسير التجزيئي والذي يبدا من القرآن وينتهي الـى القرآن ، حيث يفترض الشهيد الصدر ١ هذا النوع من التفسير ما يشبه التفسير اللغوي ويتوقف فـيـه عـلـى المعنى والمفهوم اللغوي واللفظي للقطعة القرآنية التي يراد تفسيرها ، دون التعمق في تـفـسير المعنى من اجل الوصول الى المصاديق المرتبطة بحركة الواقع وظروفه ، مما يجعلنا غير قادرين على الاجابة على كثير من المسائل التي تواجهنا في الواقع المعاش .
وعـلـى هـذا الاسـاس كانت طاقات التفسير ( التجزيئي ) طاقات محدودة (( لان طاقات التفسير اللغوي طاقات محدودة بمحدودية طاقات اللغة ، اذ ليس هناك تجدد في المدلول اللغوي ، ولو وجد فلا معنى لتحكيمه على القرآن )) ((١٠٣)) .
الـثـانـي : ان هـدف الـتفسير التجزيئي في كل خطوة من خطواته هو فهم مدلول الاية القرآنية او القطعة القرآنية التي يواجهها المفسر بكل الوسائل الممكنة .
وعـلـى هـذا فـان حصيلة التفسير التجزيئي للقرآن الكريم تساوي وعلى افضل التقادير مجموع مـدلـولات القرآن الكريم ملحوظة بنظرة تجزيئية ايضا ، اي ا نه سوف نحصل على عدد كبير من المعارف والمدلولات القرآنية ، ولكن في حالة تناثر وتراكم عددي دون ان نكتشف اوجه الارتباط بها ودون ان نحدد في نهاية المطاف نظرية قرآنية لكل مجال من مجالات الحياة .
هـذا ، مع ان الروابط والعلاقات ما بين هذه المعلومات التي تحولها الى مركبات نظرية ، بالامكان ان نحضر على اساسها نظرية قرآنية لمختلف المجالات والموضوعات ، اما هذا فليس مستهدفا بالذات في منهج التفسير التجزيئي وان ان قد يحصل احيانا ((١٠٤)) .

(( اما منهج التفسير الموضوعي فانه يرجح على منهج التفسير التجزيئي بتجاوزه خطوة تكاملية الى الامـــام ، لا نه لا يكتفي بابراز المدلولات التفصيلية للايات القرآنية ، بل يحاول ان يستحصل اوجه الارتـــبـــاط بين هذه المدلولات التفصيلية من اجل الوصول الى مركب نظري قرآني يحتل في اطاره كـــل واحـــدمـــن تلك المدلولات التفصيلية موقعه المناسب ، وهذا ما نسميه بلغة اليوم ( بالنظرية ) ، فـــيـــصل الى نظرية قرآنية عن النبوة ، والمذهب الاقتصادي ، وسنن التاريخ والسماوات والارض )) ((١٠٥)) .

(( وقـــد يـــقـــال ما الضرورة الى تحصيل هذه النظريات الاساسية ، ( بحيث يكون ذلك ميزة للمنهج الـــمـــوضـــوعـــي على المنهج التجزيئي ) ، مع ا ننا نجد ان النبي٩ لم يعط هذه المفردات على شكل نظريات محددة وبصيغة عامة ، وانما اعطي القرآن بهذا الترتيب للمسلمين )) ((١٠٦)) .

(( وجـــواب هـــذا : ان الـــنـــبي ٩ كان يكتفي باعطا المفردات على هذاالشكل ، لا نه كان من خلال الـــتطبيق ومن خلال المناخ القرآني العام الذي كان يبينه في الحياة الاسلامية ، وكان كل فرد مسلم في اطار هذا المناخ يفهم هذه النظرية ولو فهما اجماليا ارتكازيا.

واما حـــيـــث لا يوجد ذلك الاطار ، ( وذلك لعدم تطبيق هذه النظريات عمليا ومن ثم فقدان الوجود الارتكازي لها في اذهان المسلمين ) ، فاننا نكون بحاجة لدراسة هذه النظريات القرآنية وتحديدها.

وستكون هذه الحاجة حاجة حقيقية ملحة خصوصا مع بروز النظريات الحديثة من خلال التفاعل بين انـــسان العالم الاسلامي وانسان العالم الغربي ، اذوجد الانسان المسلم نفسه امام نظريات كثيرة في مختلف مجالات الحياة ، فكان لابد وان يستنطق نصوص الاسلام ويتوغل في اعماقها لكي يصل الى مـــواقـــف الاســـلام الـــحـــقـــيـــقـــية سلبا وايجابا ، ولكي يكتشف نظريات الاسلام التي تعالج نفس هذه الموضوعات التي عالجتها التجارب البشرية الذكية في مختلف مجالات الحياة ((١٠٧)) .

الثالث : (( ان حالة التناثر ونزعة الاتجاه التجزيئي ادت الى ظهورالتناقضات المذهبية العديدة في الـــحياة الاسلامية ، اذ كان يكفي ان يجد هذا المفسراو ذاك آية تبرر مذهبه لكي يعلن عنه ويجمع حـــولـــه الانـــصـــار والاشـــيـــاع كما وقع في كثير من المسائل الكلامية ، كمسالة الجبر والتفويض والاختيار مثلا. بـــينما كان بالامكان تفادي كثير من هذه التناقضات لو ان المفسر التجزيئي خطا خطوة اخرى ، ولم يقتصر على هذا التجميع العددي كما نرى ذلك في الاتجاه الموضوعي )) ((١٠٨)) .

وقـــد نـــفـــهم من حديث السيد الشهيد ١ السابق ا نه يضيف الى جملة مرجحات المنهج الموضوعي في التفسير على المنهج التجزيئي امرا آخر وهوان التفسير التجزيئي يمثل حالة من السطحية النسبية فـــي الـــتـــفـــسير قياسا الى العمق الموجود في المنهج الاخر ، وهذه الحالة هي حالة التفسير اللغوي واللفظي ،بخلاف التفسير الموضوعي الذي يمثل الحالة العميقة في البحوث التفسيرية ،وبذلك يمثل التفسير الموضوعي الخطوة التكاملية لمسيرة التفسير من هذه الناحية ايضا ، اضافة الى تلك الخطوة الـــتـــكاملية التي خطاها في محاولته لاستحصال اوجه الارتباط بين المدلولات التفصيلية للايات من اجل الوصول الى النظرية القرآنية .

وقـــد حاول الشهيد الصدر ١ ان يفسر مسالة شيوع منهج التفسيرالتجزيئي وسيطرته على الساحة الـــتـــفسيرية لقرون عديدة ، بافتراض وجود(( النزعة الروائية والحديثية في التفسير ، حيث ان التفسير لم يكن في البداية الا شعبة من شعب الحديث بصورة او باخرى ، وكان الحديث هو الاساس الوحيدتقريبا مضافا الى بعض المعلومات اللغوية والادبية والتاريخية التي يعتمد عليهاالتفسير طيلة فترة طويلة من

الزمن )) ((١٠٩)) .
وهـذا الاعـتماد على النصوص والروايات جعل شكل التفسير تفسيراتجزيئيا ، وذلك لان المفهوم الـعـام لـلـقـرآن كـان موجودا في الصدر الاول لدى المسلمين عدا مفردات محدودة ومعينة جات النصوص في تفسيرها.
وعـلـى هـذا فـان مـنـهج التفسير بدا بالتفسير بالماثور وهو تفسير تجزيئي ثم تطور وانتهى الى التفسير الموضوعي فيما بعد.

## المرجح العملي :

اضافة الى ذلك ، ذكر السيد الشهيد الصدر ١ مسوغا عمليا لايثاره التفسير الموضوعي على التفسير الـتجزيئي عندما بدا في بحث التفسير ، وهو ان شوط التفسير التقليدي شوط طويل جدا لا نه يبدا من الفاتحة وينتهي بسورة الناس .
وهـذا الـشـوط الـطويل بحاجة من اجل اكماله الى مدة زمنية طويلة ايضا ،ولهذا لم يحظ من علما الاسلام الاعلام الا عدد محدود بهذا الشرف العظيم ((١١٠)) .

## ملاحظات حول المرجحات :

ولنا بعض الملاحظات حول حديث السيد الشهيد الصدر ١ ، وهي :

## اولا ــ فيما يخص المرجحات الثلاثة لمنهج التفسير الموضوعي على التفسير التجزيئي :

حيث لا بد لنا ان نعرف مدى صحة هذه المرجحات واختصاصهابالتفسير الموضوعي :

## اما المرجح الاول

اما المرجح الاول ((١١١)) : فـانـنـا لا يـمكن ان نعتبر خصوصية ملاحظة الواقع الموضوعي القائم والاثارات التي يثيرها هذا الواقع وتساؤلاته ومحاولة الحصول على الاجابة والمعالجة لهذاالواقع من خلال القرآن ، لا يمكننا ان نـعـتبر هذه الخصوصية ميزة ومرجح لمنهج التفسير الموضوعي على المنهج التجزيئي ، وذلك لان هذا المرجح قائم وموجود في منهج التفسير التجزيئي ايضا.
وبـمـراجعة كتب التفسير لمختلف العصور ، نجد ان هذه المعالجة للواقع الموضوعي الخارجي في الـتفسير قائمة وموجودة ، وغاية ما في الامر ان مستوى هذه المعالجة قد يختلف باختلاف المفسر والاثـارات الـتـي يـثـيـرها الواقع الموضوعي وقدرة المفسر على معالجة الموضوعات والقضايا المختلفة .
فـعـنـدما وقع الاختلاف والصراع في تفسير العقيدة الاسلامية بين ( المعتزلة )و ( الاشاعرة ) وهو صراع قائم في الواقع الموضوعي لذلك العصر ، فان ذلك الصراع قد انعكس على كتب التفسير فـي زمـانه ، وكان المسلمون والباحثون يرجعون الى القرآن الكريم للحصول على اجوبة للمسائل والمشاكل

التي تعترضهم .
ومـــن الواضح ان المنهج الذي كانوا يثبتونه آنذاك كان هو ( المنهج التجزيئي ) اذ كانوا ياخذون من الـــقرآن الكريم مقطعا ويحاولون في كل مقطع منه ان يجيبوا عن التساؤلات المرتبطة به او يحلوا المشكلات التي يعيشها الواقع الموضوعي في ضؤ ما يقرره ذلك المقطع .
وكـــمـــثـــال آخـــر ، فـــانه في بداية تقنين علم النحو والبلاغة واثنا قيام العلمابمحاولات استكشاف الـــقـــوانـــيـــن الـــتـــي تحكم هذه العلوم ، نجد ان كتب التفسير في ذلك الوقت قد تاثرت بهذه الاثارات والتساؤلات ، وقد اصبح القرآن الكريم هو المصدر الاساس لاستكشاف هذه القواعد والدليل الذي يستشهد به هذا العالم او ذاك .
وحـــتـــى فـــي عـــصـــرنا الحالي ، فاننا نجد مصاديق هذا المدعى بوضوح في تفسير( المنار ) او ( الميزان ) او ( في ظلال القرآن ) او غيرها.
اذ نجد ان هناك محاولات يبذلها هؤلا المفسرون بحسب مستوياتهم للاجابة ــ ومن خلال تفاسيرهم ــ عن التساؤلات والاثارات التي يشهدهاالواقع الموضوعي الخارجي .
وعـــلـــى هـــذا ، فـــانـــنا نرى ان هذا المرجح امر مشترك وميزة مشتركة يمكن ان تنعكس على كلا المنهجين .
ولا يـــنـــبـــغـــي للفظة ( الموضوع ) هنا ان تحدد ارتباط مسالة التفاعل مع الواقع الخارجي ومحاولة الاجـــابـــة عـــن الـــتساؤلات والاثارات التي يطرحها هذا الواقع من خلال القرآن ، بمنهج التفسير ( الموضوعي ) وحده دون التفسير التجزيئي .

**واما المرجح الثاني :**

فـــهـــو مـــرجـــح ايجابي وصحيح لصالح المنهج الموضوعي في التفسير ، وذلك لان ميزة هذا المنهج الاســـاســـيـــة ــ بحسب تصورنا ــ هي في امكانية الوصول من خلاله الى النظريات القرآنية بمختلف القضايا التي تناولها وتحدث عنها القرآن الكريم .
بخلاف المنهج التجزيئي الذي تفترض فيه التجزئة وتناول القرآن الكريم آية آية ، او مقطعا مقطعا ، وبمنهج يراد منه فهم تلك الاية او المقطع دون استخلاص النظريات القرآنية التي يمكن استفادتها منه .
ولا بـــد ان نـــشير هنا الى ا نه وان كان بالامكان استخلاص بعض النظريات القرآنية من خلال آية واحـــدة او مـــقـــطـــع قـــرآني ، الا ان هذا لا يعني ان المنهج المتبع هنا هو منهج تجزيئي بل هو منهج موضوعي ، وذلك لان المنهج الموضوعي هومنهج استخلاص النظرية الكلية ذات الحالة الشمولية والـــتـــي تـــمـــثـــل الـــقاعدة الاساسية ، واما المنهج التجزيئي فهو المنهج الذي تتم خلاله محاولة فهم المضمون الكلي لهذه الاية او تلك دون استخلاص النظرية الشمولية منها.

**واما المرجح الثالث :**

فلا يمكن اعتبار هذا المرجح مرجحا للمنهج الموضوعي على التجزيئي ، وذلك لا نه كما يمكننا ان نـــفـــتـــرض وجود الاختلافات والتناقضات على اساس المنهج التجزيئي يمكننا ان نفترض ذلك على

اســاس الــمــنــهــج الــموضوعي ايضا وكما هو قائم وموجود فعلا ، اذ ان هناك الكثير من الباحثين والــمــفسرين في العصور المتاخرة اعتمدوا المنهج الموضوعي ومع ذلك توصلوا الى نتائج مختلفة ومتناقضة .

ان التناقضات العقائدية يمكن ارجاعها الى سببين لا علاقة لهما بمنهجية التفسير ، وهما :

الاول : فــرض المتبنيات الذاتية للانسان والتي يتبناها من خارج القرآن الكريم على القرآن الكريم ومعناه ومفهومه ، وهذا هو ( التفسير المتحيز ).

وهذا التحيز اما ان يكون ناشئا من متبنيات عقائدية او ميول نفسية ،او ترجيحات واستحسان ظني ، او التزامات معينة في ادوات الاثبات ، اواتجاهات ومصالح سياسية .

الــثــانــي : وهــو ســبــب موضوعي ومرجعه الى ان المفسر لا يبذل الجهدالمناسب اثنا القيام بعملية التفسير او لا تكون لديه القدرة المناسبة على استيعاب المضمون القرآني في التفسير.

ومن الواضح ان هذين السببين ليس مما يختص بهما المنهج التجزيئي دون المنهج الموضوعي ، كما ا نه لا دليل على ان هذا المنهج من التفسير ، وهو(( ان يفسر القرآن الكريم آية آية او قطعة قطعة ))

يــنــتــهــي الى آرا مختلفة ، لا نناشترطنا في التفسير التجزيئي عدم تفسير هذه الاية او هذه الــقــطــعة الا بعد الرجوع الى الايات الاخرى من القرآن الكريم والى كل القرائن المؤثرة في فهم هــذه الــقــطعة ومن ثم استخلاص النتيجة منها ، لا ان تؤخذ القطعة معزولة عن كل ماحولها مما قد يؤدي الى وقوع النتائج السلبية المذكورة .

## ثانيا ــ فيما يخص شيوع التفسير التجزيئي :

فقد ذكر السيد الشهيد الصدر ١ ان سبب ظهور نزعة التفسير التجزيئي اولا واستمرارها لقرون عديدة ثم نشؤ التفسير الموضوعي في احضان التفسيرالتجزيئي حتى اخذ موقعه المناسب في هذا العصر ، هو التفسير بالماثور.

ان هــذا الــتــفــسير لهذه الظاهرة غير واضح ــ لدي على اقل تقدير ــ ففي تصوري ان سبب شيوع الاتجاه التجزيئي في التفسير وسبقه للاتجاه الموضوعي مرجعه الى امرين :

احدهما ــ القدسية التي احاطت النص القرآني الكريم :

ان الــقرآن الكريم بصفته كتابا مقدسا وضع ضمن ترتيب ونص معين ــ من قبل النبي ٩ على الاصح ، او فــي زمن متاخر ــ كما يحتمله بعضهم ، ويبدا هذاالترتيب بفاتحة الكتاب ويختتم بسورة ( الناس ).

وقــد بــقــي الــمــسلمون وحتى يومنا الحاضر يحترمون هذه الصيغة وهذا الشكل التركيبي للقرآن الكريم ، الامر الذي ادى الى التقيد بهذا الترتيب في قراة القرآن وفي تفسيره ودراسته .

وهــذا هــو الــســبــب الــرئيس ــ في تصورنا ــ الذي ادى الى ظهور النزعة التجزيئية في التفسير وشيوعها.

وهــذا الشي هو ما نشاهده ايضا وفي كل النصوص التي تتصف بقدسية خاصة في ترتيبها ــ من ناحية ورودهــا وحــفــظــها ضمن تسلسل معين ــ وان كانت بدرجة اقل من القرآن الكريم ، كنهج البلاغة والصحيفة السجادية ، فشروحهمافي مختلف العصور ، شروح وفق المنهج التجزيئي .

ولعل انتهاج الدراسات الفقهية للمنهج الموضوعي منذ بداية نشاتهاوالتطور الذي حصل فيها مرده الى ان

**الـــحـــديـــث الـــنبوي ما وضع لا من قبله ٩ولا من قبل الصحابة في الصدر الاول ضمن نص معين وتـــســـلـــســـل مـــقـــدس مـــعـــين ،يبدا برواية خاصة وينتهي برواية معينة اخرى ، بحيث يصبح هذا الشكل موضوعا للابحاث والدراسات بعد ذلك ، بل جا ومنذ البداية على هذا الشكل المتفرق ، وقد تم جمعه في عصور متاخرة بعمل وجهد انساني محض .**

**والاخر ــ انتفا الحاجة للبحث الموضوعي :**

هو ما اشرنا اليه سابقا ، وما ذكره السيد الشهيد الصدر ١ وهو وجودالحاجة الاجتماعية الى البحث الـمـوضـوعـي فـي هـذا الـعصر اكثر من غيره ، وذلك لان المسلمين كانوا قد عاشوا النظريات الاسلامية سابقا ، من خلال التطبيق ،وقد كانت موجودة بينهم بشكل اجمالي وعام .
وعلى هذا الاساس لم يكونوا يشعرون باهمية البحث الموضوعي ،خصوصا في القضايا الاجتماعية .
ولـذا نلاحظ ان التفسير الموضوعي للقرآن الكريم على مستوى العقائدوالفقه ، قد برز منذ القرن الاول وذلـك لبروز الحاجة اليه من خلال الصراعات العقائدية التي اجتاحت المجتمع آنذاك ، ولان الـعـقـائد لا يعيشها الانسان من خلال الممارسة الخارجية ، بل من خلال المفاهيم والتصورات التي يعتقد بها وكذلك بروزالحاجة الى الفقه ولو على مستوى التطبيق ، لان المجتمع كان اسلاميا.
واما فـي عصرنا الحاضر ــ وباعتبار وجود النظريات الاخرى في الواقع الخارجي ــ فقد برزت الحاجة الى المنهج الموضوعي في التفسير لسد هذه الحاجة .

## ثالثا ــ فيما يخص حالة العمق والسطحية في المنهجين :

فقد ذكر السيد الشهيد الصدر ١ : ان التفسير التجزيئي تفسير لفظي سطحي نسبيا ، بينما التفسير الموضوعي تفسير عميق وتفسير للمعنى يتم من خلاله تعرف مصاديق المفاهيم وتطبيقاتها الخارجية .
والواقع : ان هذا الامر غير واضح ، اذ يمكن ان يكون كلا التفسيرين عميقين ، ولا داعي لافتراض اقـتـصـار التفسير التجزيئي على المعنى اللغوي السطحي واستخلاص المفهوم للاية القرآنية او الـمـقطع القرآني وحده ، وانما يمكن التعمق والتعرف على كل مداليل تلك الاية حتى المرتبط منها بالمصاديق والتجسيدات الخارجية .
ولـذا لا يـمـكـن ان تـكون هذه الملاحظة ــ حسب راينا ــ ميزة للتفسيرالموضوعي على التفسير التجزيئي .

## المقارنة بين منهج التفسير الموضوعي والتفسير التجزيئي :

مـن خـلال الـمـنـاقشة السابقة اثبتنا ميزة واحدة يرجح بها منهج التفسيرالموضوعي على المنهج التجزيئي وهي امكانية استخلاص النظريات القرآنية من خلاله .
فـهـل بـالامـكان اثبات ميزة يرجح بها المنهج التجزيئي على المنهج الموضوعي ؟ وحينئذ لا بد من الجمع بينهما ، لان كلا منهما يؤدي غرضا مهما لايمكن ان يؤديه الاخر ، او لا بد من التزام المنهج الـمـوضوعي في التفسير بدعوى :ان التفسير التجزيئي لا يمتاز على التفسير الموضوعي بشي ، ومن ثم نصل الى نفس النتيجة التي توصل اليها السيد الشهيد الصدر ١ من ترجيح التفسيرالموضوعي عـلى التفسير التجزيئي ، لا نه يمثل محاولة متقدمة وخطوة تكاملية في مسيرة التفسير ، لان كل ما هـو مـوجـود فـي الـتـفـسير التجزيئي موجود في التفسيرالموضوعي مع امتياز لصالح التفسير الموضوعي .
واما المسوغ العملي فهو قضية اختيار ومراعاة للمصلحة الذاتية التي يواجهها المفسر ، فهو مسوغ ذو طابع ذاتي يرتبط بالظروف التي تحيط المفسرنفسه ، ولهذا نجد بعض المفسرين الذين يلتزمون الـمنهج

التجزيئي يعمدون الى تفسير سورة واحدة يختارونها نتيجة للظروف الخاصة التي احاطت بهم اولشعورهم بعدم توفر الفرصة لتفسير جميع القرآن .
ونحن نعتقد ان لمنهج التفسير التجزيئي ميزة تجعله منهجا يحقق هدفا لايمكن تحقيقه من خلال منهج التفسير الموضوعي .
ومن اجل معرفة حقيقة هذه الميزة لا بد من الرجوع الى مقدمة معرفة الهدف من نزول القرآن الكريم ، والتي اشرنا اليها سابقا.

## اسلوب القرآن الكريم في العرض :

فقد قلنا بان هدف النزول الرئيس هو ايجاد عملية التغيير الاجتماعي الجذري وخلق القاعدة الثورية المناسبة لحمل الرسالة مع بيان المنهج الصحيح لهذه العملية .
وقد انعكس هذا الهدف بثاره وظلاله على القرآن الكريم واثر في اسلوبه ومنهجه في عرض الافكار والمفاهيم .
ومن هنا نجد ان القرآن الكريم لم يوح من قبل اللّه تعالى الى النبي ٩مصنفا ، كما هو متبع في الكتب العلمية المصنفة الى فصول وابواب ، ولكل باب موضوعه الخاص به ، وهكذا فلم يتناول القرآن ــ مثلا ــ مسالة التوحيد في سورة ، والنبوة في اخرى ، وهكذا بل طرح الموضوعات والمفاهيم طرحا متداخلاومزدوجا ، فنجده وفي قطعة واحدة ــ بل وحتى في آية واحدة احيانا ــ يتعرض الى مسالة التوحيد والوحي وخبر نبي ما ، وتهديد قوم ما ، وبشارة الاخرين .
وفي احيان كثيرة يكرر القرآن الكريم هذه المفاهيم كلها او بعضها وفي موضوعات متعددة وباشكال مختلفة .
وقد شكلت هذه الطريقة في عرض المفاهيم والافكار سمة من سمات القرآن الكريم ، ولم تكن مسالة عادية ، بل هو منهج استهدف القرآن من خلاله هدفامعينا وهو هدف التغيير الاجتماعي الجذري ، وذلك لان طرح الافكار والمفاهيم على الانسان وبهذا الشكل يؤثر عليه تاثيرا خاصا ويبني روحه ونفسه بنامحكما متداخلا من خلال عملية تربوية موضوعية يعيشها الانسان اثنا تفاعله مع القرآن الكريم ومفاهيمه .
وقد كان للقرآن الكريم اضافة الى هذه الطريقة العامة في العرض اسلوب خاص في العرض ايضا ، هذا الاسلوب الذي جعل هذه الايات مقطعة وبهذاالشكل ، وذات بداية ونهاية معينة .

## ميزة التفسير التجزيئي الخاصة :

وبعد معرفة هذا يمكن ان نفهم الدور الذي يقوم به التفسير التجزيئي الذي يتابع منهج القرآن في التغيير والهدف الذي يحققه والذي لا يمكن تحقيقه من خلال التفسير الموضوعي ، وهذا الهدف يمكن تلخيصه بما يلي :
اولا : يمكن من خلال هذا المنهج معرفة الحالة التي كان يعيشها المجتمع في عصر النزول بشكل دقيق وكذلك بعض الحالات الخاصة بالمجتمعات الاخرى ، كحالة النفاق لدى اليهود مثلا ، وذلك من خلال ملاحظة

حركة الواقع المعاش وكيفية معالجته في طرح المفاهيم .
ثانيا : معرفة طريقة واسلوب معالجة القرآن الكريم لتلك الظواهروالحالات الاجتماعية الخاطئة ، من خلال دراسة المقطع القرآني الذي تعرض لهذه الحالات واستهدف معالجتها وتغييرها وهذا لا يمكن ان يتم من خلال دراسة موضوع الاسلوب القرآني الا اذا كانت دراسة مستوعبة لكل الايات او ما يشبه هذا النوع من الاستيعاب .
ثالثا : تطبيق تلك الحالة المشخصة وطريقة معالجتها على الواقع المعاش في هذا العصر ، وذلك لان حركة التاريخ محكومة بسنن تاريخية ثابتة جعلها اللّه تعالى مسيطرة على حركة الانسان وحاكمة عليها وعلى طول خط حركة البشرية ، ولذا اثار القرآن الكريم القضايا والقصص المعاشة في القرون السابقة من اجل استخلاص وانتزاع الموعظة والعبرة منها.
ومع ان التفسير الموضوعي ايضا يهتم بالواقع الموضوعي ومشاكله ، الا ا نه لا يستطيع ان يقوم بهذا الدور ، وذلك لان جوابه يكون جوابا تجريديا ، اي يجردفيه النص القرآني من خصوصياته بصفته نصا له سياقه الخاص ، وظروفه الخاصة في النزول ، وطريقته المعينة في المعالجة من خلال طرح المفاهيم المتعددة ،وبصورة متداخلة ، ومن مقطع قرآني واحد.
ولذا نعتقد ان ( دراسة القرآن الكريم دراسة تجزيئية وعلى اساس هذاالمنظور سيكون لها دور في احداث حالة تغييرية في المجتمع ، من خلال التفاعل مع المفاهيم القرآنية ، ومن خلال معرفة مصاديقها ، ومعرفة تطبيقاتها المعاصرة التي نعيشها الان ).
اذن فهذه المدرسة التفسيرية المعروفة ــ والتي استجابت للنص القرآني وفق الطريقة التي كتب وثبت بها ــ لها ميزتها وفلسفتها ، وذلك باعتبار استجابتهاللهدف القرآني الرئيس ، والذي فرض ان تكون طريقة طرح القرآن الكريم للمفاهيم المتعددة بهذا الشكل المتداخل ، وليكون مزيجا يحقق حالة الشفاللبشرية :
( وننزل من القرآن ما هو شفا ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ) ((١١٢)) .

## المنهج المختار :

ان هذه الميزة التي ذكرناها للمنهج التجزيئي لا تعني ان هذا المنهج هوافضل من منهج التفسير الموضوعي ، بل كلاهما منهج اساسي ولكل منهما ميزة تميزه عن الاخر.
ولكننا في الواقع قد اخترنا منهج التفسير التجزيئي لاننا نعتبره اكثر اهمية ،والحاجة اليه حاجة ملحة في ظروفنا المعاصرة ، وا نه اكثر انسجاما مع طبيعة الحاجات العامة التي يعيشها الناس ، لا نه لا يكتفي بطرح النظريات الواقعية ،بل يعمد الى بيان المعالجة الميدانية للحالات الروحية والاجتماعية والسياسية ،وله دور في عملية التغيير التي يواجهها المجتمع الانساني بشكل عام والاسلامي بشكل خاص ، من خلال تربية الانسان المسلم تربية قرآنية ، ومن خلاله يمكن ان نتحرك ونتعامل مع الناس في قضاياهم اليومية ومشاعرهم واحاسيسهم وطموحاتهم الذاتية .
واما التفسير الموضوعي فانه يمثل تفسير النخبة والعلما والمحققين الذين يريدون ان يستكشفوا النظريات القرآنية ، ويكتسب اهمية خاصة على هذاالمستوى .

عـلـــى ا ننا سوف نحاول ان نتناول ( الموضوعات المهمة ) وفق المنهج الموضوعي بشكل مختصر اتماما للفائدة واستطرادا ، وسنجمع بذلك وبقدر ما بين المنهجين .

## المعالم العامة للمنهج المختار :

مـــن خـــلال كـــل مـــا ذكرناه سابقا تبين ان هناك مجموعة من الاسس والمعالم سوف تحكم منهجنا في التفسير :

الاول : ( الموضوعية ) بمعنييها السالفين ، اي ما قصد بها تناول ( الموضوعات القرآنية ) المختلفة بالبحث ، او ما يقصد بها الاهتمام بـــ ( الواقع الموضوعي ) ومحاولة معالجة القضايا المعاشة من خلال المفاهيم والنظريات القرآنية .

الثاني : ( روح القرآن الكريم العامة ) التي تمثل اصلا في فهم القرآن الكريم والتفاصيل الموجودة فيه ، وقرينة على فهم هذا النص او ذاك في القرآن الكريم .

كما نقصد من هذا ايضا اننا وان احتجنا في بحث القرآن الكريم الى كثيرمن النصوص الماثورة عن الـــمـــعـــصـــومـــيـــن : لفهمه وتوضيح المراد منه ، ولكن الاصل هو القرآن الكريم الذي يجب ارجاع النصوص اليه عند الاختلاف ، اذ هوالمرجع لتقييم هذه النصوص والحكم عليها ((١١٣)) .

الـــثالث : معرفة ان القرآن الكريم يشتمل على نوعين من الظهور ، وهما :الظهور البسيط والظهور الـــمعقد ، وسوف نهتم بشكل خاص بتفسير الظهور المعقدفي القرآن الكريم من خلال المقارنة بين الايـــات الـــقـــرآنـــية والرجوع الى روح القرآن العامة المستنبطة منه ، وكذلك الى الايات القرآنية الاخـــرى الـــتـــي تعالج نفس الموضوع بطريقة او باخرى ، مع بيان الجذر اللغوي والعرفي للظهور البسيط.

الرابع : الانتباه الى ان للقرآن الكريم مستويين من التفسير ، وهما :

اولا : تفسير اللفظ ، وهو بيان مفهومه اللغوي العام .

ثانيا : تفسير المعنى ، وهو بيان المصاديق والمفردات المشخصة المقصودة من اللفظ.

وهـــذا يـــجـــنـــبـــنا كثيرا من المشكلات التي وقع فيها كثير من المفسرين ، حيث خلطوا في عملية التفسير بين هذين المستويين مما ادى الى ظهور مشكلات كثيرة .

فـــقد اعتمد بعض المفسرين على تفسير الصحابة اعتمادا كليا ، دون الانتباه الى ان الصحابة ــ وفي اغـــلـــب الاحيان ــ كانوا يفسرون اللفظ ويفسرون المعنى في نفس الوقت وفي عملية واحدة ، بحيث يـــذكرون المفهوم اللغوي الذي استخدمه القرآن الكريم من خلال ذكر مصاديقه او بعضها التي كانت مـــورد الـــنزول او ابرزالمصاديق في ذلك العصر ، بحيث اشتبه بعض المفسرين بعد ذلك ، فجعلوا الـــمـــفـــاهيم القرآنية العامة التي فسرها الصحابة بمصاديقها مرتبطة ارتباطا كليا بهذا المصداق الذي ذكـــره الـــصـــحابة لها ، فاصبح المفهوم القرآني مرتبطا باحد مصاديقه التي كانت موجودة في عصر الـــنزول بحيث لا يحتمل غيره من المصاديق ، وهذا ما جعل القرآن الكريم ميتا بحسب الاصطلاح ، اي ا نـــه ارتـــبـــط بالحوادث الماضية التي قدماتت وانتهت مع ان القرآن حي باق لا بد من التدبر فيه واستنباط الموقف والمصداق منه لكل زمان ومكان .

ففي قوله تعالى : ( فاسالوا اهل الذكر ) ((١١٤)) وردت الروايات عن المعصومين بان اهل الذكر هم اهل البيت : ، فعن الصادق ٧ قال :

(( الذكر محمد ٩ ونحن اهله المسؤولون ونحن اهل الذكر ونحن المسؤولون )) ((١١٥)) .
وقــد وقع بعض المفسرين في الاشتباه اذ جعلوا مصداق الاية الاوحد هم اهل البيت : ، في حين ان مــعنى اللفظ هو : ( اهل الخبرة بالدين والكتب والرسالات ) وان لهذا المفهوم مصاديق متعددة ، وان صح ان ابرز مصاديق هذاالمفهوم هم اهل البيت : ، ولكن هذا من باب الجري والتطبيق عليهم :لا من باب اختصاصهم به دون غيرهم ، وقد اشار اهل البيت : الى هذاالمعنى ايضا.
فقد ورد عن ابي بصير ، قال : قلت لابي عبد اللّه ٧ : (( انما انت منذرولكل قوم هاد )) ؟.
فــقال : (( رسول اللّه المنذر ، وعلي الهادي ، يا ابا محمد هل من هاد اليوم ؟قلت بلى جعلت فداك ما زال فــيكم هاد بعد هاد حتى دفعت اليك ، فقال : رحمك اللّه يا ابا محمد ، لو كانت اذا نزلت آية على رجــل ثــم مات ذلك الرجل ماتت الاية مات الكتاب ولكنه حي يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى )) ((١١٦))
.
مــن خلال فهمنا للتمييز بين تفسير اللفظ وتفسير المعنى ، يبقى القرآن حياوتبقى مفاهيمه ممتدة ما دامت هناك حياة على وجه الارض الى آخر الزمان .
الــخامس : ما اشرنا اليه في تمييز التفسير التجزيئي على التفسير الموضوعي وهو ابراز الطريقة الــتــي عــالــج بــهــا القرآن الكريم القضايا والمشاكل الاجتماعية المختلفة من خلال النص القرآني والمقطع القرآني المعين مع تطبيقها على الحالات المشابهة لها في هذا العصر.
الــسادس : الخلفية العقائدية الصحيحة للمفسر ، وهي ان نعيش تلك الخلفية العقائدية المستنبطة من الــقرآن الكريم والتي تشكل الاطار العام لفهمه ، وان نفهم ان القرآن الكريم هو وحي الهي وله ذاك الهدف المشخص ، وهو هدف التغييرالاجتماعي الجذري .

## الجانب الثاني

## الاهتمامات التفسيرية

يــشــتمل القرآن الكريم على ابعاد متعددة ومختلفة تتعلق بالدين والشريعة والحياة والكون كما ا نه يــمــثل من ناحية اخرى الكلام العربي الذي بلغ حدالاعجاز وقد واكب حركة الدعوة الاسلامية ، وهذه الابعاد المختلفة كانت موضع اهتمامات مختلفة ايضا من قبل الباحثين والمفسرين له .
فــقــد اهــتــم بــعــضهم بالجانب ( الفقهي ) فيه وذلك باعتبار اشتماله على كثير من الاحكام الفقهية المرتبطة بالشريعة .
واهــتــم بعض بالجانب ( الفلسفي ) باعتبار اشتماله على كثير من الحقائق المرتبطة بالكون والحياة والمبدا والمنتهى ، وهي حقائق تقوم على اساسهاالنظريات الفلسفية .
كــمــا اهــتــم بــعض آخر بالجانب ( الكلامي ) وهو الجانب المرتبط بالعقائدوالنظريات العقائدية الكلامية في الاسلام والدفاع عنها.
واهــتــم آخــرون بــالــجــانب ( البلاغي ) وذلك بلحاظ كونه معجزة بلاغية ،وهكذا ونجد بعض الــمــفــســريــن قــد اهتم بابعاد اخرى قد لا تكون موجودة فيه بشكل واضح ومستقل ، وانما يمكن

انــتــزاعــهــا مــنــه واستفادتها استفادة خاصة ، كمانجد ذلك في التفاسير التي تهتم بالجانب الصوفي والجانب العرفاني فيه .

الخلفيات :

ان لهذه الاهتمامات المختلفة خلفيات متعددة تمثل اهدافا متعددة او اسبابامتعددة : الاول : ان بــعض المفسرين يحاول ان يبدع في الجانب الذي اختص فيه وذلك باعتبار سعة اطلاعه وطــول بــاعــه فــي هذا الاختصاص المعين فيتاثر بذلك عمله التفسيري ، حيث يحاول ان يجعل من الــقــرآن الكريم ميدانا لابرازاختصاصه وتحقيقاته والنتائج التي توصل اليها في هذا الاختصاص ، فنرى ان بعض الفقها من المفسرين قد اهتم بالجانب الفقهي للقرآن الكريم ، كما اهتم بعض علما اللغة العربية بجانبه البلاغي وهكذا.
الــثــانــي : ان بــعــض المفسرين له هدف حق يرتبط بالدين والشريعة ، ويرى ا نه من خلال تفسير القرآن الكريم وفق منهج معين ومن خلال جانب معين يمكن ان يتحقق ذلك الهدف ، فيهتم بهذا المنهج او الجانب دون غيرهما ، كما فعل بعض علما المسلمين ((١١٧)) عندما واجهوا حركات ودعوات ونــظــريــات غــير اسلامية تطعن بالاسلام والقرآن الكريم ، كنظريات الزندقة في العصر الاول للاسلام ، ونظريات ومدارس التبشير في العصر الحديث .
الــثــالــث : وجود الحاجة الموضوعية لتناول جانب مهم في القرآن الكريم ،كما هو الحال في بعض الــدراســات اللغوية والفقهية في القرون الاولى للتاريخ الاسلامي عندما وقع الاختلاط بين العرب وغــيــرهــم من الشعوب واصبح من الضروري المحافظة على القرآن من ناحية ، وشرح وتوضيح مفرداته وطريقة اعرابه للشعوب الاخرى من ناحية ثانية .
وما ينبغي علينا هنا ، وفي مجال دراسة هذه الاهتمامات المتنوعة هو ان نميزبينها من خلال دراسة حــالتها العامة وذلك باعتبار ان بعضها يمثل خلفية صحيحة وحقة وبعضها يمثل خلفية غير صحيحة وبــاطــلــة ، مــع قطع النظر عن مسالة الخطاوالصواب لاحتمال وجود الخطا حتى في الاهتمامات الصحيحة والحقة مما يؤدي الى عدم الحصول على النتيجة التي يرجوها ذلك المفسر.

اهتماماتنا :

بعد معرفة هذا التصور العام عن الاهتمامات التفسيرية المختلفة وخلفياتها ،لا بد لنا من الاشارة الى مجمل اهتماماتنا هنا ، في هذا التفسير ، وهي :

الاول ــ ( الجانب التربوي والتغييري للقرآن الكريم ) :

فــقــد قــلــنــا : ان الــهــدف الاساس للقرآن الكريم هو عملية التغيير الجذري للمجتمع وبيان المنهج الصحيح وخلق القاعدة الثورية لهذا التغيير.
ونحن نضع هذا الهدف امام اعيننا في بحثنا هذا لنتبين المعالم التغييرية والتربوية في القرآن الكريم ومنهجه في هذه العملية .
وقــد فــرضــت ــ علينا ــ طبيعة الظروف التي تعيشها الامة الاسلامية في هذاالعصر الاهتمام بهذا

الجانب وبصورة كبيرة .
فـمـنـذ الـصدر الاول للاسلام وحتى سقوط الدولة الاسلامية كان المجتمع مجتمعا اسلاميا على مستوى الاطار العام والقوانين والشعارات رغم وجود بعض الانحرافات فيه .
وهـذا مـا يفسر لنا ايضا قلة اهتمام مفسري هذه الحقبة بهذا الجانب المرتبطبعملية تغيير المجتمع تغييرا جذريا.
واما في عصرنا الحاضر فان المجتمع قد تغير بصورة كبيرة ، فرغم وجودالمسلمين في مجتمعنا الـمعاصر ورغم وجود بعض الجذور الاسلامية المتحكمة في تقاليدهم واعرافهم واخلاقهم ، الا ان المجتمع وبشكل عام في اكثر بلادالمسلمين مجتمع غير اسلامي ، وان حالة ( الطاغوت ) هي الحالة التي تتحكم فيه وتشكل اطاره العام .
ومـن ثـم نـحن بحاجة الى الاستفادة من القرآن الكريم ومنهجه في العملية التغييرية من اجل تغيير الـمـسـلـمين باتجاه الاسلام وتعميق الجذور والعلاقات والنظم الاسلامية في المجتمع الاسلامي واشاعة النور والهدى فيه بدل الظلام والضلال .

## الثاني ــ ( السياق القرآني ) :

رتب القرآن الكريم ترتيبا معينا ، يبدا بسورة ( الفاتحة ) ويختم بسورة ( الناس ). وكـمـا هو معروف فان هذا الترتيب ليس هو ترتيب النزول ، ولو كان كذلك لما كانت قضية السياق القرآني واردة ومطروحة للبحث .
وعلى احد قولين : فان هذا الترتيب الموجود بين ايدينا الان هو ترتيب النبي ٩ للقرآن الكريم ، وقد جا بعضه متطابقا مع نزوله وحيا وبعضه غير في ترتيبه النبي ٩.
وهـنـاك مجموعة من الشواهد والقرائن ((١١٨)) تورث الاطمئنان الى ان ترتيب القرآن وبشكله الحالي هو ترتيب نبوي وان نفس هذا الترتيب قد اقر بعد ذلك في زمن الخلفا.
واما القول الاخر فخلاصته : ان هذا الترتيب هو الترتيب الذي تم في خلافة ( عثمان ) ، وان النبي مـحـمدا ٩ لم يرتب القرآن الكريم بشكل معين ، بل تركه بين ايدي المسلمين بشكل متناثر ، وبقي هكذا حتى عهد عثمان بن عفان .
وسوا اخذنا بالقول الاول او الثاني ، فان القرآن الكريم بترتيبه الحالي قداقره المسلمون منذ الصدر الاول للاسلام وحتى الان .
ورغـم وجـود الاختلافات العقائدية والفكرية بين المسلمين ، الا ا نه لم يعرف بينهم اختلاف فيما يتعلق بهذا الموضوع .
وهذا الامر في الواقع يدل على وجود هدف مشروع ورا هذا الترتيب وهذا السياق للقرآن الكريم ، ولا بد ان يقوم البحث التفسيري بمهمة اكتشاف وابراز هذا الهدف وتحقيقه .
وسـوف نـلاحـظ فـي مستقبل البحث ــ ان شا اللّه ــ ان مجي كثير من المقاطع القرآنية بشكل معين وبـطريقة معينة قد يكون غير مفهوم ولا يتناسب مع اهداف القرآن الكريم المرتبطة به ، وذلك اذا اخذت هذه المقاطع بصورة مستقلة ولم تلاحظ فيها مسالة السياق والارتباط مع المقاطع الاخرى .
وكمثال على ذلك : قصة موسى ٧ مع العبد الصالح وتبدا بقوله تعالى :

( واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين ) ((١١٩)) .
هــذه الــقصة اذا انتزعت بصورة مستقلة ولم تلاحظ فيها مسالة السياق ،فسوف تكون عملية فهمها وتــعرف الهدف منها عملية محدودة وغير واضحة ،وسوف يتسال المطالع للقرآن عن المقصود من هذه القصة باعتبار ان القرآن الكريم ليس كتاب قصة ، بل هو كتاب هداية .
واما عندما نربط بين هذا المقطع من القصة وبين الايات والمقاطع الاخرى ذات العلاقة ، ومن خلال الــبــحــث التفسيري فسوف نتمكن من ابراز كثير من المفاهيم والمعاني الجديدة ، وسوف نتمكن من الاجابة عن هدف ذكر القرآن الكريم لهذه القصة ، وغير ذلك من المسائل الاخرى .

## الثالث ــ ( الظواهر القرآنية ) :

والامر الثالث هو الاهتمام بمجموعة من الظواهر القرآنية التي قد لا يلتفت اليها الباحث او الانسان الاعــتــيــادي عــنــد دراسة القرآن الكريم مقطعا مقطعا من دون ملاحظة هذا المقطع او ذاك ضمن ظاهرة معينة موجودة في القرآن الكريم .
وهــذا الامــر شــبيه ببحث المنهج الموضوعي الذي ينتزع النظرية القرآنية من مجموعة المقاطع والايات المرتبطة بها.
وامــا في هذا الاهتمام فاننا نريد ان نلاحظ ظاهرة معينة من خلال ملاحظة مجموعة من المفردات الــقرآنية ، ثم نريد ان نفسر هذه الظاهرة بعد ذلك وان نعرف خلفيتها واسبابها ، وذلك لما للظاهرة القرآنية من اثر في صياغة اسلوب القرآن ومضمونه .
ومــثــال ذلــك هــو ظــاهــرة ( البسملة ) في القرآن الكريم ، وظاهرة اهتمام القرآن الكريم بربط الاســلام ــ وهــو الدين الخاتم ــ بابراهيم ٧ ، وظاهرة ( الاستهلال )في بداية السور القرآنية ( الحروف المقطعة ).
وقد نجد في كتب التفسير اهتماما ببعض الظواهر القرآنية الا ان هذا الاهتمام لم يصل الى مستوى الاهتمام الاساسي والمنهج العام الذي يحاول ان يفسر كل الظواهر القرآنية الممكن استكشافها فيه .
على ا ننا لا ندعي با ننا سوف نفسر كل الظواهر القرآنية وباجمعها ، بل اننا سوف نتخذ هذا الامر ( الاهتمام بالظاهرة القرآنية ) ضمن اهتماماتنا الاساسية في التفسير.

## الرابع ــ ( الاهتمام بتفسير مفردات النص القرآني ) :

وســوف نحاول ان نجرد تفسير هذه المفردات مما التبس بها من تقييدات وتحديدات على مستوى ( تفسير المعنى ).
حــيــث قلنا : ان بعض المفسرين قد حاول ان يفسر اللفظ القرآني الذي جاشاملا بالمعنى والمصداق الــذي اقــتــرن بــاللفظ ، وجعل بذلك اللفظ مقيدا بحدودالمصداق الذي يذكره ، مما ادى الى ظهور مشكلة كبيرة في التفسير بعد ذلك ،حيث كان المفسرون يختلفون في تفسير النص الواحد بان يذكر كل واحد منهم مص داقا له يختلف عن المصداق الذي يذكره الاخر.

## الخامس ــ ( الاهتمام بالتفسير الموضوعي ) :

وذلك من خلال تناول ( الموضوعات القرآنية الاساسية ) ، وبالقدرالمناسب اتماما للفائدة ، وان كان هذا الاهتمام خارجا عن منهج التفسير التجزيئي المختار.

السادس ــ ( الاهتمام بالقضايا ذات الخلافات المذهبية ــ الفكرية اوالعقائدية ــ او الفقهية ) :

والمرتبطة بالقرآن الكريم لا الخارجة عنه والمتعلقة بخصوص الايات والمضامين القرآنية المبحوثة ، فنذكر الارا المختلفة حول الاية او تفسيرها ، ثم نبين الراي الصحيح منها استدلالا ، كل ذلك مع مراعاة عدم الخروج عن الاهتمام بالقرآن الكريم ذاته الى الاهتمام بالخلافات تلك .
السابع ــ ( الاشارة الى الماثور عن المعصوم ٧ في تفسير القرآن بصفته شاهدا وقرينة على ما نفهمه من النص القرآني ) :
وتكون الاشارة بالقدر المناسب للتفسير من ناحية ، والمناسب لنفس الماثور من ناحية اخرى ، اذ ان للماثور مستويات متعددة من حيث الصحة والوثوق والاهمية ، وسوف نقتصر على الماثور الذي له مستوى معين من الصحة والوثوق او المؤيد لمجمل ما نستفيده من القرآن الكريم .

تفسير

سورة الحمد

اول سورة في المصحف الشريف هي سورة ( الفاتحة ) المباركة والحديث فيها يقع في مقدمة وثلاثة فصول :

المقدمة

. في البداية يحسن بنا الحديث حول السورة بشكل عام من حيث ( الاسم )و ( الفضل ) و ( الشان ) و ( النزول ) و.

اولا ــ الاسم

لسورة ( الحمد ) اسما عديدة على ما يذكر بعض المفسرين ويبدو ــ من خلال ملاحظة ما ذكره المفسرون من اسما ونسبتها الى القائلين بها ــ ان اسماهاالتي كانت تعرف بها في الصدر الاول للاسلام اربعة فقط ، اذ لا توجد قرينة على وجود غيرها في ذلك العصر ، وان سميت باسما اخرى بعد ذلك :

ا ــ ( ام الكتاب ) :

وقد جا هذا الاسم بصفتين ، احداهما ( ام الكتاب ) والاخرى ( ام القرآن ) ، ولعل التسميتين واحدة ، وذلك باعتبار ان المراد من ( الكتاب ) و( القرآن ) امر واحد.

وقد سميت بهذا الاسم اما لمناسبة ا نها تمثل اصلا للقرآن الكريم ، لان ( ام ) الشي في اللغة ( اصله ) ، اذ ان ( الـفاتحة ) وبحسب مضمونها الكلي تمثل الاصل المجمل للمفاهيم والمضامين القرآنية ، كما سيتضح ذلك عند البحث في تفسيرها الاجمالي .

واما لمناسبة ان المصحف الشريف ابتدا بها فهي متقدمة على سائر سوره ،والعرب تسمي كل جامع امر ومتقدمه اذا كانت له توابع تتبعه ( اما ) ((١٢٠)) .

وبهذا اللحاظ ايضا اطلق عليها وفي عصر متاخر ــ اسم ( اساس القرآن )او ( الوافية ).

## ب ــ ( الحمد ) :

والوجه في هذه التسمية هو ابتدا السورة بكلمة ( الحمد ) بعد( البسملة ) ((١٢١)) . وهـذا الـوجـه مـن التسمية ظاهرة مشتركة في القرآن الكريم ، اذ سميت السوربلحاظ الكلمات الـبارزة فيها او الكلمات التي تبتدا بها او بلحاظ قصة او حادثة فيها ذات خصوصية من قبيل السور المباركة ( البقرة ، العصر ، الطارق ، الجمعة ،الصف ).

الابتدا بالحمد في السورة وان لم يكن مختصا بهذه السورة المباركة ، الا ا نها هي السورة الوحيدة التي ابتدا فيها ( الحمد ) حكاية على لسان ( العبد ) كماسوف نوضح ذلك عند تفسيرها.

## ج ــ ( الفاتحة ) :

والـوجـه فـي هـذه الـتـسمية هو افتتاح المصحف الشريف بها ، ويبدو ان ظاهرة افتتاح المصحف الـشريف بالفاتحة كانت في ايام الرسول ٩ او في الصدرالاول للاسلام على الاقل ، حتى لو قلنا بان هذا الترتيب الخاص للمصحف كان متاخرا عن رسول اللّه ٩ ((١٢٢)) .

وقد يكون السبب في تسميتها بالفاتحة هو ان تنزيل القرآن الكريم قدافتتح بها ايضا وليس المصحف فـقـط بـنـا على ان اول سورة كاملة نزلت من القرآن الكريم هي سورة الفاتحة ، حيث وردت بعض الروايات ((١٢٣)) تؤيد هذا المعنى اضافة الى ا نها جز اساس من الصلاة ، وقد شرعت الصلاة من اول البعثة .

واول سـورة الـعـلـق ، وان كـان اول ما نزل من القرآن كما تدل على ذلك كثيرمن الروايات وهو المشهور بين علما القرآن ، الا ان السورة بكاملها نزلت بعدتشريع الصلاة كما يشير الى ذلك بعض آيـاتها وما جا في سبب نزولها ( ارايت الذي ينهى # عبدا اذا صلى ) ((١٢٤)) ، من محاولة ابي جهل الاعتدا على رسول اللّه٩ .

وعـلـى كـل حال لا يستبعد ان يكون الراي الاول هو الاوضح في منشا هذه التسمية بنا على ما بين ايدينا من المصاحف .

## د ــ السبع المثاني :

ويمتاز هذا الاسم با نه ورد ذكره في القرآن الكريم تسمية لها ، قال تعالى : ( ولـقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ) ((١٢٥)) .

وقــد فسرت الروايات ( السبع المثاني ) بسورة ( الفاتحة ) ، ففي تفسيرالعياشي (( سئل ابو عبد اللّه ٧ عــن قــولــه تعالى ( ولــقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ) قال : هي سورة الحمد )) ((١٢٦)) .

ويذكر ان سبب تسميتها بــ ( السبع ) هو اشتمالها على سبع آيات ، حيث اتفق العلما على عدد آياتها ، وان اخــتــلــفــوا في المصاديق الخارجية لهذه الايات ،وهذا الاختلاف ناشئ من كون البسملة آية ، لتكون الاية الاخيرة من السورة هي ( صراط الذين ا نعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ) ، ام ليست بية لتكون الاية الاخيرة هي ( غير المغضوب عليهم ولا الضالين ).

واما ســبــب وصــف ( الــســبــع ) بــ ( المثاني ) فهو ، كما ورد في بعض الروايات ،وذكره بعض المفسرين ناشئ من :

١ ــ امــا تثنيتها وقراتها في الصلاة الواجبة والمستحبة عدا صلاة الميت وصلاة الوتر ، مرتين لكل صلاة على الاقل ((١٢٧)) .

فــقد (( سئل ابو عبد اللّه ٧ عن قوله تعالى : ( ولقد آتيناك سبعا من المثاني ) ((١٢٨)) قال : هي سورة الحمد ، وهي سبع آيات وانما سميت المثاني لا نها تثنى في الركعتين )) ((١٢٩)) .

٢ ــ او لنزولها مرتين على النبي ٩ بحيث كان هذا سببا في اطلاق وصف التثنية عليها.

## ثانيا ــ النزول

لقد وقع الخلاف بين المفسرين في ان سورة الفاتحة مكية ام مدنية ؟ ومن اجل تشخيص ذلك لا بد لنا اولا ان نــفهم المقصود من مصطلح المكي والمدني ، ثم بعد ذلك لا بد من معرفة الطريقة التي يمكن من خلالها ان نميز المكي عن المدني ثانيا.

اما الامر الاول : فهناك اتجاهات اساسية ثلاثة في تفسير مصطلح المكي والمدني :

الاول : الاتــجــاه الــذي يــعــتــمد المكان اساسا لهذا المصطلح كما قد يتبادر ذلك الى الذهن من نفس المصطلح ، فما نزل من الايات في ( مكة ) فهو ( مكي ) وان كان نزوله في آخر مدة نزول القرآن الكريم ، كما في آيات ( حجة الوداع ) ، وما نزل من الايات في المدينة المنورة فهو ( مدني ).

الــثــانــي : الاتــجــاه الذي يعتمد ( الاشخاص المخاطبين ) بالايات اساسا لهذاالمصطلح ، فاذا كان المخاطب بالايات القرآنية هو عامة الناس فهذه الايات ( مكية ).

واساس التقسيم فيه هو ( المخاطبون ) بالايات انسجاما مع الحالة العامة للناس والوضع السياسي لهم واما اذا كان المخاطب بالايات القرآنية خصوص المسلمين والمؤمنين فهذه الايات ( مدنية ) والسر في ذلك هو ملاحظة ان الوضع السياسي في مكة كان هو غلبة غير المسلمين ، فجا الخطاب بــ ( يا ايــهــا الــنــاس )بــاعــتــبــار ان الــخــطــابات في مرحلة ما قبل قيام الدولة الاسلامية وقبل وجود الامــة والــجماعة المؤمنة كانت موجهة لكل الناس الذين غلب عليهم طابع الشرك ،فخوطبوا بــ ( يا ايــهــا الــنــاس ) واما الخطاب في المدينة فقد جا بصيغة ( يا ايهاالذين آمنوا ) باعتبار غلبة الحالة الاسلامية في هذه المرحلة ، ووجود الجماعة المؤمنة وايمان الناس بشكل عام .

الــثالث : الاتجاه الذي يعتمد ( الزمن ) والمرحلة اساسا لهذا المصطلح حيث تكون الايات التي نزلت قبل الهجرة مكية ، لا نها نزلت في المرحلة المكية بخلاف الايات التي نزلت بعد هجرة الرسول ٩.

واساس التقسيم فيه هو ( الزمن ) المحدد بهجرة الرسول ٩ من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، فـانـــها مدنية وذلك باعتبار ان الهجرة تشكل منعطفافي تاريخ الاسلام ودعوته ، فكل آية نزلت قبل هجرته ٩ ( مكية ) والا فهي ( مدنية ).

ومـــع كـــون هـــذه الاتـــجـــاهـــات الـــثلاثة هي آرا في تشخيص اصطلاح معين ،وبالامكان في مجال الاصـــطـــلاح الاخذ باي منها ، لان عملية الاصطلاح يراد منهاتيسير الفهم في مجال العلم الخاص ، ولـــلعلما ان يضعوا هذا المصطلح بالطريقة التي يريدونها ، ولذا قيل ( لا مشاحة في الاصطلاح ) ، الا ان اوضح التقسيمات وافضلها في تحقيق الهدف والغرض العلمي من التقسيم هو الاتجاه ( الثالث ) الذي تم وفق اساس الزمن ، وذلك لا نه اكثر فائدة في تحقيق الاغراض العلمية فهو :

١ ــ يـــمـــكن تعرف تاريخ الاسلام والتغييرات التي طرات على مجتمع المسلمين ــ من خلال التقسيم عـــلـــى اساسه ــ والطريقة التي عمل بها القرآن الكريم لاحداث هذا التغيير في كل من المرحلتين ، ومعرفة خصائص مدة العمل فيما قبل نشؤالدولة الاسلامية وما بعدها.

٢ ــ ان تـــحديد نزول الايات القرآنية زمنيا امر ينفعنا في علم ( الفقه )ومعرفة الاحكام الشرعية ، حيث يمكن من خلاله تمييز النص الناسخ من المنسوخ ( مثلا ) ، حيث ان الناسخ متاخر بطبيعته عن المنسوخ زمنيا.

ويبقى لدينا سؤال ا نه كيف يمكن ان نميز النص القرآني المكي عن المدني بعد تشخيص المقصود من المكي والمدني ؟.

ولدى علما القرآن طريقان لتشخيص ذلك :

احدهما :

دراســـة مـــضمون الايات القرآنية حيث يمكن من خلال ذلك معرفة المكي والمدني ،فان الايات التي تـــتناول قضايا الجهاد والنفاق والحكم واحكام الاسرة تكون مدنية ، لان مثل هذه الموضوعات تناسب مـــرحـــلـــة بـــنا الدولة الاسلامية والظروف السياسية التي عاشها النبي ٩ في المدينة بخلاف قضايا الوحي والبعث والتوحيد فانها تناسب المرحلة المكية مثلا ((١٣٠)) .

والاخر :

هـــو مـــراجعة النصوص التي وردت في نزول القرآن لتحديد مكان او زمان ورودالسورة او الاية القرآنية .

وفـــي ضـــؤ هـــذا الـــتفصيل في فهم المكي والمدني وكيفية معرفته ، نجد ان دراسة مضمون سورة الـــفـــاتـــحـــة لا يـــنـــفـــع كثيرا في تشخيص كونها مكية ام مدنية ، لان مضمونها يناسب لمناسبته كلتا المرحلتين .

واما الروايات التي وردت بصدد تحديد مكان او زمان نزول هذه السورة ،فعلى قسمين ، حيث اشار الاول منها الى نزولها في مكة ، واشار الاخر الى نزولهافي المدينة .

فـــفـــي تـــفـــســـيـــر الـــطبرسي : (( ان فاتحة الكتاب مكية عن ابن عباس وقتادة ،ومدنية عن مجاهد ))

((١٣١)) .

وفي تفسير السيوطي : (( اخرج الواحدي في اسباب النزول والثعلبي في تفسيره عن علي ٧ قال : نزلت فاتحة الكتاب بمكة )) ((١٣٢)) .

واما من الناحية الواقعية فاننا لو قلنا بان الفاتحة التي هي جز من الصلاة ((١٣٣)) تم فرضها فيها منذ بداية تشريعها ، فمعنى ذلك ان الفاتحة مكية حيث تم تشريع الصلاة في اوائل البعثة النبوية ، ولم يطرا عليها تغيير الا في عدد الركعات .

على ان هذا الاستنتاج لا يشكل مانعا من افتراض نزولها مرة اخرى بعدالهجرة بنا على المذهب المعروف والصحيح من امكان تعدد نزول الاية اوالسورة بسبب تعدد الاسباب والظروف التي قد تؤدي الى نزول الاية لمعالجة السبب او الظرف ، وبهذا اللحاظ ايضا يمكن الجمع بين الروايات التي تحدثت عن نزولها قبل وبعد الهجرة .

.

## ثالثا ــ فضل سورة ( الفاتحة )

يبدو من خلال الروايات الكثيرة الواردة بصيغ ومضامين متعددة ان لسورة الفاتحة خصيصة وميزة على غيرها من سور القرآن الكريم من حيث اهميتها ومضمونها وثوابها وموقعها من القرآن ، بل وحتى من حيث آثارهاالوضعية كذلك :

١ ــ عن الرضا ٧ : ان رسول اللّه ٩ قال : (( ان اللّه تبارك وتعالى قال لي : يا محمد ( ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ) فافرد الامتنان علي بفاتحة الكتاب وجعلها بازا القرآن العظيم ، وان فاتحة الكتاب اشرف ما في كنوزالعرش )) ((١٣٤)) .

٢ ــ وعن الحسن بن علي ٧ قال : قال رسول اللّه ٩ : (( من قرا فاتحة الكتاب اعطاه اللّه عز وجل بعدد كل آية نزلت من السما ثواب تلاوتها )) ((١٣٥)) .

٣ ــ وعن ابي عبد اللّه ٧ قال : (( لو قرات الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه الروح ما كان ذلك عجبا )) ((١٣٦)) .

ولعل ابرز ما يدل على اهميتها هو فرضها مكررة في الصلاة التي تعتبرالعبادة الرئيسة في الاسلام وفـــي حياة الانسان ، ولعل سبب تكرارها في الصلاة ،اضافة الى الاسرار الغيبية التي لا يعلمها الا اللّه ، هو امر مرتبط بما لهذه السورة من قيمة عالية ومضامين كبيرة ذات مستوى عال .

.

# الفصل الاول .

## في البسملة

اول مـــا تـــبـــتـــدا به سورة الفاتحة ــ كما هي مدونة في المصحف الشريف ــ هو( بسم اللّه الرحمن الرحيم ) ، وقد تناول بعض الباحثين موضوع البسملة بشكل مسهب ومفصل وتعرضوا من خلال ذلك لموضوعات كثيرة فلسفية وفقهية ولغوية .

كـــما بحثوا كل مفردة فيها وتناولوها من جوانب متعددة وبشكل تفصيلي ،فهناك بحث لكلمة ( الاسم ) واشـــتـــقاقاتها وعلاقة الاسم بالمسمى وهل هو عين المسمى ام غيره ؟ وما هي العينية ؟ وما هي الغيرية ؟ وهكذا في بقية المفردات .

كـــما اغرق بعض آخر في هذا البحث وافترض ان القرآن الكريم كله موجودفي ( البسملة ) ، وا نـــها تتمركز في حرف ( البا ) ، وان حرف البا يتمركز في ( نقطته ) ، ثم استطرد في البحث عن كل هذه التصورات .

ولا نـــريـــد ان نـــتحدث عن هذه الاية بكل هذه الابعاد ، لا تقليلا من شانها ،بل لان بعضها خارج عن هدف دراستنا التفسيرية هذه ومنهجها ، ولهذا سنقصرالحديث فيها على جهات اربع هي :

.

## الجهة الاولى

## البسملة آية من القرآن الكريم ام لا ؟

وهناك اقوال متعددة في هذا المقام للجواب عن هذا السؤال اهمها ثلاثة هي : الاول : ان ( البسملة ) جز من ( الفاتحة ) ومن كل سورة اخرى من القرآن باستثنا سورة ( براة ).

الـــثـــاني : ان البسملة ليست جزا من القرآن الكريم باستثنا ( البسملة )الواردة في سورة النمل في قوله تعالى :

( انه من سليمان وانه بسم اللّه الرحمن الرحيم ) ((١٣٧)) .

الـــثالث : التفصيل بين سورة ( الفاتحة ) وغيرها من السور ، فيعتبر البسملة جزا من سورة الفاتحة بالخصوص ، واما في غيرها فليست جزا منها باستثناسورة النمل ايضا.

ويـــبـــدو مـــن خلال مراجعة الروايات وقراة التاريخ ان هذه القضية من القضايا التي كانت مطروحة

لـــلـــنـــقاش منذ عهد معاوية بن ابي سفيان على اقل تقدير ، وان كان افتراض كونها اقدم من ذلك امرا واردا ايضا.

## راي الامامية :

والراي الذي يتبناه مذهب اهل البيت : في مسالة ( البسملة ) هو ا نهاجز من القرآن الكريم ومن كل سورة باستثنا سورة ( براة ) ، واهم ادلتهم على ذلك اربعة لو جمعنا بعضها الى جانب الاخر لشكلت وثوقا واطمئنانا على صحة الراي المتبنى وان كان بامكان كل دليل منها ان يكون طريقا قائما بنفسه لاثبات ذلك ايضا ، وهذه الادلة هي :

### الاول ــ الاجماع :

ونقصد به اجماع علما الامامية على ان ( البسملة ) جز من الفاتحة ومن كل سورة عدا ( براة ). وهـــذا ( الاجـــمـــاع ) من الناحية النظرية يمكن ان يكون دليلا وحجة في الوسطالشيعي الامامي ، بـــاعـــتـــباره يولد اليقين عندهم بصحة مضمونه عندما يكون كاشفاعن راي المعصوم وكل اداة اثبات تكشف عن راي المعصوم ٧ تكون دليلالاتباع هذا المذهب .

ولـــكن بالامكان ان نجعل هذا الدليل حجة على اتباع المذاهب الاخرى ايضا ، وذلك من خلال تطوير فـــكـــرة الاجـــماع بحيث تشكل دليلا على صحة هذاالمدعى لديهم ايضا ، ويمكن ان يتم هذا باضافة فكرتين الى الاجماع هذا ، وهما :

الاولى : وهي فكرة متفق عليها بين المسلمين كافة من ان عليا ٧ هوامام المسلمين واعلمهم بالقرآن وشـــؤونه ، وهو المؤسس لعلم التفسير واحد كتاب الوحي الاساسيين ــ بنا على صحة فكرة كتاب الـــوحـــي ــ فاذا اضيفت هذه الفكرة الى الاجماع فسيكون حينئذ اجماع علما الامامية كاشفا عن راي اهل البيت : في ان البسملة هي جز من الفاتحة ومن كل سورة عدا ( براة ).

وراي اهـــل البيت : ــ باعتبار وجود الامام علي ٧ فيهم ــ يمكن ان يكون دليلا لكل المسلمين على ان الـــبـــســـمـــلة جز من القرآن الكريم ، باعتبار ان عليا ٧ هو اعلم الناس بالقرآن ــ باجماع المسلمين انفسهم ــ فاذا ثبت قول علي ٧ في ذلك ثبت به النص القرآني .

الثانية : وهي فكرة اوسع من دائرة شخص الامام علي ٧ وهي فكرة علاقة الملازمة بين قول اهل البيت : والقرآن الكريم التي ثبتت في حديث الثقلين المتواتر بين المسلمين ، ولا يوجد هناك شك في تـــواتـــره عـــن رسول اللّه ٩حيث قال : (( اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ،احـــدهما اعظم من الاخر : كتاب اللّه حبل ممدود من السما الى الارض ،وعترتي اهل بيتي ، ولن يـــفترقا حتى يردا علي الحوض )) ((١٣٨)) ، فهذه الفكرة تؤكد :ان اهل البيت : لا يفترقون عن الحق ولا يختلفون في افكارهم ومتبنياتهم عن القرآن الكريم .

فـــالاجـــماع القائل : بان البسملة جز من القرآن الكريم يكشف عن راي اهل البيت : واهل البيت : لا يفترقون عن الحق والقرآن ، اذن لا بد ان تكون البسملة جزا من القرآن الكريم ((١٣٩)) .

### الثاني ــ الروايات :

وهي الروايات الواردة والمؤكدة ان ( البسملة ) جز من سورة الفاتحة وجز من كل سورة من سور القرآن الكريم عدا ما استثني .

وهذه الروايات وردت في كتب العامة اكثر منها في كتب الخاصة .

ولـــهـــذه الـــروايات السنة ومضامين وبيانات متعددة ، ولو جمعت كلها بعضهاالى بعض لامكن الادعا بتواترها ولشكلت قرينة عامة على ان البسملة هي جز من القرآن الكريم .

وبالامكان تقسيم هذه الروايات الى اربع طوائف حسب مضمونها العام :

الاولى : وهي الدالة على ان ( البسملة ) آية من سورة الفاتحة ، ومنها :

١ ــ عـــيون الاخبار : عن الامام علي ٧ ا نه قال : (( بسم اللّه الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب وهي سبع آيات تمامها بسم اللّه الرحمن الرحيم )) ((١٤٠)) .

٢ ــ في الكافي ، عن معاوية بن عمار ، قال : (( قلت لابي عبد اللّه ٧اذا قمت للصلاة اقـــرا بسم اللّه الرحمن الرحيم في فاتحـــة الكتاب ؟ قـــال : نعم )) ((١٤١)) .

وفـــي الـــروايتين دلالة على ان ( البسملة ) جز من سورة الفاتحة ، وهذاالمضمون مروي في كتب العامة ايضا.

الثانية : وهي الروايات الدالة على ان ( البسملة ) جز من الفاتحة ومن السور الاخرى ، منها :

١ ــ عن صفوان الجمال ، قال : (( قال : ابو عبد اللّه ٧ : ما انزل اللّه من السما كتابا الا وفاتحته بسم اللّه الـــرحـــمـــن الـــرحـــيـــم ، وانما كان يعرف انقضا السورة بنزول بسم اللّه الرحمن الرحيم ابتدا للاخرى )) ((١٤٢)) .

٢ ــ وفـــي ( الـــدر الـــمـــنثور ) ، عن عبيد بن سعيد بن جبير ا نه في عهد النبي ٩كانوا لا يعرفون انقضا السورة حتى تنزل بسم اللّه الرحمن الرحيم ، فاذا نزلت علموا ان قد انقضت السورة ونزلت الاخرى ((١٤٣)) .

وفي الرواية دلالة واضحة على ان ( البسملة ) جز من كل سورة وذلك :

اولا : لا نه يفترض نزولها مع السور ، اي ا نها تكون وحيا منزلا.

ثانيا : ولا نه بها يعرف ابتدا وانقضا السور.

الثالثة : وهي الروايات التي تدل على ان عمل الصحابة والائمة :وسيرتهم كانت هي الالتزام بقراة ( البسملة ) في الصلوات بحيث لم يختلفوا عنها :

١ ــ اخرج الدارقطني عن ابن عمر قال : (( صليت خلف النبي ٩ وابي بكر وعمر فكانوا يجهرون ببسم اللّه الرحمن الرحيم )) ((١٤٤)) .

٢ ــ اخرج الشافعي في ( الام ) والدارقطني والحاكم وصححه ، عن معاوية ا نه قدم المدينة فصلى بـــالـــنـــاس ولـــم يـــقـــرا ( بـــســـم اللّه الرحمن الرحيم ) ولم يكبر حتى اذا خفض واذا رفع ، فناداه الـــمهاجرون والانصار حين سلم ، يا معاوية اسرقت صلاتك ؟ اين بسم اللّه الرحمن الرحيم ، واين الـــتـــكـــبير ؟ فلما صلى بعد ذلك قرا( بسم اللّه الرحمن الرحيم ) لام القرآن والسورة التي بعدها وكبر حين يهوي ساجدا ((١٤٥)) .

وفي هذه الرواية دلالة على ان سيرة الصحابة الذين عايشوا محمدا ٩والتابعين لهم كانت هي قراة ( البسملة ) للفاتحة والسورة الاخرى في الصلاة .

ومـــع غـــض الـــنـــظر عن قيمة راي هؤلا ــ حيث قد يناقش في مدى حجية راي الصحابي ــ فان هذا الشكل من الاحتجاج على خليفة المسلمين آنذاك يعني ان الشي المسلم والمعروف بينهم كان هو قراة ( البسملة ) في الفاتحة والسورة معا ، الامر الذي يدل على ا نها كانت جزا من القرآن والصلاة .

الرابعة : وهي الروايات التي تتحدث عن اهمية البسملة ، بحيث يستدل على ان ( البسملة ) هي جز من القرآن الكريم .

عن رسول اللّه ٩ : (( كل امر ذي بال لم يبدا فيه ببسم اللّه فهو ابتر )) ((١٤٦)) .

وبـــحـــسب مضمون هذه الرواية تكون ( البسملة ) جزا من القرآن الكريم لان كل سورة من سوره تـــمـــثـــل وحدة مستقلة ، والسور القرآنية هي من الامورذات البال والمهمة التي لا يفترض فيها ان تكون بترا ، وحينئذ لا بد لها من ان تكون مبتداة ( بالبسملة ).

ومـــع ان المناقشة ممكنة في بعض مداليل هذه الروايات الا ا ننا عندما نضم مجموع الروايات بعضها الى بعض يمكن ان يحصل الوثوق بجزئية ( البسملة )للفاتحة ولكل السور الاخرى عدا ( براة ).

الثالث ــ الرسم القرآني :

وهو دليل الاستناد الى الرسم القرآني ، فمن خلال الرجوع الى تاريخ الرسم القرآني نلاحظ ان ( الـــبسملة ) قد كتبت في المصحف الشريف ومنذ بداية جمعه وتدوينه بالطريقة التي كتبت فيها بقية الايـــات القرآنية ، فكما نثبت بقية الايات بتواتر كتابتها في المصحف الشريف يمكن اثبات ( البسملة ) بذلك .

وعـــنـــدمـــا ادخلت على الرسم القرآني بعض التعديلات كالنقطة والحركات واسما السور وتجزئة الـــقـــرآن الى اجزا واحزاب وارباع الاحزاب ، نراهاادخلت بشكل يدل على ا نها خارجة عن اصل الـــقـــرآن الـــكـــريم ، من قبيل التزامهم بكتابة هذه الاضافات بلون يختلف عن لون الايات القرآنية او كتابتها على الهامش ، او فصل اسما السور عن النص القرآني وهكذا.

ولـــكـــنـــنـــا نجد ان ( البسملة ) كانت تعامل معاملة بقية الايات تماما فيما يتعلق برسمها وتدوينها في المصحف ، وهذا يكشف عن ان المسلمين الذين كتبوا القرآن في البداية كانوا ينظرون اليها على ا نها جـــز مـــن الـــقرآن الكريم ، وبهذا استدل بعض العلما في ( الفقه ) على ا نها جز من الفاتحة ومن كل سورة .

ونـــاقـــش هذا الدليل سيدنا الوالد ١ من ان هذا الرسم لا دلالة له على جزئية ( البسملة ) لا للفاتحة ولا لـــلـــسور الاخرى ، وذلك لان الرسم اعم من الجزئية ، اذ قد يكون تثبيت ( البسملة ) باعتبار اهميتها وتمثيلها لاحد شعارات المسلمين المهمة ، وكونها بركة لما يكتب ولما يبتدا به ، ومن ثم قد يـــكـــون الـــتـــزامـــهـــم بـــكتابتها لسبب آخر غير الجزئية ، واستشهد على هذا بان اكثر المسلمين ــ مـــن الـــمذاهب الاخرى غير الامامية ــ من الذين رسموا القرآن الكريم وثبتوا( البسملة ) فيه بهذا الشكل لا يعتقدون بجزئيتها ((١٤٧)) .

الا ان هذه المناقشة لا تثبت امام النقد ، فلا يمكن الالتزام بها لا ننا عندمانستدل بالرسم القرآني لا نريد ان نثبت من الالتزام بكتابة ( البسملة ) في المصحف : ان جميع الذين اثبتوها يعتقدون بجزئيتها ، حيث تكون هذه المناقشة صحيحة ، ولكن لا يهمنا اعتقاد من اثبتها بجزئيتها ام عدم اعتقاده ، وانما نـــريد ان نعرف من الرسم القرآني ان خصوص الاوائل الذين عاصروا النبي ٩ اوسمعوا منه كانوا يـــعـــتـــقـــدون بجزئية

( البسملة ) للقرآن الكريم ، بدليل ا نهم اثبتوهابنفس الطريقة التي اثبتوا بها الايـــات القرآنية الاخرى ، وذلك لان اجماعهم يكشف لنا عن موقف النبي ٩ ومن ثم يكشف عن نظر الوحي في شانها.
ويمكن ان نشرح دليل الرسم القرآني على جزئية البسملة للقرآن الكريم ببيان مقدمتين يتكون منهما هذا الدليل ، وهما :
الاولـــى : ان مـــا هـــو مكتوب في المصاحف والموجود بين ايدينا الان والذي اثبتت فيه ( البسملة ) بصفتها جزا من القرآن هو نفس ذلك الذي كتبه الصحابة والمعاصرون للنبي ٩ لان هذا المصحف قد تـــم نـــقـــله وتداوله بطريق التواتر بين المسلمين جيلا بعد جيل حتى وصل الينا ، واولئك الصحابة كـــانـــوايتعاملون مع ( البسملة ) كما يتعاملون مع اي نص قرآني آخر ، ولهذا نجدهم ثبتوها في كل ســـورة واســـتـــثـــنـــوا ( براة ) ، الامر الذي يدل على ا نهم لم يثبتوها في المصحف انسياقا مع حالة اعـــتـــبـــاريـــة او للبركة ، بل ثبتوها متقيدين بشي وملتفتين اليه وذلك هو الحفاظ على ما هو قرآني والتمييز بينه وبين غيره .
الثانية : ان اجماع المسلمين في الصدر الاول على اثبات البسملة وتسالمهم على رسمها بصفتها جزا من القرآن الكريم يكشف لنا عن ان ذلك قد تلقوه عن النبي ٩ والوحي ، ولذا لم يخالفوه ولم يختلفوا فيه ، وعلى هذا لا يكون عدم اعتقاد بعض من كتب المصحف في عصور متاخرة بجزئية ( البسملة ) كـــاشـــفا عن كونها لم تكن كذلك حقيقة لا نه لم يكتبه على اساس اعتقاده واجتهاده ، بل على اساس مـــتـــابـــعـــة الـــمصحف المتداول بين المسلمين ، ولهذا السبب ايضا تقيد بالطريقة الاملائية للمصحف بـــالـــرغم من ا نها لا تنسجم مع قواعد الاملا التي كان يعتقدبها الذين رسموا المصحف في العصور المتاخرة .
ولا يـــوجـــد اي دليل على ان المسلمين في الصدر الاول كانوا لا يعتقدون بجزئية ( البسملة ) ، بل يـــوجد العكس كما ورد في بعض الاحاديث السابقة ،ومن قبيل ما حدث في زمن عثمان حيث اجتمع الـــمـــســـلمون لتثبيت ما هو قرآني في مقابل الزوائد ، كالتفسيرات والتاويلات والقرات وغيرها ، حيث نجد ان اولئك الصحابة ثبتوا ( البسملة ) وكتبوها كما كتبوا غيرها من الايات .

**الرابع ــ سيرة المسلمين :**

المقصود بهذا الدليل هو سيرة المسلمين في قراة القرآن الكريم ومن المعروف ان القرآن الكريم قد تم جمعه وحفظه بطريقتين ، هما :
احداهما : طريقة الكتابة والرسم ، وبها تمت صيانة وحفظ القرآن الى يومناهذا.
والاخـــرى : هـــي الـــطريقة الاهم والاتقن والتي تتم من خلال القراة والحفظفي صدور المسلمين جيلا بعد جيل منذ الصدر الاول الى يومنا هذا.
وهـــؤلا الذين حفظوا القرآن عن ظهر قلب ، حفظوا السور مع ( البسملة )وتعاملوا معها في القراة كـــبـــقـــية الايات القرآنية ، وهذا كاشف عن ان ( البسملة )قد تداولها المسلمون جيلا بعد جيل منذ عصر الرسول والى يومنا هذا.
ولا نـــريـــد بـــهذا الاستدلال ــ من خلال سيرة المسلمين ــ على ان الالتزام بالبسملة بصفتها جزا من القرآن الكريم ، بحيث نكتشف من خلال هذا الاجماع راي النبي ٩ والوحي ، والا لكان الجواب على مثل هذا الاستدلال بان كثيراممن كان يقرؤها في عصور متاخرة لا يعتقد بجزئيتها.

وانما نريد ان نكشف بهذه السيرة ان مسلمي الصدر الاول كانوا يقرؤونهاكما يقرؤون بقية الايات ، وحينئذ يكون هذا دليلا وكاشفا عن راي النبي ٩ومن ثم راي الوحي في ( البسملة ) ((١٤٨)) .
وهذه الادلة الاربعة ، اذا لم يتم كل واحد منها في نفسه ــ وان كانت تامة فعلا ــ الا ان جمعها وضم بعضها الى بعض يمكن ان يكشف عن حقيقة ( جزئية البسملة ) للقرآن الكريم ، بحيث يحصل لدينا الوثوق والاطمئنان بذلك .

## سبب اختلاف الراي في ( البسملة ) :

ان كل المؤشرات الموجودة في الروايات والنصوص التاريخية التي تتحدث عن سلوك وتصرفات المسلمين في الصدر الاول للاسلام تدل على ان ( البسملة )هي جز من كل سورة عدا سورة ( براة ) ، ولا يوجد اي مؤشر يعتد به يدل على العكس ، عدا فتوى بعض علما الاسلام الصادرة في عصور متاخرة عن عصر الرسول ٩ والصحابة ، الامر الذي ادى الى وجود اختلاف بشان ( البسملة ) وهذا الامر يثير الانتباه والتساؤل ويطرح هذا السؤال :
لماذا اختلف علما الاسلام حول ( البسملة ) دون بقية الايات ؟.
ولكن يمكن ان يتضح لنا الجواب اذا رجعنا الى مجمل النصوص التي تداولها الباحثون ، وما ورد من تاكيدات عن اهل البيت : بالنسبة الى هذه القضية ، حيث تبرز نكتة واضحة تفسر لنا هذا الاختلاف ، اذ ان مذهب علي ٧واتباعه كان هو الجهر بالبسملة في الصلاة ، بخلاف التزام بعض الصحابة الذي لم يكن يجهر بها في القرآة ، الامر الذي ادى الى تحول هذه القضية الى قضية سياسية في اواخر عهد الصحابة خصوصا عندما جا الامويون الى الحكم ،فكانوا يلاحقون اتباع علي ٧ وكذلك السنن والاحكام التي كان يلتزم بها٧ ، فاصبح الجهر فيها من مختصات اتباع علي ٧ ومذهب اهل البيت : ،واصبح من يلتزم بالجهر بها يمثل خطا في التحرك السياسي بين المسلمين في مقابل الخط الاخر.
ثم سرى الامر بعد ذلك الى نفس البسملة ، فاصبحت موردا للشك في ا نهاآية نكاية باصحاب هذا المذهب السياسي ، حيث نجد المسلمين يعترضون على معاوية عندما يعمد الى حذفها في القراة .
وحين ترتبط قضية دينية بحالة سياسية فان الاهوا والنظريات المفتعلة والتحريفات وعمليات التزوير والتزييف يمكن ان تتدخل فيها ، بحيث تاخذمنحى ومنهجا آخر ، الى ان تتحول الى قضية غامضة فيما بعد بسبب تضارب الاهوا والارا.
ولا نقصد بهذا ان كل من يقول بعدم جزئية ( البسملة ) للقرآن من العلماالمتاخرين من اصحاب الاهوا والاغراض او يمثل حالة انحراف ، بل نقصد بذلك ان بعض المتقدمين الذين اثيرت هذه المسالة في زمانهم وكان عهدهم عهد صراع سياسي وهوى وتحريف قد وقعوا في هذا الخطا ، الامر الذي ادى الى التزام الاخرين بذلك ظنا منهم ا نه الصواب بعد ان اصبحت الحقائق موضع شك وابهام .
ويمكن ان نفهم هذا المعنى من الرواية التي وردت سابقا بصدد صلاة معاوية بالصحابة في ( المدينة المنورة ) ، حيث يتواجد العدد الاكبر من الصحابة والتابعين في ذلك العصر ، ومثلها ما ورد في الدر المنثور من ان (( اول من اسر ببسم اللّه الرحمن الرحيم عمر بن سعيد بن العاص وكان رجلا حييا )) ((١٤٩)) ، فلماذا يكون عمرحييا في قراة البسملة وحدها ولا يعتريه الحيا في قراة غيرها من آيات

الـــقـــرآن الكريم ؟ للنظر بحيث استدعى من عمر بن سعيد ــ الذي كان واليا لمعاوية في ذلك الوقت واماويا ، ولكنه كان يـــتـــعاطف مع العلويين ــ ان يقراها اخفاتا لا نه يؤمن بهادون ان يتظاهر بقراتها جهرا ، لئلا يعارض الخليفة .

وعـــن الصادق ٧ قال : (( ما لهم قاتلهم اللّه عمدوا الى اعظم آية في كتاب اللّه فزعموا ا نها بدعة اذا اظهروها وهي بسم اللّه الرحمن الرحيم )) ((١٥٠)) .

وفـــي هـــذه الـــروايـــة وشبيهاتها دلالة على ان هناك محاولة لكتمان حقيقة هذه الاية المباركة ، وان القضية قد تحولت الى قضية سياسية مما ادخل فيها هذا النوع من الخلاف والصراع والتزوير.

## الجهة الثانية

## معنى ( البسملة )

سنتناول هذه الاية المباركة ومفرداتها بمقدار استفادة المعنى العام منها ،ونبحث اولا في مضمون كل مفردة على حدة ، ثم نتناول المعنى الاجمالي لهذه المفردات والهدف التربوي الاسلامي المتوخى من ورا هذا المعنى المتجسد فيهابشكلها الجمعي .

### اولا ــ معاني المفردات

مفردات هذه الاية المباركة هي :

### ١ ــ حرف البا :

للحرف ــ كما هو مقرر في مباحث علم الاصول ــ معنى الربط بين المعاني ذات الدلالة على المفاهيم والـــتـــي يعبر عنها بالمعاني ( الاسمية ) في مقابل المعاني ( الحرفية ) ، ويقوم الحرف بالتعبير عن انواع العلاقات والروابط التي تقوم بينها ،فهو يدل دائما على نسبة بين طرفين ((١٥١)) .

وعـــلـــى هذا فقد افترض وجود لفظ محذوف متعلق بحرف ( البا ) يمثل احدطرفي النسبة والذي يقوم هذا الحرف بربطه بكلمة ( الاسم ) ، واورد علما التفسيراحتمالين في تقدير هذا المحذوف هما :

الاول : ان يكون المقدر هو مادة ( الاستعانة ) سوا جات على صيغة ( فعل ) ( استعين باسم اللّه ) ، او صـــيـــغة ( اسم ) ( الاستعانة بسم اللّه ) ، او تقدمت هذه الاستعانة على لفظ الاسم كما سبق في المثالين ، او تاخرت مثل ( بسم اللّه استعين ) ، او ( بسم اللّه الاستعانة ).

ولحرف ( البا ) هنا معنى الربط بين مادة ( الاستعانة ) وكلمة ( الاسم ).

الـــثـــانـــي : ان يـــكـــون المحذوف المقدر هو مادة ( الابتدا ) جات بصيغة الفعل او الاسم ، تقدمت او تاخرت ، كما في الاحتمال الاول تماما.

وكل من المعنيين معقول في نفسه ، وان كان بالامكان ترجيح الثاني ، فقدذكر العلا مة الطباطبائي ١ ان ( الاســـتـــعانة ) موجودة في سورة ( الحمد ) التي يبتداالقرآن بها والتي تبتدا هي ( بالبسملة ) ايـــضـــا ، وذلك في قوله تعالى : ( اياك نعبدواياك نستعين ) ، وحينئذ يكون تقديرها في البسملة من قـــبـــيـــل

تـــكـــرار الـــمـــضمون نفسه مرتين في سورة واحدة بخلاف ما اذا كان المقدر هو ( الابتدا ) ((١٥٢)) .
ولـــكـــن يـــلاحـــظ على ذلك ان هذا الترجيح ترجيح في حدود سورة الحمدوحدها دون غيرها من الـــسور التي لا تشتمل على معنى ( الاستعانة ) مع ان البسملة هي جز من كل سورة حسب المختار عنده وعندنا.
ولكن يمكن ان نذكر مرجحا للقول الثاني ، وهو ما اشير اليه في بعض الاحاديث الشريفة في تفسير ظاهرة ( البسملة ) ، فقد ورد عن الرسول ٩ :
(( كل امر ذي بال لم يبتدا فيه باسم اللّه فهو ابتر )) ((١٥٣)) .
فـــللحديث دلالة على ما هو مقدر في هذه الاية المباركة ، اذ ورد فيه ان ( الابتدا ) بـــ ( البسملة ) يكون مكملا لكل امر ذي بال ، وان للابتدا باسم اللّه خصوصية تكميل المبتور والمقطوع .
ويناسب هذا التقدير ايضا ما سنشير اليه في تفسير ظاهرة تكرار( البسملة ) بشكل عام في البحث الاتي ، ان شا اللّه تعالى .

٢ ــ الاسم :

وقد وقع الكلام في مصدر ( الاسم ) الاشتقاقي واوردوا في ذلك عدة احتمالات منها : الاول : ان يكون مشتقا من ( السمو ) والارتفاع ، فاذا كان الشي ظاهرامرتفعا فانه يكون ساميا.
ومـــنـــشـــا هـــذا الاشتقاق وملاكه هو موقع الاسم من المسمى ، اذ يكون مرتفعابالشكل الذي يظهره ويبرزه .
الـــثـــانـــي : ان يكون مشتقا من ( السمة ) وهي العلامة ، ومنشا هذا الاشتقاق هو كون الاسم علامة وسمة للمسمى ودليلا يشير اليه .
ولعل ارجح الاحتمالين ــ من ناحية واقعية ومعنوية ــ هو الثاني وان كان الاول معقولا في نفسه ايضا ، وذلـــك لان الـــمتبادر عرفا من الاسما وملاك وضع الاسم على المسمى والالفاظ على المعاني لدى عـــامـــة الـــنـــاس انما هو ملاك الدلالة والعلامة والسمة التي يراد منها وسم ذلك المسمى ولا يكون مرادهم هو جعل ( المسمى ) مرتفعا وساميا باسمه .

٣ ــ لفظ الجلالة ( اللّه ) :

وقد وقع الكلام في اشتقاقه ، فهل هو اسم جامد وقد اخذ من احدى اللغات غير العربية كالعبرية او السامية ، حيث كان اصله ( لاه ) مثلا ثم حور بعدادخال الالف واللام عليه ؟ او ان اصله من ( الاله ) بـــمـــعنى ( العبادة ) او ( الحيرة )وقد حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال وادخل عليه الالف واللام فخص البارئ تعالى به .
وحـــيـــنئذ يكون منشا الاشتقاق من ( العبادة ) واضحا باعتبار ان الاله هوالمعبود ((١٥٤)) ، واما اشتقاقه من ( الحيرة ) فلان المفترض في وجود الاله هو ان يكون وجودا لما ورا الطبيعة ، وهو وجود غيبي محير في معرفة واقعه وكنهه لا وجودحسي ، فمنشا العلاقة ــ اذن ــ هو الوقوع في الحيرة عند محاولة تصور هذا ( الاله )ومعرفة كنهه ؟.
والـــظاهر ان لفظ الجلالة قد استعمل بمعنى ( المعبود ) او بمعنى ( ما يتحيرفي شانه ) على نحو الاســـتعمال الحقيقي ، ولكن عندما غلب استعماله في الذات المقدسة اصبح اسم علم لها واختص بها ،

ويــبدو من خلال القرآن الكريم ان العرب قبل الاسلام قد استخدموا لفظة اله وآلهه في المعبودات الاخــرى ( الاصــنام ) غير الذات المقدسة ، واما لفظ الجلالة فلم يكونوا يستخدمونه الا كعلم في الذات المقدسة فقط ، كما في قوله تعالى :

( ولئن سا لتهم من خلق السماوات والارض ليقولن اللّه ) ((١٥٥)) .

( فقالوا هذا للّه بزعمهم وهذا لشركائنا ) ((١٥٦)) .

٤ ــ الرحمن :

الــرحــمــن من الرحمة ، وهي (( رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم ، وقدتستعمل تارة في الرقة المجردة ، وتارة في الاحسان المجرد دون رقة ، واذا وصف بها البارئ فليس يراد به الا الاحسان المجرد دون الرقة )) ((١٥٧)) .

فــالــرحــمة عند الانسان انعطاف وشعور وجداني ونفسي وقلبي يشعر به عندما يحاول سد حاجة ونقص الاخرين ، ولا يمكن تصور مثل هذا المعنى في حق البارئ تبارك وتعالى : ( ليس كمثله شي ) ((١٥٨)) ، بــل هــي بالنسبة اليه سبحانه وتعالى فيض يفيضه لسد حاجات ونواقص الموجودات التي بحسب ذاتها تكون فقيرة ومحتاجة الى الكامل المطلق .

و ( رحمان ) على وزن ( فعلان ) صيغة مبالغة ، والمبالغة في هذا الوصف ــ كما يذكر المفسرون ــ انــمــا هــي مــبــالغة في جانب السعة والشمول ، وهذا الشمول اما من حيث ان هذه الرحمة واسعة وشــامــلــة لكل شي : ( ربنا وسعت كل شي رحمة ) ((١٥٩)) ، بحيث تشمل المؤمن والكافر ولا تــختص بالمؤمن فقط ، واما على اساس ان رحمة اللّه تشمل الانسان في الدنيا والاخرة ولا تختص به في الدارالدنيا فقط.

٥ ــ الرحيم :

وتــشــترك مع ( الرحمن ) في اصل مادة الاشتقاق ( الرحمة ) ، وفي كونها صيغة من صيغ المبالغة ايضا.

وحــيــنــئذ لــو قــلنا : ان لا فرق بين معنى اللفظين باعتبار وحدة المادة بينهماووحدة مدلول صيغة الاشــتــقــاق وان اخــتــلفا في ( الوزن ) الاشتقاقي فستكون لفظة ( رحيم ) حينئذ تكرارا للفظة ( الرحمن ) لتاكيد المعنى مع التفنن في التعبيرلاختلاف الوزن .

واذا قــلــنا باختلاف المعنى بينهما كما ذهب الى ذلك بعض المفسرين وقالوابوجود فرق في المعنى بــينهما من حيث تدل صيغة ( الرحمن ) على المبالغة والكثرة في ( الرحمة ) مع السعة والشمول ، واما صــيــغــة ( الــرحــيم ) فهي تدل على المبالغة والكثرة في ( الرحمة ) ، لكن دون هذه السعة والــشــمــول ، اي دلالــتــهــا عــلى الكثرة في جانب الكم فقط ، لا الكم والكيف ، ومن هنا يفترضون اختصاص الرحيم بالمؤمنين فقط ، كما ورد في قوله تعالى : ( ليخرجكم من الظلمات الى النوروكان بالمؤمنين رحيما ) ((١٦٠)) ، او يكون مختصا بالدنيا دون الاخرة .

ويمكن ان نلاحظ على هذا الفرق با ننا نجد ان كلمة ( رحيم ) تعني من شملت رحمته كل شي ايضا المؤمن

والكافر في الدنيا والاخرة ، شانها شان كلمة ( رحمان ) ، اذ ورد في الاثر : (( يا رحمان الدنيا والاخرة ورحيمهما )) ((١٦١)) ، واما نسبة السعة في : ( ربنا وسعت كل شي رحمة ) ، فهي نسبة الى مادة ( الرحمة )في اي صيغة كانت ، ولكن مع كل هذا يمكن ان نتبين وجود الفرق بين هاتين الصيغتين في الدلالة ، وذلك من خلال ملاحظة النكتة في عنصر المبالغة فيهما ،فقد لوحظ جانبا المبالغة في السعة والشمول للرحمة في لفظ ( الرحمن ) وهو ما نعبرعنه ( بالبعد الافقي ) لها ، بينما الملحوظ في صيغة ( الرحيم ) جانب المبالغة في الثبات والاستقرار للرحمة ، وهو ما نعبر عنه ( بالبعد العمودي ) لها.

فقد تكون الرحمة واسعة وشاملة ولكنها لا تكون مستقرة وثابتة الى الابد ،بل يمكن ان تتبدل وترفع لاي سبب من الاسباب وتتحول حينئذ الى عذاب ونقمة ، ويؤيد هذا ما نراه من استخدام القرآن الكريم لصيغة ( الرحيم ) بعد وصف ( المغفرة ) كقوله تعالى ( غفورا رحيما ) ((١٦٢)) ، تاكيدا منه : ان صفة المغفرة صفة باقية وثابتة ، ويفسر لنا هذا اختصاص صيغة الرحيم ــ على راي بعض المفسرين ــبالمؤمن دون الكافر ، باعتبار ان الرحمة التي تشمل المؤمن يكون لها نوع من الثبات والاستقرار ، بينما قد تشمل الرحمة الكافر ولكن ما يؤول اليه حاله هوالعذاب ، ولعل ادعا من اثبت هذه الصيغة للدار الاخرة دون الدنيا باعتبار ما في تلك النشاة من ثبات واستقرار.

فما نرجحه ــ اذن ــ هو ان يكون للفظة ( الرحمن ) معنى مغاير للفظة ( الرحيم ) وان احداهما ليست تكرارا للاخرى ، اذ تدل الاولى على سعة رحمة اللّه تبارك وتعالى ، بينما تدل الثانية على استمرار هذه الرحمة واستقرارها.

## ثانيا ــ المعنى الاجمالي والهدف التربوي للبسملة

سبقت الاشارة الى ان المحذوف المقدر المتصل بالبا يحتمل فيه احداحتمالين ، فهو اما ان يقدر بمادة ( الاستعانة ) او بمادة ( الابتدا ) :

وعلى التقدير الاول يكون المعنى الاجمالي لهذه الاية هو : ان القرآن الكريم يريد تربية الانسان المسلم على خلق الاستعانة باللّه تبارك وتعالى في كل عمل من اعماله ، وان يشعر العبد في كل اعماله بالعلاقة والارتباط مع اللّه تبارك وتعالى ، ويكون احساسه بهذه العلاقة هو احساس الضعيف في مقابل القوي ،والمحتاج في مقابل الغني .

فهذا الانسان وباعتبار شعوره بالضعف والحاجة يستعين ــ وهو ملتفت الى ذلك ــ باللّه تبارك وتعالى الذي يتصف بالرحمة ( الرحمن الرحيم ) ((١٦٣)) التي تعني افاضته المنفعة والفائدة على ذلك الموجود الناقص المحتاج لاجل سد حاجته وعوزه .

### صيغة البسملة :

وقد تثار هنا بعض التساؤلات حول صيغة البسملة والابتدا بالبا فيها ،مع ا ننا لا نجد ذلك في الاستعاذة مثلا او في بعض الايات الاخرى المشابهة ،وذلك من قبيل :

١ ــ لماذا جعلت الاستعانة ــ حسب هذا الفرض ــ في البسملة متعلقة بكلمة الاسم ( استعين باسم اللّه ) لا

بـــالـــذات الـــمقدسة مباشرة ( استعين باللّه )كما هي الحالة في الاستعاذة ( اعوذ باللّه ) وكان الشي الذي يستعين به الانسان هو اسم اللّه لا الذات الالهية المقدسة ؟ ٢ ــ لـــمـــاذا اضـــمر ( الفعل ) او ( مادته ) قبل حرف ( البا ) في البسملة مع ا نه قد جا ظاهرا في آيات اخرى مشابهة لقوله تعالى ( اقرا باسم ربك ) ((١٦٤)) ،او في مثل قوله تعالى ( فاذا قرات القرآن فاستعذ باللّه من الشيطان الرجيم ) ((١٦٥)) ؟.

الارتباط الشكلي والمضموني :

امـــا بالنسبة الى التساؤل الاول ، فيمكن الاجابة عليه بمراجعة مواردااستخدام كلمة ( الاسم ) في القرآن الكريم ، اذ استخدمت في موردين :

الاول : في موارد ربط العمل باللّه تبارك وتعالى ابتدا ، كقوله :

( اقرا باسم ربك ) ((١٦٦)) .

( باسم اللّه مجراها ومرساها ) ((١٦٧)) .

( فكلوا مما ذكر اسم اللّه عليه ) ((١٦٨)) .

الثاني : فيما اذا ذكر اللّه ضمن ممارسة شعيرة عبادية ، كقوله تعالى :

( قد افلح من تزكى # وذكر اسم ربه فصلى ) ((١٦٩)) .

( واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ) ((١٧٠)) .

( سبح اسم ربك الاعلى ) ((١٧١)) .

( في بيوت اذن اللّه ان ترفع ويذكر فيها اسمه ) ((١٧٢)) .

( ليشهدوا منافع لـــهم ويذكروا اسم اللّه في ايام معلومات ) ((١٧٣)) .

اذ ان هـــنـــاك مـــوارد مـــشـــتـــركة في كل موارد هذه الايات وامثالها يراد منها ان يكون العمل المعين الـــمـــجـــسد لشعيرة عبادية كالصلاة او الحج وبحسب شكله وصيغته واطاره منسوبا الى اللّه تبارك وتـــعـــالـــى ، مـــمـــا يدل على ان هناك اهتماما من جانب الشريعة بالشكل والصورة ، اضافة الى الجانب الواقعي والمضموني للعمل .

ولتوضيح ذلك نقول : ان تسبيح اللّه عز وجل ــ مثلا ــ جا في القرآن الكريم على شكلين :

الاول : منسوبا الى اللّه تبارك وتعالى مباشرة ، كقوله تعالى :

( سبح للّه ما في السماوات وما في الارض ) ((١٧٤)) .

( سبحان اللّه عما يصفون ) ((١٧٥)) .

( سبحان الذي اسرى بعبده ليلا ) ((١٧٦)) .

الثاني : منسوبا لاسم اللّه عز وجل ، كقوله تعالى :

( سبح اسم ربك الاعلى ) ((١٧٧)) .

( فسبح باسم ربك العظيم ) ((١٧٨)) .

والـــفـــرق بـــيـــن الشكلين هو ان المراد من التسبيح في شكله الاول هو تنزيه اللّه عز وجل بحسب مـــضـــمـــون التسبيح وواقعه ، اي تسبيحه بالحمل الشايع الصناعي ــ كما يقال في علم المنطق ــ فاذا اردنا ان نذكر واقع التنزيه والتسبيح للّه تبارك وتعالى فلا بد ان ناتي بالتسبيح منسوبا اليه مباشرة ( ســـبحان ربك )( سبحان اللّه ) ، ويكون العبد حينئذ في مقام تنزيه البارئ عز وجل تنزيهاواقعيا خارجيا.

وهذا النوع من التسبيح تسبيح تكويني حاكم في كل الموجودات ارادت او لم ترد :
( سبح للّه ما في السماوات وما في الارض وهو العزيز الحكيم ) ((١٧٩)) .
واما اذا اراد العبد تنزيه البارئ عز وجل ضمن شعيرة معينة وضمن اطاروشكل معين للتنزيه والتسبيح بحيث يؤخذ الشكل والصورة والصيغة والهيكلية بعين الاعتبار اي تسبيحه ( بالحمل المفهومي ) ولا يكتفى فيه بمجرد واقعه بل ينظرفيه الى مفهوم التسبيح ولا يقتصر على مضمونه ، فحينئذ تستخدم كلمة ( الاسم )وينسب اليها التسبيح لتحصيل هذا الامر :
( سبح اسم ربك الاعلى ) ((١٨٠)) .
وهكذا يمكن تطبيق هذه الفكرة على الموارد المختلفة لاستخدام كلمة ( الاسم ) في القرآن الكريم من قبيل قوله تعالى : ( باسم اللّه مجراها ومرساها ) ((١٨١)) ،فالمراد من الاية المباركة ــ واللّه اعلم ــ بيان ان هذه الحركة في واقعها منسوبة الى اللّه تعالى ، باعتبارها امرا وتقديرا الهيا ، اضافة الى ابراز ارتباطها شكلا وصورة به تبارك وتعالى ، وذلك من خلال استخدام كلمة ( الاسم ).
وهكذا في مسالة الذبح والاضاحي :
( ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم اللّه عليه ) ((١٨٢)) .
فالذبح قد يكون لغير اللّه ( الاصنام ) وهو محرم اكله كيفما كان ، وقد يكون لاجله تبارك وتعالى وبامره ، وحينئذ يكون مرتبطا به بحسب الواقع ، ولكن الشارع المقدس لم يكتف بهذا المقدار بحيث يكون الذبح وبحسب ( النية ) مرتبطابه ، وانما اراد ان يكون شكل الذبح وصورته مرتبطا به ايضا ، ولذلك اشترط ذكراسم اللّه عليه وعدم الاكتفا بـ ( النية ) فقط.
ومن هذا القبيل ايضا مورد ( البسملة ) ، فكان القرآن الكريم اراد تربية الانسان المسلم على الاستعانة باللّه تبارك وتعالى في كل اعماله ، ولكن ليست الاستعانة بحسب المضمون والنية فقط ، بل اراد له من خلال الممارسة الخارجية اظهار وابراز شكل هذه الاستعانة وتجسيدها خارجيا ، فتكون شعيرة ولذلك استخدم كلمة الاسم ( بسم اللّه الرحمن الرحيم ) ((١٨٣)) ، ونسب اليه الاستعانة ولم ينسبها الى لفظ الجلالة مباشرة وان كان الاسم يعكس المسمى ويعطي مضمونه ،بل هي استعانة بالاسم والمسمى معا تكون شعيرة الهية .
واما بالنسبة الى التساؤل الثاني وهو : علة اضمار الفعل في البسملة ، فلعل ــ واللّه اعلم ــ اضمار الفعل وتقديره اوضح في ابراز الاهتمام بالحالة الشكلية لقضية الاستعانة باللّه تبارك وتعالى على فرض اهتمام ( البسملة ) بتجسيدها خارجامن خلال فعل العبد ، ولو قال (( استعين باللّه )) ، لاتجه الاهتمام حينئذ الى مضمون قضية الاستعانة اكثر مما يتجه الى شكلها وصورتها لتكون شعيرة .
وهناك امثلة عديدة تدل على ذلك في حياتنا العملية ، من قبيل افتتاح المشاريع التي يتم افتتاحها بالنيابة عن الاخرين ، اذ يقول النائب : (( باسم فلان نفتتح كذا )) مبرزا الاسم لاظهار جانب شكل وصورة الفعل على افضل وجه .
هذا كله بنا على التقدير الاول ، واما اذا افترضنا ان المقدر هو مادة ( الابتدا ) فان بالامكان تقرير المعنى نفسه الذي قررناه في تقدير ( الاستعانة )وحينئذ يكون المراد من الاية المباركة تربية الانسان المسلم على ان يجعل اللّه تبارك وتعالى واسمه شعارا له في كل اعماله بحيث يبتدئها به .

وقد قرب العلا مة الطباطبائي١ هذا المعنى بتقريب هو : (( ان الناس ربمايعملون عملا او يبتدئون في عمل ويقرنونه باسم عزيز من اعزائهم او كبير من كبرائهم ليكون عملهم ذاك مباركا بذلك متشرفا به او ليكون ذكرى يذكرهم به ،ومثل ذلك موجود ايضا في باب التسمية ، فربما يسمون المولود الجديد من الانسان او شيئا مما صنعوه او عملوه كدار بنوها او مؤسسة اسسوها باسم من يحبونه او يعظمونه ليبقى الاسم ببقا المسمى الجديد ، ويبقى المسمى الاول نوع بقابيقا الاسم كمن يسمي ولده باسم والده ليحيي بذلك ذكره فلا يزول ولا ينسى .

وقد جرى كلامه تعالى هذا المجرى فابتدا الكلام باسمه عز اسمه ، ليكون ما يتضمنه من المعنى معلما باسمه مرتبطا به ، وليكون ادبا يؤدب به العباد في الاعمال والافعال والاقوال ، فيبتدئوا باسمه ويعملوا به ، فيكون ما يعملونه معلماباسمه منعوتا بنعته تعالى مقصودا لاجله سبحانه ، فلا يكون العمل هالكا باطلامبترا ، لا نه باسم اللّه الذي لا سبيل للهلاك والبطلان اليه ، وذلك ان اللّه سبحانه وتعالى يبين في مواضع من كلامه : ان ما ليس لوجهه الكريم هالك باطل وا نه سيقدم الى كل عمل عملوه مما ليس لوجهه الكريم فيجعله هبا منثورا ، ويحبط ماصنعوه ويبطل ما كانوا يعملون وا نه لا بقا لشي الا وجهه الكريم ، فما عمل لوجهه الكريم وصنع باسمه هذا الذي يبقى ولا يفنى ، وكل امر من الامور انما نصيبه بقدر ما للّه فيه نصيب ، وهذا هو الذي يفيده ما رواه الفريقان عن النبي ٩ ا نه قال : (( كل امر ذي بال لم يبدا فيه باسم اللّه فهو ابتر )) ، والابتر هو المنقطع الاخر ،فالانسب ان متعلق البا في البسملة ، ابتدى ــ بالمعنى الذي ذكرناه ــ فقد ابتدا به الكلام بما ا نه فعل من الافعال )) ((١٨٤)) .

ونحن وان كنا نقر بوجود ما ذكره العلا مة ١ في باب الابتدا والتسمية في حياة الناس ، الا ا ننا نرى ان ما جا في ( البسملة ) لا ينسجم مع ما ذكره ١في باب ( التسمية ) ، بل هو من قبيل ما ذكره في باب الابتدا خاصة .

وعلى كل حال ، فان البحث في تقديري ( الاستعانة ) و ( الابتدا ) قديقودنا الى امكانية الجمع بينهما في جامع واحد يتمثل في قضية ( ربط العمل باللّه تبارك وتعالى ) ، فعندما يقول الانسان ( بسم اللّه الرحمن الرحيم ) ، فكانه يريدان يقول : انني اربط هذا العمل باللّه الرحمن الرحيم ، ولعل حذف الفعل هناوجعله مقدرا هو من اجل اعطا افق اوسع لعملية الربط هذه التي اخذ في مجملهاقضية الشكل والصورة ، بحيث يكون فعل العبد متسما او موسوما او ساميا باللّه من حيث كون اسمه تعالى عليه ، وتكون البسملة حينئذ ( شعارا ) للمسلم في كل افعاله ، سوا كان في حالة الاستعانة باللّه او ابتدا العمل باسمه تعالى او اي امرآخر.

## الجهة الثالثة

## في تفسير ظاهرة تكرار ( البسملة )

وردت البسملة مكررة في القرآن الكريم ، حيث جات في بداية كل سورة من سور القرآن الكريم باستثنا سورة براة .

غير ان ظاهرة تكرار الايات القرآنية هذه ليست مختصة بالبسملة فقط ،اذ هناك آيات اخرى تكررت في القرآن الكريم من قبيل آية ( فباي آلا ربكماتكذبان ) في سورة ( الرحمن ) ، وآية ( هل من مدكر ) في

سورة ( القمر ) ،ولكن لهذه الظاهرة في البسملة بعض الخصوصيات :
اولا : انـــه لا تـــوجد آية في القرآن الكريم تكررت مثل البسملة ، حيث تكررت مائة واربع عشرة مرة في القرآن الكريم .
ثـــانـــيـــا : ان غـــير البسملة من الايات التي تكررت في القرآن الكريم جاتكرارها عادة ضمن سورة واحـــدة مـــعـــينة للتاكيد ، بينما وردت البسملة في بداية كل سورة عدا سورة براة ، ولذلك لا يمكن تـــعـــليل تكرارها بانه للتاكيد ، لا نه جافي ظروف مختلفة باختلاف ظروف نزول السور القرآنية وضـــمـــن مـــعـــان مـــتـــعـــددة وعلى نسق وشكل واحد ، اي في بداية السور ، وبذلك لا يمكن تفسير ظـــاهـــرة تـــكـــرار ( البسملة ) ضمن التفسير العام لظاهرة تكرار الايات في القرآن الكريم والذي يرتبط ببحوث ( اسلوب القرآن ) ، واحتاج ان نخصه ببحث مستقل يتناسب مع طبيعة هذه الظاهرة .
ولعل بالامكان تفسير ظاهرة تكرار البسملة باحد تفسيرين بينهما نحو من العلاقة والارتباط :

## الاول ــ البسملة خلق اسلامي :

ما يستفاد من الاخبار التي تحدثت عن البسملة واهميتها ووجودهابصفتها ظاهرة في حياة المسلمين من ان البد بها يمثل ادبا من الاداب الاسلامية في كل امر مهم يراد القيام به ، حيث ان السور القرآنية امور مهمة كان لا بد ان تبدا ( بالبسملة ) تجسيدا لهذا الادب الاسلامي .
وهـــذا الـــتفسير ينسجم مع الالتزام بان تقسيم القرآن الكريم الى سورمتعددة بحيث امكن اعتبارها امورا مهمة مستقل بعضها عن بعضها هو تقسيم الهي ، ويستدل على ذلك بيات من القرآن الكريم ذاته ، حيث جا التعبير عن هذه القطع القرآنية بالسورة ، في مثل قوله تعالى :
( وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ) ((١٨٥)) .
( قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ) ((١٨٦)) .
ويـــقـــف هـــذا الـــتفسير لظاهرة تكرار البسملة عند هذا الحد فقط ولا يتعداه وقد مال اليه العلا مة الطباطبائي ١ في تفسيره ((١٨٧)) .

## الثاني ــ البسملة شعار اسلامي :

ان البسملة انما تكررت في القرآن الكريم لا نها تمثل شعارا للمسلمين لامجرد ادب يتادبون به ، بل لـــيتميزوا بها عن غيرهم ولتصبح معلما من المعالم التي تتصف وتتشكل بها حياتهم شانها في ذلك شان السلام ، والصلاة ، وما شابههما.
وعلى اساس هذا الفهم يصبح من الواضح تفسير ظاهرة التكرار ، لان طبيعة الشعار تفرضه ، وبدون التكرار لا يتخذ الموضوع المعين شكل الشعار.
ولـــعـــل هذا التفسير هو الارجح لهذه الظاهرة ، وتؤيده مجموعة من القرائن والمؤشرات والتي قد يـــمـــكن المناقشة في كل واحدة منها على حدة ، الا ا نهابمجموعها تعطي اطمئنانا وركونا الى كون البسملة شعارا من الشعارات الاسلامية ، ومن هذه القرائن :
اولا : الروايات الواردة في استحباب الجهر بالبسملة حتى في الصلوات التي يجب فيها الاخفات في الـــقراة

كالظهر والعصر ، بل ورد التعبير في بعضها بلفظ( الوجوب ) لتاكيد رجحانها بحيث يكون شانها شان الواجب .

ان اختصاص الجهر بالبسملة سوا كانت الصلاة جهرية او اخفاتية لاتفسير له ــ حسب الظاهر ــ الا ان يكون المراد منها ان تكون شعارا للمسلمين ،والا فان الادب الاسلامي يتحقق بمجرد النطق بالبسملة دون حاجة الى الجهربها.

عن صفوان الجمال قال : (( صليت خلف ابي عبد اللّه ٧ اياما فكان اذاكانت الصلاة لا يجهر فيها جهر في بسم اللّه الرحمن الرحيم وكان يجهر بالسورتين معا )) ((١٨٨)) .

وعن ابي حمزة الثمالي قال : قال علي بن الحسين ٧ : (( ان الصلاة اذااقيمت جا الشيطان الى قريب الامام فيقول : هل ذكر ربه ، فان قال : نعم ، ذهب ،وان قال : لا ، ركب على كتفيه فكان امام القوم حتى ينصرفوا ، قال : فقلت :جعلت فداك اليس يقرؤون القرآن ، قال : بلى ، ليس حيث تذهب يا ثمالي ،انما اقصد من الذكر هو ( الجهر ) ببسم اللّه الرحمن الرحيم )) ((١٨٩)) .

فقد جعل الامام ٧ الاتيان بهذه الاية جهرا مميزا بين ذكر اللّه وعدمه .

ثانيا : الروايات الواردة في اهمية البسملة وفضلها ، اذ نجدها قد اعطت البسملة مقاما خاصا لم يعط لغيرها من الايات ، فهي افضل آيات القرآن الكريم لا نها افضل آيات سورة الحمد التي جعلها اللّه تبارك وتعالى بازا القرآن العظيم .

عن الرضا ٧ ، عن آبائه ، عن علي ٧ ، ا نه قال : سمعت رسول اللّه٩ يقول : (( ان اللّه تبارك وتعالى قال لي : يا محمد ( ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ) فافرد الامتنان علي بفاتحة الكتاب وجعلها بازا القرآن العظيم ،وان فاتحة الكتاب اشرف ما في كنوز العرش )) ((١٩٠)) .

وعن محمد بن مسلم قال : (( سالت الصادق ٧ عن السبع المثاني والقرآن العظيم هي الفاتحة ، قال : نعم ، قلت : بسم اللّه الرحمن الرحيم من السبع المثاني ؟قال : نعم هي افضلهن )) ((١٩١)) .

وعن الصادق ٧ ، عن ابيه قال : (( بسم اللّه الرحمن الرحيم اقرب الى اسم اللّه الاعظم من ناظر العين الى بياضها )) ((١٩٢)) .

وعن فرات بن احنف ، عن ابي جعفر ٧ قال : (( واذا قرات بسم اللّه الرحمن الرحيم سترتك فيما بين السماوات والارض )) ((١٩٣)) .

وفي رواية اخرى نتبين مدى اهميتها وعظمتها من خلال جذرها وبعدهاالتاريخي في الوحي الالهي ، فقد ورد عن ابي جعفر ٧ : (( اول كتاب نزل من السما بسم اللّه الرحمن الرحيم )) ((١٩٤)) .

وفي رواية اخرى ذم واتهام لاولئك الذين كتموها ولم يجهروا بها ، فعن ابي حمزة ، عن ابي جعفر ٧ قال : (( سرقوا اكرم آية في كتاب اللّه بسم اللّه الرحمن الرحيم )) ((١٩٥)) .

ان هذه الاهمية الخاصة التي اعطيت للبسملة لا يمكن ان تكون باعتبارمضمونها والمفردات المستخدمة فيها فقط ، لان هناك آيات اخرى احتوت كل ذلك دون ان تعطي تلك الاهمية الكبيرة ، من قبيل قوله تعالى : ( والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ) ((١٩٦)) ، ولكن يمكن ان نفسر هذا الاهتمام الخاص بهالا نها قد جعلت شعارا من شعارات المسلمين ، وبذلك تميزت عن غيرها من الايات وان احتوت مضمونها وشابهتها من حيث التركيب اللفظي .

ثالثا : ما نجده في حياة المسلمين واقعا قائما من خلال دراسة سلوكهم العام الحاكم عليهم ، اذ نجد ان ( البسملة ) قد اصبحت جزا من حياتهم وشعارا من شعاراتهم يهتم بذكره عند بد كل عمل من الاعمال .

وقد يقال بان هذا الامر ناتج من اثر الادب القرآني الاسلامي ، ولكننانعرف بان هناك كثيرا من الاداب الاسلامية التي نص عليها القرآن الكريم من قبيل ( الاستعاذة ) ، قال تعالى : ( فاذا قرات القرآن فاستعذ باللّه من الشيطان الرجيم ) ((١٩٧)) ، والتي عمل بها المسلمون ، الا ا نها لم تتخذ موقع البسملة في حياتهم ،الامر الذي يدل على ا نها قد تميزت بخصوصية معينة بالنسبة لهم وهي ما نعبر عنه بالخصوصية ( الشعارية ) لها.

رابعا : ان مضمون البسملة هو مضمون يناسب الشعار ، وذلك بلحاظ عدة ابعاد :

الاول : ما اشرنا اليه من حذف متعلق حرف الجر ، اذ قد يكون المقصود منه جعل القضية اوسع من حالة ( الابتدا ) او ( الاستعانة ) لان الحذف اسلوب استخدمه القرآن الكريم في مقام اطلاق الشي واعطائه صفة اكبر واشمل ،وحينئذ تكون ( البسملة ) ذات طبيعة شاملة يمكن استخدامها كشعار في كل حالة يعيشها الانسان المسلم .

الثاني : ان البسملة تتركب من مفردات اربع اضافة الى حرف الجر ،وهذه المفردات تتمركز كلها حول مفهوم واحد هو اللّه تبارك وتعالى ( فالاسم )هو اسم اللّه تعالى وهو حاك عن المسمى ولا دور ثاني له . و ( اللّه ) علم في الذات الالهية المقدسة .

و ( الرحمن ) صفة للّه تعالى تدل على المبالغة في الرحمة الالهية ، ومن خلال مراجعة موارد استخدامها في القرآن الكريم نجد ا نها قد استخدمت لمرات عديدة علما في الذات الالهية المقدسة ((١٩٨)) ، الامر الذي قد لا نجده في غيرها من الصفات ،وفي قوله تعالى ( قل ادعوا اللّه او ادعوا الرحمن ) ((١٩٩)) ، اشارة الى ان هذه الصفة كانت من المسميات التي تطلق على اللّه تعالى اطلاق العلمية ، وعلى هذا الاساس يمكن افتراض استخدامها في آية ( البسملة ) علما في الذات الالهية للتاكيد ،اضافة الى افتراض استخدامها صفة له تبارك وتعالى .

واما ( الرحيم ) فهي صفة من صفات اللّه تبارك وتعالى والتي يمكن ان تدخل في خصوصية الشعار الذي تضمن مسالة تاكيد اسم اللّه ووحدانيته ، فمن خلال هذه الصفة يمكن ان يطرح مفهوم الرحمة ايضا كما طرح في لفظ ( الرحمن )بحيث يمثل حالة شعارية وسمة مميزة للدين الاسلامي ، هذه الحالة التي تحاكي احساس الانسان الاكيد بالحاجة الى هذه الرحمة لسد نقصه وفقره وعوزه والتي تفتح امامه باب التوبة والمغفرة ، اذ يلاحظ ان صفة الرحيم قد اقترنت في اكثرموارد استعمالها بكلمة ( الغفور ) او ما يشابهها ( كالتواب ) و ( الرؤوف ).

وهكذا يتبين لنا ان المضمون الكلي للبسملة مضمون شعاري تم تاكيدمسالة توحيد اللّه تبارك وتعالى من خلاله مع اظهار غلبة صفة الرحمة على هذاالاله .

خامسا : الروايات التي وردت في كتب العامة والخاصة وبالسنة مختلفة والتي تدل على ان الناس في عصر الرسول ٩ وحتى الجاهليين منهم قد تعاملوامع البسملة على ا نها شعار اسلامي .

في تفسير العياشي ، عن زيد بن علي قال : (( دخلت على ابي جعفر ٧فذكر بسم اللّه الرحمن الرحيم ، فقال : تدري ما نزل في بسم اللّه الرحمن الرحيم ؟فقلت : لا ، فقال : ان رسول اللّه ٩ كان من

احسن الناس صوتا بالقرآن وكان يصلي بفنا الكعبة ، فرفع صوته وكان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو جهل ابن هشام وجماعة منهم يستمعون قراته ، قال : وكان يكثر ترداد بسم اللّه الرحمن الـرحيم ، فيرفع بها صوته ، فيقولون : ان محمدا ليردد اسم ربه ترددا ، ا نه ليحبه ، فيامرون من يـقوم فيستمع عليه ويقولون اذا جاز بسم اللّه الرحمن الرحيم فاعلمنا ، فانزل اللّه في ذلك ( واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا ) )) ((٢٠٠)) .

وقـد فـسـرت ( وحـده ) هـنا با نها عبارة عن ذكر اللّه في ( بسم اللّه الرحمن الرحيم ) ، وفي الرواية دلالة على ان المشركين قد انتزعوا من مسالة تكرارالرسول ٩ للبسملة بصوت مرتفع ان هذه الاية شعار من شعارات المسلمين ،ولذلك كرهوا سماعها.

على ان هذا الانتزاع ليس امرا خاصا بالمشركين ، فان الناس عامة ينتزعون من عملية التكرار حالة الشعارية للامر المكرر انتزاعا عرفيا.

وبـنا على هذه المؤشرات يمكن ان نستنتج ان ( البسملة ) شعار من شعارات المسلمين ، وعلى هذا الاسـاس كـانوا يكررونها دائما لا لكونها ادبااسلاميا فحسب ، نعم يمكن ان نقول : ان الشعار يمثل اعلى درجات الادب المطلوب ((٢٠١)) .

## الجهة الرابعة

## دور الشعار واثره في النظرية الاسلامية

يحسن بنا ــ بعد معرفة ان البسملة تمثل شعارا للمسلمين ــ ان ندرس الشعارفي النظرية الاسلامية ، حـيـث ان لـلـشعار دورا وآثارا مهمة يمكن ان يحققها في سلوك الانسان وحياته ، ونحاول في هذا الـبـحـث ان نـؤكـد الـنقاط الرئيسة والاساسية بشكل اجمالي ومختصر تاركين التفصيل فيها الى محله ((٢٠٢)) .

### تمهيد :

وهناك عدة امور مهمة واساسية لا بد في البداية من استذكارها في دراسة اي موضوع قرآني منها : اولا : ما اشرنا اليه في المقدمة ، من ان الهدف الاساسي للقرآن الكريم هو عملية التغيير الاجتماعي ، وبـاعـتبار ان القرآن الكريم هو المجسد للنظرية الاسلامية ، فلذا سيكون هذا الهدف هو الهدف الاساسي للنظرية الاسلامية ايضا.

ثانيا : ان التغيير الذي يستهدفه القرآن الكريم هو تغيير سلوك الانسان وعلاقاته والمحتوى النفسي والـروحي له باتجاه الكمال المطلق المتمثل باللّه تبارك وتعالى لا تغيير الطبيعة من حوله وعلاقتها به . فـتكامل الانسان ــ الذي هو في النظرية الاسلامية افضل مخلوق للّه تعالى ــلا يتحقق الا من خلال تـكـامل سلوكه ، ومن هنا لا بد من معرفة الامور المؤثرة في سلوك الانسان والتي تغيره اما باتجاه الكمال والسمو او النقصان والانحطاط.

ثـالثا : يوجد في الواقع ــ وكما يفهم من خلال ما تطرحه النظرية الاسلامية ــ مؤثرات اساسية في عملية التغيير هذه :

اولـــهـــا : مجمل الرؤى والتصورات التي يحملها الانسان عن الواقع ، وهوما نعبر عنه بالمفاهيم او المدركات العقلية التي يكونها الانسان عن الكون والحياة ، فادراك الانسان وايمانه بوجود اللّه تبارك وتعالى وا نه واحد لا شريك له سبحانه وتعالى ، وهو اصل الوجود والصفات الكمالية التي يتصف بها سـبـحـانه ،وان اليه المصير ، وان هناك حياة اخرى بعد هذه الحياة الدنيا اليها معاد الانسان ،وفيها حساب وثواب وعقاب ، وان لمسيرة الانسان مبدا ومنتهى ، وان هناك سننا مؤثرة في هذه المسيرة ، وادراكـه لـلحسن والقبح والعدل والظلم كل هذه المدركات والتصورات تؤثر بطبيعتها على سلوك الانسان وتغيره .

وقـد اكد القرآن الكريم كثيرا هذه الرؤى والمدركات فخاطب العقل فيهاباعتباره مصدرها والذي يعتبر الطريق السليم لادراك الصحيح منها اذا لم يكن يعتريه جهل او مرض .

ثـانيها : الاحاسيس والعواطف العقلية المرتبطة بالجانب الوجداني والاحساسي للانسان ، وهي على قسمين ، بنا على التصور الاسلامي عن الانسان ، وا نه مركب من مادة وروح :

١ ــ الاحاسيس والعواطف التي تمثل الجانب المادي للانسان ( الغرائزالمادية ) من قبيل الاحساس بالجوع والعطش والجنس والضعف و.

٢ ــ احـاسـيـس وعـواطف روحية مرتبطة بجانبه النفسي والروحي وهوالجانب الغيبي ( ما ورا الطبيعة ) فيه .

ان مـجـموعة الاحاسيس والعواطف هذه تؤثر على سلوك الانسان وتغيره كما يتحدث عنها القرآن الـكـريم وكما هي في الواقع ، ولكن لا بمعنى ان تكون السبب والعلة في ذلك التغيير ، لان الانسان على الرغم من وجود مثل هذه الاحاسيس يبقى حرا في الاختيار مريدا للاشيا ، وان تاثرت ارادته وسلوكه ــ احيانا ــ بمثل هذه الاحاسيس ، بمعنى ا نها ضغوط لتوجيه الانسان اريد من خلالها امتحان واختبار ارادته ليتكامل من خلال اختيار الطريق السليم بالارادة الحرة له .

ولذلك امتاز الانسان بالارادة على غيره من المخلوقات كما امتاز بالعلم والمعرفة ((٢٠٣)) .

ثـالـثها : ان ممارسة الانسان للاعمال الصالحة والحسنة هي احد الاساليب الاساسية لتكامله بحسب طبعه ، وقد اشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة في موارد عدة ، فقد تفسر ظاهرة ايتا الزكاة با نها لسد حاجة الفقرا كما هو المتبادرالى الذهن ابتدا ، ولكن ليس هذا هو السبب الوحيد لهذا التشريع ، بـل الـتـزكية والتطهير الذاتي من خلال الممارسة هو الهدف الاهم الذي يشير اليه القرآن الكريم بالنسبة الى الانسان المنفق والذي يمكن ان يعوضه عن خسارة الانفاق .

قال تعالى :

( خذ من اموالـهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ) ((٢٠٤)) .

فـانـه وان كان لهذا الانفاق مؤدى اقتصادي واجتماعي ــ بل وحتى سياسي كما في حالة الانفاق على المؤلفة قلوبهم ــ ولكن يبقى الهدف الاساسي هو عملية تطهير وتزكية الانسان ذاته وتكامله .

وفي قوله تعالى :

( لن ينال اللّه لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ) ((٢٠٥)) .

يظهر ان انفاق الدما واللحوم لا فائدة للّه تعالى بها ، بالرغم من ان انفاقهاهو تعظيم لشعائر اللّه تعالى ، وانما تكمن الفائدة الحقيقية للانسان في ممارسته لهذا العمل في استجابته لامر اللّه تعالى ، وهو ما يعبر

عنه ( بالتقوى ) والذي يتكامل الانسان من خلالها ويزداد قربا من اللّه سبحانه تعالى .
وهكذا يتضح ان اللّه تبارك وتعالى ليس بحاجة الى صلاتنا وحجناوزكاتنا ولا لغيرها من الامور الصالحة والحسنة ، ولكنه مع ذلك اوجبها علينا وطلبها منا ، لان ممارسة مثل هذه الاعمال وفق السنن التي تؤثر في شخصية الانسان تنتهي به الى الارتقا في سلم التكامل والقرب من اللّه عز وجل .
رابعا : ان الاسلام اهتم ــ ومن خلال مجموعة ظواهر وقضايا ياتي الحديث عنها ان شا اللّه تعالى ــ اهتماما بالغا في اعطا الدين الاسلامي والامة الاسلامية شخصية مستقلة عن بقية الامم والديانات الاخرى ، باعتبار ان الاسلام هوالدين الخاتم وان الامة الاسلامية هي الامة التي تتحمل مسؤولية البشرية الى نهايتها.

## دور الشعار في النظرية الاسلامية :

من خلال دراسة الشعار في النظرية الاسلامية على ضؤ ما تقدم ، يتبين ان للشعار دورين مهمين : الاول : ان الشعار يمثل طريقا واسلوبا مساهما في تحقيق الهدف الرئيس للاسلام ، وهو ايجاد عملية التغيير الجذرية في المجتمع التي تستهدف تغيير سلوك الانسان باتجاه الكمال ، لان الشعار في واقعه عبارة عن ممارسة تصبغ شخصية الانسان بطابعها سوا كانت كلامية مثل ( البسملة ) او ( التكبير ) او ( التهليل )او ( التلبية ) ، او كانت فعلا من الافعال الاخرى كاللباس الخاص او الصلاة او غيرهما من الافعال ، والكلام فعل من افعال الانسان وسلوك مؤثر الى حدكبير على جانبه الشعوري والعاطفي من ناحية ، والعقلي والمفاهيمي من ناحية اخرى ، وصياغة المظهر الخارجي له ضمن طابعه الخاص ، ويتاكد من خلال التكرار ، هذا التاثير الذي ينعكس على سلوكه مرة اخرى ، اما خيرا او شرا في عملية تاثير متبادلة .
وقد يقال : بان الشعار ان كان ممارسة للعمل الصالح ، كممارسة الزكاة والصلاة او الاضحية يكون له تاثير على سلوك الانسان ، اما اذا كان مجرد كلام وقول فقد لا يتطابق القول مع العمل في كثير من الاحيان ، الا ان هذه الملاحظة لا تختص بالشعار الكلامي فقط ، فان الافعال الاخرى التي لا تكون كلامية يمكن ان تكون ريا ايضا فلا تتطابق مع الواقع ، وكلامنا هو بخصوص تلك الممارسة الصادقة للشعار الصادرة عن التزام حقيقي بمضمون الشعار والتي تمثل طريقا من طرق تكامل الانسان ، فقول الانسان ( اللّه اكبر ) معتقدا بذلك يعني اعطاه رؤية وتصورا عقائديا مختصا باللّه سبحانه وتعالى ، في نفس الوقت الذي يعبر فيه عن شعوره واحساسه بعظمة اللّه وكبره عز وجل ، ومن ثم تنعكس تلك الرؤية وهذا الاحساس على سلوكه الذي ان وافقهما نما وتكامل ثم انعكست مرة اخرى في سلوك احسن وارقى وهكذا.
اضافة الى ان اثر الشعار لا يختص بالفرد الممارس له بل يتحول الى حالة اجتماعية ثابتة وراسخة تتجاوز حدود الفرد او الاشخاص الممارسين له فعلياحيث يصبح له دور اقوى من القوانين احيانا وهو العرف العام كما سوف نوضح ذلك ان شا اللّه .
الثاني : للشعار دور مهم في اثبات وتجلية الشكل والمضمون المستقل للانسان المسلم والامة الاسلامية عن بقية الديانات والامم ، فعندما ينطق الانسان ( بالبسملة ) يتوضح طابعه الاسلامي ويوجد في الذهن صورة الانسان المسلم ، كما ان بامكانه ان يفهم بعض الابعاد في التزاماته الدينية ،

وهكذا في غيره من الشعارات ، ومن ثم يكون لمجمل هذه الشعارات دور في تحديد معالم شخصية الانسان المسلم والدين الاسلامي والامة الاسلامية .

آثار الشعار :

للشعار مجموعة من الاثار والمداليل الاساسية الواقعية في حياة المجتمع الاسلامي منها :

اولا ــ المدلول التربوي :

ونعني بالمدلول التربوي للشعار ذلك الجانب المرتبط بالمؤثرات التي تحددالسلوك الانساني وتضبطه باتجاه معين سوا المحتوى الذاتي للفرد المسلم كفردوالذي يكون له بطبيعة الحال تاثير على سلوك الفرد ، او العوامل الخارجية التي يهتم بها الفرد ، بحيث يكون لها انعكاس على سلوكه ، ويمكن ان نفهم هذا الجانب في الشعار من خلال بعدين :

الاول : دور الشعار في ايجاد ( العرف العام ) : ان السلوك الانساني يتاثربعدة عوامل لعل من اهمها :

١ ــ القانون : ونعني به القانون بالمعنى الاعم الذي يشمل الشريعة وغيرهامن القوانين الوضعية التي يضعها الانسان لتحديد السلوك ، ومن الواضح ان هناك مستويات متعددة ومختلفة لتاثير هذا العامل ترتبط بخلفية ومدى فهم الانسان للقانون ومدى ايمانه بخلفياته .

فقد يلتزم الانسان بالقانون باعتباره يمثل وجوده وذاته ومصالحه الخاصة التي يريد ان يجسدها في سلوكه ومجتمعه ، كما هو الحال في القوانين الوضعية على اختلاف مذاهبها سوا كان الواضع لها طاغية جبارا بحيث يفرضها على الناس فرضا ، او كان الواضع لها الناس انفسهم من خلال ما ينتخبونه من مجالس تمثلهم وتشرع لهم قوانينهم حسب ما يفهمونه من مصالح ومضار او غير ذلك ،وقد يلتزم الانسان بالقانون باعتباره الوظيفة الشرعية الالهية التي تحقق له التكامل المعنوي وتوصله الى الدرجات العالية في يوم القيامة كما هو الحال في الانسان المؤمن باللّه تعالى .

٢ ــ الخوف من العقوبة : ان الخوف من الاذى والعقوبة ــ دنيوية كانت او اخروية ــ قد يكون سببا من اسباب التزام الانسان بسلوك معين في احيان كثيرة ، كما اذا لم يكن مؤمنا بخلفية القانون ومقدار ما يحققه له من مصالح ،او كان واقعا تحت تاثير الرغبات والميول النفسية والشهوات الغريزية فتصبح العقوبة اضافة الى القانون هي العامل المؤثر في التزام الانسان .

٣ ــ العرف العام : ونعني به ذلك السلوك الاجتماعي العام الذي تواضع عليه المجتمع من خلال ما نعبر عنه لغة ( بالوضع التعيني ) ، حيث تتولد في المجتمع ضوابط عامة ولاسباب مختلفة ثقافية ومصلحية والهية او بشرية تحكم الاطارالعام للمجتمع ويلتزم بها الافراد وذلك لسببين رئيسين :

احدهما : ان الانسان بطبعه الذي فطره اللّه عليه يميل الى الالفة والانسجام مع غيره ، ولذلك فهو لا يحب ان يخرج عما تواضع عليه مجتمعه من امور الا ان يكون منحرفا بطبعه وفطرته او يكون متا ثرا بعوامل اخرى تحدد من هذا الميل ،فهو يتا ثر بما يسود مجتمعه من اعراف عامة في طريقة الملبس او الحديث او ،وينعكس هذا التاثير عمليا على سلوكه وتصرفاته بصورة عامة .

ثانيهما : ان خرق العرف العام وعدم الالتزام به يعتبر حالة تمرد على المجتمع مما يؤدي الى رفض هذا

المتمرد من قبل مجتمعه والحاق الضرر به ، هذا الضررالذي قد يكون ماديا او معنويا والذي تـــختـــتلف درجته من حالة الى اخرى ،حيث يكون ذلك عاملا من عوامل المجتمع المؤثرة على سلوك الناس بصورة مباشرة .

ان دراســـة المؤثرات المختلفة على سلوك المجتمع توضح لنا ان تاثير( العرف العام ) الذي لا يمثل قـــانونا ولا شريعة ــ وان كانت لبعضه اصولا قانونية او تشريعية ــ على سلوك الناس قد يكون اشد تاثيرا من اثر القانون والشريعة في بعض الاحيان وان كان للخلفية التي يحملها الانسان عنه مدخلية في تحديددرجة تاثيره .

ومع ان تحديد وضبط السلوك البشري قد اوكل الى الشريعة والوحي الالهي في النظرية الاسلامية ، الا ان الـــشـــريـــعة ذاتها قد اهتمت بالعرف العام نظرالما له من اهمية خاصة ، وجعلته اداة لتحقيق الضبط السلوكي والقانوني للانسان ،وعملت على ايجاد الاعراف التي تنسجم مع السلوك الذي يراد تربية الانسان المسلم عليه من قبل الشريعة ، وكان ( للشعار ) دور مهم في ايجاد هذا العرف العام ، ولعل بالامكان ملاحظة مثل هذا الامر في بعض الاحكام الشرعية والتي من جملتها :

حـــرمة التجاهر بالافطار في شهر رمضان حتى للمعذور شرعا كالمريض والمسافر ، لان في هذا التجاهر خرقا للعرف العام الذي اريد ان يكون عليه مظهرالمسلمين في هذا الشهر المبارك .

واحكام التشبه بالكافرين في ملبسهم او الرجال بالنسا او بالعكس ــ مثلا ــ هذه الاحكام التي تعود في الـــحـــقيقة الى مسالة ايجاد ( العرف العام )والحالة العامة التي يجب ان يعيشها المسلمون بحيث يكون خرقها نقطة سلبية في تصور النظرية الاسلامية عما يجب ان يكون عليه مظهر المجتمع الاسلامي .

وكـــراهة ارتكاب ( منافيات المروؤة ) من قبيل الاكل في الطرقات العامة او الضحك عاليا في اماكن معينة اذا كانت هذه الامور خلاف المتعارف عليه بين الناس بل قد يجعل بعض الفقها ارتكاب منافيات الـــمـــروؤة مـــنـــافيا ( للعدالة )هذه الملكة التي تكون موجبة لانضباط الانسان باحكام الشريعة والتي تـــضـــعـــه عـــلى جادة الصواب ، كل هذا لان ارتكاب مثل هذه الامور يشكل خرقاللاعراف والعادات العامة الذي يؤشر في نظر هؤلا الفقها الى عدم وجود هذه الملكة في الانسان .

غـــيـــر ان الـــشارع المقدس وان ادخل ( العرف العام ) عاملا من العوامل المهمة في الضبط السلوكي والـــقـــانوني للانسان المسلم ، الا انه عمل على تكييف هذه الاعراف وفقا للاحكام الشرعية ، وجعل للشعارات الاسلامية دورا مهما في هذاالمجال ، ولعل قوله تعالى ( ذلك ومن يعظم شعائر اللّه فانها مـــن تـــقـــوى الـــقـــلـــوب ) ((٢٠٦)) ،اشارة لهذا الربط وتوضيح لدور الشعائر في الجانب التربوي للانسان .

وبهذا يمكن ان نفهم دور الشعار كعامل خارجي مؤثر في التزام الانسان بالتقوى .

فان هناك عاملين مؤثرين في التزام الانسان بالتقوى والسلوك المناسب للشريعة :

احـــدهما : هو العامل الداخلي الذاتي الموجود في الانسان المتمثل بحب اللّه تعالى او الخوف من ناره او الرغبة في جنته الى غير ذلك من الامور التي تختلف بحسب درجة تكامل الانسان ورقيه .

والاخـــر : هو العامل الخارجي الذي يعبر عنه ( بالعرف العام ) والذي يتدخل الشعار الاسلامي في عملية ارسائه وتكييفه وفق موازين الشرع الاسلامي .

الثاني :

ان الـــشـــعار يمثل خصوصية نفسية وروحية ايضا تصعد من الجانب المعنوي من الانسان ، اذ يتمكن الانـــسان من خلال تكراره للشعار ان يصعد درجة العلاقة بينه وبين مضمون الشعار معنويا ويكسر حالة التردد والخوف التي قد توجد في نفسه تجاه مضمونه ، وفي حياتنا اليومية شواهد كثيرة على ذلـــك ، اذ كـــثـــيـــرا مـــا يـــحـــاول الانسان المتردد تجاه شي ما ان يستذكر ذلك الشي ويكرره ليهيئ جانبه الروحي والنفسي لمواجهته او للارتباط به .

فـــعـــنـــدمـــا يكون للانسان تصور واعتقاد بان اللّه هو اكبر واقوى من في الوجود ، فان هذا الايمان يستدعي سلوكا معينا في التعامل مع الاشيا الاخرى في الكون ، فلا يرى شيئا اكبر من اللّه تعالى ولا يـــخاف شيئا آخر غيره ، ولكن الانسان قد يتردد عمليا وتتاثر اوضاعه الروحية والنفسية في هذه الـــعلاقة ،فقد يرى قوة مادية كبيرة ظالمة تقف امامه فيهابها ، ويخاف منها وتحصل عنده حالة تردد في مواجهتها رغم ايمانه بان اللّه عز وجل هو اكبر واقوى من في الوجود.

وهـــنا ياتي دور الشعار واثر تكراره ، اذ يكون لتكرار شعار ( اللّه اكبر )والارتباط بمضمونه ــ مـــثـــلا ــ دور فـــي اخـــضاع النفس لتلك الرؤية الايمانية الصحيحة وتحصل عند الانسان الشجاعة والـــطـــمانينة والاستقرار الكافي لمواجهة ذلك الامر ، ويقضي بذلك على حالة التردد والخوف في نفسه .

**ثانيا ــ المدلول السياسي :**

لعل بالامكان توضيح المدلول السياسي للشعار من خلال الاشارة الى مسالتين اساسيتين فيه :

**الاولى :**

ان لـــلادا الجمعي للشعار اثرا في اظهار الجماعة المعينة بمظهر القوة والمنعة ، ولعل هذا هو سبب استخدام الشعار في الحروب عامة وان كان غير مختص بها.

ويذكر في التاريخ ان الرسول ٩ والمسلمين عندما وصلوا مكة المكرمة في ( عمرة القضا ) بعد عام الـــحـــديبية كان التعب والجهد قد اخذ ماخذه منهم وظهراثره عليهم حتى تحدث المشركون بذلك ، وحـــيـــنـــهـــا امـــر النبي ٩ من معه من المسلمين بان يدخلوا الحرم جماعة وان يهرولوا لاظهار القوة والمنعة امام المشركين ، وقال ٩ رحم اللّه من اظهر في هذا اليوم قوته ((٢٠٧)) .

كـــمـــا ان في قصة ( عين ) رستم دلالة على هذا ايضا ، فقد روى الطبري في تاريخه ان رستم لما نـــزل ( الـــنجف ) بعث منها عينا الى عسكر المسلمين فانغمس فيهم ( بالقادسية ) كبعض من ندمهم ، فـــرآهـــم يـــستاكون عند كل صلاة ثم يصلون فيفترقون الى مواقفهم ، فرجع اليه فاخبره بخبرهم وســـيـــرتـــهـــم حتى ساله ماطعامهم ، فقال : مكثت فيهم ليلة لا واللّه ما رايت احدا منهم ياكل شيئا الا ان يمصوا عيدانا لهم حين يمسون وحين ينامون وقبيل ان يصبحوا.

فلما سار نزل بين ( الحصن ) و ( العتيق ) وافقهم وقد اذن مؤذن سعد الغداة فرآهم يتحشحشون ، فـــنـــادى فـــي اهـــل فـــارس ان يـــركـــبـــوا ، فقيل له ولم ، قال : اماترون الى عدوكم قد نودي فيهم فتحشحشوا لكم ، قال عينه ذلك : انما تحشحشهم هذا للصلاة فلما عبروا توافقوا واذن مؤذن سعد للصلاة ، فصلى سعد ، وقال رستم : اكل عمر كبدي ((٢٠٨)) .

وهـكـذا يـمـكـننا في الواقع تفسير مجموعة من الشعارات وضعت للمسلمين وتؤدى بشكل جمعي خـصـوصا شعارات ( الحج ) اذ ان احد اهدافها ــ واللّه اعلم ــ هو اظهار جماعة المسلمين بمظهر القوة والمنعة .

الثانية :

ان الادا الـجـمعي يؤدي في بعده السياسي نفس الاثر الذي يؤديه في بعده التربوي ، اذ يساعد على كسر حالة التردد والخوف عند بعض الناس تجاه مضمون ومحتوى الشعار.
فقد يكون للجماعة المعينة اتجاه وتحرك سياسي ما ولكن هذا لا يعني ان لكل فرد في هذه الجماعة نـفـس هـذا الاتجاه وهذه الحركة ، وان لهم الهمة نفسهافي تحقيق ذلك ، بل قد يتردد بعضهم وقد تحصل عنده حالة من الخوف تمنعه من ممارسة العمل في سبيل ذلك الهدف المنشود.
وحينئذ يكون لادا الشعار مكررا وبصورة جماعية اثر في كسر مثل هذه الحالة اذ يشد بعضهم الى بعض ويشعرهم بالمنعة والعزة ويجعل من حركتهم حركة متجانسة وبصورة افضل .

ثالثا ــ المدلول الاجتماعي :

ويمكن تلخيص هذا المدلول في نقطتين اساسيتين ايضا :

الاولى :

يـمـكن ان يتم من خلال الشعار تاكيد العلاقات بين افراد الجماعة الواحدة كما هوواضح من خلال صلاة الجمعة والجماعة وشعائر الحج ، وان لم تنحصر آثار مثل هذه الشعارات في هذا الامر فقط.

الثانية :

اثـر الـشـعـار فـي ايجاد روح التكامل والتكافل ، اضافة الى ايجاده علاقات المحبة والتعارف بين المسلمين من خلال ادائهم لمجموعة من الشعارات وعلى شكل واحد.

رابعا ــ المدلول الاعلامي :

ان الـمـدلـول الاعـلامي للشعار يمكن اظهاره من خلال دراسة دوره في التعبير عن راي الجماعة وموقفهم وعزمهم وتصميمهم الواحد تجاه مختلف القضايا.
فـبامكان الامة ان تعطي للعالم من خلال شعاراتها مجمل معتقداتهاوتصوراتها الفكرية ومواقفها تجاه القضايا المختلفة : الفكرية والسياسية والاجتماعية و.
ان دراسـة مـدالـيل الشعار المختلفة توضح دوره وموقعه الحقيقي في عملية التغيير الجذري التي تستهدفها النظرية الاسلامية ، وذلك فيما اذا لم يبق الشعارمجرد حالة شكلية وصورية من دون اي مـضـمـون ، لا نه انما يكون له مثل هذاالدور الحقيقي فيما اذا كان له مضمون وروح وفعل حقيقي

يتكامل به مع بقية العوامل التي وضعتها النظرية الاسلامية على طريق تحقيق هدف التغيير المنشود.

.

## الفصل الثاني .

### تفسير بقية السورة

### تقسيم البحث :

بعد ( البسملة ) نتعرض لبقية آيات سورة ( الحمد ) المباركة في قسمين هما :

الاول :

في تفسير مفردات هذه الايات لفظا ومعنى .

الثاني :

فـــي المعنى الاجمالي الكلي للسورة والذي يفهم من خلال جمع مفرداتها المختلفة ومقاطعها المتعددة بعضها الى بعض ، اذ بالامكان تقسيم هذه السورة المباركة بعدالبسملة الى ثلاثة مقاطع :

١ ــ الـــمـــقـــطع المتضمن للحديث عن اللّه تعالى وتمجيده والثنا عليه وذكررحمته ، ويبدا من قوله تعالى : ( الحمد للّه رب العالمين ).

٢ ــ ويتحدث عن علاقة الانسان باللّه تبارك وتعالى وطبيعة هذه العلاقة ،ويبدا من قوله تعالى : ( اياك نعبد ).

٣ ــ ويـــشـــتـــمـــل عـــلى الدعا ، ويبدا من قوله تعالى ( اهدنا الصراط المستقيم ) الى آخر السورة المباركة .

### القسم الاول

### في تفسير المفردات

### مفردات المقطع الاول

١ ــ الحمد :

الـــحـــمد لغة : الثنا ، (( والحمد للّه تعالى الثنا عليه بالفضيلة )) ((٢٠٩)) ، وهناك مفردات ثلاث تتضمن معنى الثنا وتختلف فيما بينها ببعض الخصوصيات ،وهي المدح والحمد والشكر.

فـــالـــمـــدح : هـــو الثنا على كل شي حسن في هذا الوجود سوا كان صفة ثابتة في الانسان او غيره ،

**وسوا كان فعلا اختياريا اراديا او غير ارادي ، فكل شي اتصف بالحسن يكون موردا للثنا والمدح ، فاللؤلؤة الجيدة والبيت الجيدوصفات الانسان الجيدة وافعاله الارادية وغير الارادية الجيدة تكون كلهاموضعا للثنا والمدح ، ولم ترد هذه اللفظة في القرآن الكريم .**

**واما الشكر ، فقد وردت قرآنيا وفسرتها بعض الروايات وبعض اللغويين بالحمد ، واشترط لتحقق حالة الشكر توفر عناصر ثلاثة هي :**

١ ــ عــنــصــر المدح والثنا : اذ لا بد من افتراض حسن العمل الذي يرادالشكر عليه ومن ثم مدحه والثنا عليه ، وحينئذ يلتقي الشكر مع المدح في هذه الخصوصية ويكون مصداقا من مصاديقه .
٢ ــ لا بد من ان يكون الشكر على امر اختياري ، فلا تشكر الدرة على جمالها والوردة على شذاها ولا مــعــطي الزكاة او الخمس مكرها على اعطائه ، لان هذه الامور وان كانت حسنة الا ان عنصر الاخــتــيــار فــيها مفقود ، فلا يصح شكره وان صح مدحه ، فالشكر اذن ثنا متعلقه هو الفعل الحسن الاختياري .
٣ ــ ان يــكون الشكر انعكاسا وانفعالا ــ ان صح التعبير ــ عن الفعل الحسن ،فهو مدح مع وجود اليد ورد الجميل وعرفان له ، ولا نقصد بحالة الانعام هناالانعام بمعناه الشخصي والضيق ، بل المقصود به المعنى الاعم الذي يشمل حتى حالات الانعام التي تنسب الى الشخص ولو بشكل غير مباشر ، من قبيل الانعام على عشيرته او اسرته او اصدقائه او مجتمعه .
وحــيــنــئذ لا يــثبت مفهوم الشكر في حالة المبادرة والابتدا بالمدح حتى لوكان ذلك الفعل حسنا او اختياريا.
وامــا ( الــحمد ) فهو وان شابه المدح والشكر من حيث كونه مصداقا من مصاديق الثنا (( اللهم اني افــتتح الثنا بحمدك )) ((٢١٠)) الا ا نه يكفي فيه ان يكون متعلقه فعلا حسنا اختياريا ولا تشترط فيه مسالة عرفان الجميل ، اذ يمكن ان يكون ( الحمد ) ابتدا.
وتــفــســير الحمد بالشكر في بعض الروايات باعتباره مصداقا من مصاديق الشكر ( بالحمل الشايع الصناعي ) ، فقد يشكر العبد مولاه بحمده والثنا عليه ويكون الحمد حينئذ شكرا بوجوده الخارجي لا بــمــفــهــومه تماما ، كما في حالة شكر الانسان ربه بطاعته فتكون حينئذ الطاعة نفسها ادا لحالة الشكر ومصداقامن مصاديقها ، حتى قال بعض المتكلمين : ان وجوب الطاعة العقلي هو من باب شكر المنعم .
فــمــفهوم ( الحمد ) اذن هو المدح والثنا للّه تعالى على الحسن الصادر منه بالاختيار وباعتباره عز وجل خالق كل شي في الوجود وقد احسن خلقه ،فلذا استحق الحمد المطلق الذي لا حد ولا استثنا له لان كل افعاله تصدر منه بالاختيار ، ولعل استخدام صيغة الرفع في قوله تعالى ( الحمد للّه ) بدل النصب ،حيث لا بد من تقرير الفعل ( احمد حمدا ) كما هو حق الصياغة الاولية للعبارة هو من اجل حصر الحمد به تعالى ، فالحمد كل الحمد له تبارك وتعالى .

## ٢ ــ لفظ الجلالة ( اللّه ) :

وقد سبقت الاشارة اليه في ( البسملة ).

## ٣ ــ رب :

تستخدم ( رب ) في اللغة بعدة معان ، منها : المربي والاله والسيد والمنعم ،واصلها من ( التربية ). قال الراغب : (( الرب في الاصل التربية وهو انشا الشي حالا فحالا الى حد التمام )) ((٢١١)) .
ولــعل منشا استخدامها في ( الاله ) ((٢١٢)) هو باعتبار ان الاله خالق هذا الخلق ومغيره ومربيه باتجاه الكمال .

ولو اطلقت كلمة ( الرب ) دون اضافة الى شي ، فان المراد منها هو اللّه تبارك وتعالى كما في قوله تعالى :

( بلدة طيبة ورب غفور ) ((٢١٣)) .

ومع الاضافة فانها تستخدم في معان اخرى ، منها ( السيد ) و ( المالك )و ( المنعم ) ، قال تعالى :

( اذكرني عند ربك فا نساه الشيطان ذكر ربه ) ((٢١٤)) .

وقوله تعالى :

( قال معاذ اللّه انه ربي احسن مثواي ) ((٢١٥)) .

حيث قيل عن يوسف ٧ انه اراد بالرب هنا العزيز الذي رباه ، كما لعله الظاهر من قرينة الحال ، كما قيل ايضا انه عنى به اللّه تبارك وتعالى .

ولعل منشا استخدام ( الرب ) في ( السيد ) هو نفس منشا استخدامها في ( الاله ) باعتبار ما في السيد من امكانية تغيير حالة العبد من حال الى حال افضل او بسبب الاشتراك والعلاقة بين مضمون السيد والاله الذي اصبحت لفظة ( الرب ) واضحة في الدلالة عليه ولو على نحو العلاقة الادعائية ، اذ يدعي بعض الملوك والسادة المنحرفين الهيمنة على كل شي وكا نهم آلهة .

وهكذا الحال بالنسبة الى ( المنعم ) اذ بلحاظ ان المنعم يسد حاجة المنعم عليه ويحسن له احسانا يغير حاله من حال الى آخر باتجاه الكمال ، فقد استخدمت كلمة ( الرب ) فيه بمعناها الاصلي ، اي ( المربي ).

وعلى هذا فهل المراد من ( رب ) في قوله تعالى : ( رب العالمين )مبدؤها الاشتقاقي ، فيكون المعنى ( مربي العالمين ) ومغير حالهم باتجاه الكمال ؟او يراد منها المعنى الاخر الذي انتقلت اليه من خلال استخدامها في ( الاله )فيكون قوله تعالى مرادفا لعبارة ( اله العالمين ) ؟.

والظاهر ان كلا الاحتمالين صحيح في نفسه وان كنا نرجح الاحتمال الاول باعتبارين :

الاول :

ان اصلها الاشتقاقي هو ( التربية ) ، ولا يبعد ان يكون المراد من استخدامهاهو الاشارة الى هذا الاصل الاشتقاقي ، اي ا نه يراد منه الاشارة الى الذات المقدسة من خلال صفة من صفاتها وهذا ينسجم مع طريقة القرآن الكريم في التعبير عن الذات الالهية من خلال الاسما الحسنى لها وصفات الكمال والفيض الالهي .

الثاني :

ان الاحتمال الاول لا يؤدي بنا الى التكرار الذي ينتج عن تفسير الرب بالاله على الاحتمال الثاني ، اذ يكون التقدير على الاحتمال الثاني ( الحمد للّه اله العالمين )ودلالة ( اللّه ) على الاله واضحة .

٤ ــ العالمين :

عالم كخاتم وطابع ، تدل في هيئتها على ما يعلم به ، فكان هيئتها هيئة تدل على الالة ، فالخاتم آلة لما يختم به ، والطابع لما يطبع به ، والعالم لما يعلم به ((٢١٦)) .

واما من حيث مادتها فانها تستخدم عادة بلحاظ التركيب بينها وبين هيئتها ، فيما اذا كانت هناك مجموعة من الافراد او الاجزا المتماثلة فيما بينهاوالتي تشكل حالة واحدة اما على مستوى الجنس ، فيقال : عالم الحيوان ، عالم النبات ، او على مستوى النوع ، فيقال : عالم الانسان ، عالم السمك ، او على مستوى الصنف ، فيقال : عالم العرب ، عالم العجم ، عالم الاسود وعالم الابيض .

فالخصوصية الماخوذة في هذه الاشيا هي ان تكون هناك كثرة في العددوالاجزا من ناحية ووحدة في الصفة من ناحية اخرى ، بحيث ينتزع منهاهذا التركيب ، وانما يعبر عن هذه المجاميع بالعوالم باعتبار ان كل هذه الموجودات وبخصوصياتها المقتضية لتماثلها فيما بينها تكون آلة ووسيلة للعلم باللّه تبارك وتعالى من حيث كونها معلولة له .

وقد وقع الكلام فيما هو المقصود بصيغة الجمع ( العالمين ) فقال بعضهم :انها العوالم الموجودة في هذا الوجود كله ، اذ يمكن تقسيمها الى عوالم متعددة :عاقلة وغير عاقلة ، باعتبار وجود الخصوصيات المشتركة بين المجموعات الجنسية والنوعية فيه ، وانما كان الجمع هنا بالجمع للعاقل ( العالمين ) لا بجمع غيرالعاقل ( عوالم ) ، باعتبار وجود عالم الانسان فيها وهو اشرفها فغلب على بقية العوالم ــ واضاف آخرون الى ذلك عالمي الجن والملائكة ــ لافضليته لا لكثرته .

وخص آخرون ( عالمين ) بخصوص عوالم العاقل ، وقالوا : ان المقصودمن عوالم العاقل هي اما عوالم الملائكة والانس والجن ، او خصوص عالمي الانس والجن ، وقد مال العلامة الطباطبائي ١ الى الراي الاول ، ولكننا نرجح الاخر باعتبار :

١ ــ ان سياق الايات في المقطع الاول من السورة يشعر بان موضوع الحديث هو الانس والجن ، فمن ذكر صفة الرحمة ( الرحمن الرحيم ) يفهم ان موضوع الحديث هو من يكون في موضع التكليف والرحمة والعقاب ، ومن ذكر صفة يوم القيامة ( مالك يوم الدين ) يفهم ان هؤلا لا بد وان يكونوا في معرض الحساب في ذلك اليوم ، ومن يكون في معرض التكليف والرحمة والثواب والعقاب والحساب انما هو الانس والجن دون الملائكة .

٢ ــ ان مراجعة موارد استخدام لفظة ( العالمين ) في القرآن الكريم تشعربان المبنى العام في استخدامها هو في خصوص عالم الانس والجن ، اذ ان هناك قرائن خاصة في اغلب موارد استعمالها تدل على ان المراد منها هو عالم الانس والجن ، كما ا نه لا توجد في الموارد الاخرى المتبقية قرينة تدل على ارادة العموم منها.

قال تعالى في معرض الحديث عن النبوة وفضلها :

( وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين ) ((٢١٧)) .

فهذا الفضل الذي تفضل به اللّه تبارك وتعالى فضل خاص بعالم الانس .

وفي قوله تعالى :

( فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين ) ((٢١٨)) .

حديث عن العذاب الذي لا يكون الا في مورد المسؤولية والتكليف والارادة والاختيار ، كما هو مقتضى ( العدل الالهي ) وهذا لا يكون الا في عالمي الانس والجن .

وهكذا ما ورد في قوله تعالى ( واصطفاك على نسا العالمين ) ((٢١٩)) ،فبقرينة لفظة ( النسا ) تختص لفظة العالمين بالانس ، وقد تشمل الجن ايضا اذاافترضنا ان في الجن نسا.

والـــهـــداية في قوله تعالى ( هدى للعالمين ) ((٢٢٠)) ، تعني ( الدين ) وترتبطبالارادة والاختيار اللذين لا ينسبان الا الى الجن والانس .

وفـــي قـــوله تعالى ( ذكرى للعالمين ) ((٢٢١)) و ( للعالمين نذيرا ) ((٢٢٢)) ،لا تصح الذكرى والـــمـــوعظة والانذار الا فيمن يكون في معرض تحمل المسؤولية مع ارادته واختياره وهما عالما الانس والجن .

وفـــي قـــوله تعالى ( ان اللّه لغني عن العالمين ) ((٢٢٣)) ، الظاهر ان حاجة اللّه عز وجل المنفية في الاية المباركة انما هي للمخلوق ذي الارادة والاختيار الذي يطلب منه عبادة اللّه وهو ما ينطبق على الانس والجن .

وهكذا في آيات كثيرة اخرى .

واما فـــي الـــروايـــات فان هناك تفسيرا آخر للفظة ( العالمين ) ، اذ ورد ان هناك عوالم خلقها اللّه تـــبـــارك وتـــعالى قبل خلق آدم ٧ وخلق هذا العالم ، والتي عاشت حالة المسؤولية والتكليف ، وكانت عوالم ارادة واختيار ، عبر عن آدمهايضا بدم ، فعن ابي جعفر ٧ في حديث طويل جا فيه : (( لعلك ترى ان اللّه انما خلق هذا العالم الواحد او ترى ان اللّه لم يخلق غيركم ؟ الف عالم ، والف الف آدم ، انت في آخر تلك العوالم واولئك الادميين )) ((٢٢٤)) .

فـــالـــمـــقصود ــ اذن ــ من لفظة ( العالمين ) هو تلك العوالم ، وعالمنا هذا وان مثل اكمل تلك العوالم وارقاها ولكن سيليه عالم ارقى واكمل تتكامل فيه الموجودات وهو عالم ( الاخرة ).

وبـــالامـــكـــان جـــمع هذا الراي مع راي العلا مة الطباطبائي ١ فيما اذا اعطينالمفهوم الانس والجن مـــفهوما اوسع من هذا المفهوم المتبادر الى الذهن والذي يحصرهما بانس وجن هذا العالم ، فنفترض وجـــود عـــوالـــم اخرى قبل عالمنا هذاوالتي كانت اما عوالم انس وجن معا او كانت عوالم جن فقط واستمرت مع عالم الانس ، هذا حسب اختلاف الروايات في ذلك .

الرحمن الرحيم :

وقـــد ذكـــر مـــعناهما مفصلا في ( البسملة ) واما ورودهما هنا فهو اما تكرارلتاكيد صفة الرحمة الـــواردة فـــي ( الـــبـــســـمـــلة ) او ان لهما معنى آخر ، وذلك بملاحظة سياق الايتين ، اذ ان سياق ( الـــبـــســـملة ) هو سياق ( الشعار ) الذي اريد من خلاله اعطا صورة عن خصوصية ( الاله ) الذي يـــطـــرحه الاسلام من هذا الشعار ،ولذا وردت هاتان الصفتان ( الرحمن الرحيم ) لتاكيد خصوص صـــفـــة الـــرحـــمة الالهية في الشعار الاسلامي واما سياق هذه الاية فهو سياق آخر اريد منه ذكر( الرحمة ) في سياق عدة امور اخرى ، مثل تمجيد اللّه وحمده والثنا عليه ، ويكون بيان الرحمة هنا الى جانب بيان الحساب والعقاب المشار اليه بـــ ( مالك يوم الدين ) وكذلك بيان عبادته ، وحينئذ يكون تكرار ورودهما في ( البسملة ) وهذه الاية بمقتضى ما يتطلبه سياق كل من الايتين لا لغرض تاكيد صفة ( الرحمة ) في الاية الاخرى .

٦ ــ مالك :

وتصح قراتها ( ملك ) ايضا كما هو المعروف والمتواتر ، فعن الامام الصادق ٧ : عن محمد بن علي الحلبي ، عن ابي عبد اللّه ٧ : (( ا نه كان يقرا ملك يوم الدين )) ((٢٢٥)) .

عن داود بن فرقد قال : (( سمعت ابا عبد اللّه ٧ يقرا ما لا احصي ملك يوم الدين )) ((٢٢٦)) .

ومالك مشتق من ( ملك ) الذي عرف بـــ :

١ ــ القدرة في التصرف ، وهذه القدرة هي منشا وملاك هذا التصرف .

٢ ــ او هــو عــبــارة عن ( الاختصاص ) كما قال صاحب ( مجمع البيان ) فاذاخص شي شيئا آخر بشكل اكيد لا يباح معه تصرف الاخرين فيه ، عبر عن هذا الاختصاص بالملك ((٢٢٧)) .

٣ ــ او هو الربط الشديد ، فقد يعبر عن ارتباط شي بشي آخر بشدة بالملك .

واما ( ملك ) فانها مشتقة من ( ملك ) الذي يعني القدرة في التصرف بشكل واسع ، ( فالملك ) اذن ( ملك ) مع خصوصية ( السعة ) في التصرف .

وقد يعرف الملك ايضا با نه القدرة على التصرف في النظام الاجتماعي ،اي الذي يملك الامر والنهي في النظام ، وباعتبار ان الولاة يملكون الامر والنهي في النظام الاجتماعي سموا ملوكا ، واللّه يملك الامر في النهي في كل الامور الكونية والاجتماعية وفي هذه الحياة وفي الحياة الاخرى ، بل وفي جميع العوالم وصف سبحانه بالملك ، وقيل : ان ( الملك ) هو المتصرف بالامر والنهي في الجمهور وذلك يختص بسياسة الناطقين ، ولهذا يقال : ملك الناس ، ولا يقال : ملك الاشيا ((٢٢٨)) ،وفي غير هذا المورد تكون القدرة على التصرف ( ملك ) لا ( ملك ).

وعــنــدما ندقق في هذا الكلام نجد ان المفهوم العرفي لكل من ( الملك ) و( الملك ) يرجع الى امر واحد وهو ( القدرة على التصرف ) وانما يفترقان في مجال ومتعلق التصرف ، فالاول هو التصرف فــي الــنــظــام عــلــى نــحــو اصدار القرارات فيه ،والثاني هو التصرف في الاشيا الاخرى ، واما الاختصاص والربط مع الشدة فيهما فهما من آثار هذه القدرة ، ولا يكون حينئذ بيانا للمعنى الحقيقي لهذه الكلمة ،بل هما تفسير باللازم والاثر للمعنى الحقيقي ، ولا يبعد ان يكون المعنى الصحيح للملك هو القدرة الحقيقية على التصرف بالاشيا ، والملك ماخوذ من هذه القدرة مع اضافة عنصر النظام .

وقد جات مادة ( ملك ) في القرآن الكريم بصيغ متعددة ، منها :

ملك : قال تعالى : ( وللّه ملك السماوات والارض واللّه على كل شي قدير ) ((٢٢٩)) .

ملك : قال تعالى : ( فتعالى اللّه الملك الحق ) ((٢٣٠)) .

مليك : قال تعالى : ( في مقعد صدق عند مليك مقتدر ) ((٢٣١)) .

ملكوت : قال تعالى : ( فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي واليه ترجعون ) ((٢٣٢)) .

مالك : قال تعالى : ( قل اللهم مالك المــلك تؤتي المــلك من تشا ) ((٢٣٣)) .

وحين نرجع هذه الصيغ الى مضامينها اللغوية نجدها ترتبط كلها من حيث اصل مادتها بمعنى واحد يدل على الاستيلا الحقيقي والقدرة على التصرف ،واما اختلافها فيما بينها ببعض الخصوصيات الزائدة فراجع الى هيئتها وصيغهاالمتعددة .

ومع كون كل من القراتين ( مالك ) و ( ملك ) صحيحة ومناسبة للّه تبارك وتعالى في حد ذاتها ، فقد ذكر المفسرون مرجحات معنوية لكل منهما على الاخرى ، فقال بعضهم : ان ( مالك ) ابلغ في المدح باعتبار ان مدلولها اوسع من مدلول ( ملك ) ومن يكون ملك الشي قد لا يكون مالكا له ، فملك الروم لا يــملك الروم

مثلا ، بخلاف من يكون مالكا ، فانه يكون في نفس الوقت ملكا ومسيطراعلى ذلك الشي يامر وينهى فيه ، بل ان حالة المالكية في هذه الصيغة من السعة بحيث تشمل حالة الملك نفسه ويكون مملوكا ، قال تعالى : ( قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشا وتنزع الملك ممن تشا ) ((٢٣٤)) .

وحينئذ يرجحون هذه الصيغة باعتبارها الابلغ في المدح والثنا لمناسبتهالسياق هذا المقطع من السورة المباركة الذي هو سياق المدح والثنا على اللّه تبارك وتعالى .

وفي مقابل هذا نجد ان بعض المفسرين ((٢٣٥)) يرجحون صيغة ( ملك ) بعدة مرجحات منها :

اولا :

ان صيغة ملك تناسب المضاف اليه وهو ( يوم الدين ) ، لان صيغة ( ملك ) تنسب وتضاف الى الزمان بخلاف ( مالك ) ، فلا يقال مالك العصر والزمان ، بل يقال ملك العصر والزمان ، وبما ان هذه المفردة نسبت في هذه الاية الى الزمان وهو( يوم ) ، لذا فان صيغة ( ملك ) هي الاوفق لهذه النسبة من ( مالك ).

ثانيا :

نسبة صيغة ( ملك ) الى يوم القيامة في آيات اخرى دون صيغة ( مالك ) ، وبما ان اللفظ جا هنا منسوبا الى يوم القيامة ( يوم الدين ) ، فقد جعل هذا قرينة ومرجحا لصيغة ( ملك ) على صيغة ( مالك ).

ونحن نرجح صيغة ( ملك ) من حيث المضمون والمعنى ، وذلك من خلال مراجعة موارد استعمال كلمة ( ملك ) ومادتها في القرآن الكريم ، فقد طرحت الايات الكريمة المتضمنة لها قضية عقائدية مهمة تتعلق بالامر والقرار الالهي الحاكم والمسيطر والامر والناهي الذي يفصل في كل القضايا وفي كل آن ومكان ،وفي يوم القيامة بشكل خاص ، قال تعالى :

( لمن الملك اليوم للّه الواحد القهار ) ((٢٣٦)) .

( للّه ملك السماوات والارض ) ((٢٣٧)) .

( قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور ) ((٢٣٨)) .

( يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ للّه ) ((٢٣٩)) .

( ولم يكن له شريك في الملك ) ((٢٤٠)) .

( الملك يومئذ للّه يحكم بينهم ) ((٢٤١)) .

( تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شي قدير ) ((٢٤٢)) .

فالقرار والارادة المتحكمة في السماوات والارض والتي بيدها ادارة هذا الكون واتخاذ القرار فيه والفصل في كل شي والامر والنهي في يوم القيامة ،كل هذه الامور للّه تبارك وتعالى لا شريك له كما يتوهم المشركون .

وقوله تعالى ( مالك الملك تؤتي الملك من تشا ) ((٢٤٣)) ، الذي يذكركمرجح لقراة ( مالك ) فيه دلالة العكس ــ في الواقع ــ اذ ان هذه الاية في صددبيان ان مالك القرار الحاكم على كل

الــقــرارات والامــر والنهي الحاكم على كل الاوامر والنواهي والارادة المطلقة الحاكمة على كل الارادات هو اللّه تبارك وتعالى ، الامر الذي يناسب صيغة ( ملك ) هنا لا ( مالك ).

وقــوله تعالى ( قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شا اللّه ) ((٢٤٤)) ،يدل على ان الانسان لا يــمــلــك شــيئا بشكل مطلق سوا كان ذلك الشي لنفعه او لضره ، وانما يملك ما يملك باشاة اللّه تبارك وتعالى وارادته .

ومن خلال هذه الايات وامثالها يتبين ان هذه القضية العقائدية المطروحة بصورة متكررة في القرآن الــكريم والتي تتعلق بالامر والقرار الالهي تتناسب ،حيث وردت مع صيغة ( ملك ) التي يراد بها من يــمــلــك الامــر والــنهي اكثر مماتتناسب مع صيغة ( مالك ) التي لا تدل الا على مجرد القدرة على التصرف الا ان يقال ــ واللّه العالم ــ ان الملك يرجع في حقيقته الى المالكية المطلقة وان هذا هوالذي يريد ان يشير اليه القرآن هنا.

٧ ــ اليوم :

لــغة (( يعبر به عن وقت طلوع الشمس الى غروبها وقد يعبر به عن مدة من الزمان ، اي مدة كانت )) ((٢٤٥)) .

وحــيــنئذ يمكن ان يكون المراد من كلمة ( يوم ) هنا هو الاشارة الى وحدة زمنية معينة من قبيل ما نفهمه منه عرفا ، غاية ما في الامر انه قد يكون يوماوسع واطول ، كما في قوله تعالى :

( وان يوما عند ربك كا لف سنة مما تعدون ) ((٢٤٦)) .

( تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ) ((٢٤٧)) .

كما يمكن ان يكون المراد منه هو مجرد الاشارة الى الوقت والزمان والكناية عنهما ، ويكون معنى ( مــالــك يــوم الــدين ) هو ( مالك وقت الدين ) ،اي ذلك الوقت الذي يتحقق فيه ( الدين ) ، ومثل هذا كــثــير في العربية كقولهم ( يوم البسوس ) و ( يوم بدر ) و ( يوم صفين ) ، ويراد منه هنا الوقت الذي جرت فيه هذه الوقائع طال او قصر.

الدين :

ولها عدة معان ((٢٤٨)) ، منها : ١ ــ الــجــزا ، وقــد ورد (( كــمــا تدين تدان )) ، ويراد في ( تدان ) هنا ( الجزا ) ،اي المثوبة والعقوبة المترتبة على الفعل الصادر من الانسان .

٢ ــ الــحــســاب ، وهو المروي عن الباقر ٧ ، وعن ابي عبد اللّه ٧ ، قال :(( مالك يوم الدين : يوم الحساب )) ((٢٤٩)) .

والحساب هنا اعم من الجزا ، فقد يكون عقابا او ثوابا او رحمة او مغفرة .

٣ ــ الطاعة ، فعن عمرو بن كلثوم انشد : (( عصينا الملك فينا ان ندينا )) ،اي ان نطيع .

٤ ــ العادة ، ويقال (( دين الانسان كذا )) اي عادته وسيرته على كذاوهو بمعنى ( ديدنه ).

٥ ــ القهر ، فقد يعبر عن قهر الشي وارغامه بالدين .

ويرجح صاحب مجمع البيان المعنى الاول ( الجزا ) ويستشهد على ذلك بقوله تعالى :

( اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ) ((٢٥٠)) .
( اليوم تجزون ما كنتم تعملون ) ((٢٥١)) .
مما يدل على ان يوم القيامة او يوم الدين هو يوم الجزا.
ومـــا نـــرجـــحـــه هو ان الاصل في ( الدين ) لغة هو ( القهر ) و ( الالزام ) ،واما ما يذكر من معان اخـــرى له سوا ما ورد منها في كتب اللغة او في القرآن الكريم فهي لوازم وآثار مترتبة على القهر ويكون التعريف بها تعريفا للملزوم باللازم .
وهذا المعنى المختار يناسب ما ورد في القرآن الكريم من حديث ووصف ليوم القيامة : ( يوم الدين ) ، حـــيـــث وصـــف اللّه تعالى في ذلك اليوم ( بالقهار )وحالة البشر بالخشوع والذلة المناسبة لحالة ( القهر ) ، قال تعالى :
( خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ) ((٢٥٢)) .
وفـــي قـــوله تعالى : ( ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل ) ((٢٥٣)) ، رد على المشركين في سعة قدرته وملكه عز وجل وليس له معين من الذل وهو العجز عن القهر والالزام .
واوضـــح من هذا قوله تعالى : ( لمن الملك اليوم للّه الواحد القهار ) ((٢٥٤)) ،الذي جمع فيه بين الملك والقهر للّه تعالى يوم القيامة .
وحـــيـــنـــمـــا يكون اللّه تعالى قاهرا ومهيمنا ومسيطرا على كل شي في يوم القيامة ويكون الاخرون مقهورين ومهيمنا عليهم فانهم لا بد وان يكونوا في معرض ( الجزا والحساب ) بموجب العدل الالهي الذي اقتضى ان يكون الحساب والجزا على اعمال الظلم والعدوان في الحياة الدنيا في الدار الاخرة ، وهكذاالثواب ، وتحقق منهم حالة ( الطاعة ) ايضا ، لانها لازم من لوازم ( القهر الالهي )الذي يكون ( عـــادة ) بـــلحاظ كونه حالة ثابتة ومستقرة وليس حالة مؤقتة ، ففي هذا اليوم ( يوم الدين ) تكون حركة المخلوقات كلها متطابقة مع الارادة الالهية التكوينية والتشريعية .
واما في هذه الدنيا فالامر يبدو مختلفا ، حيث قد تبدو بعض الموجودات وبحسب المظهر الخارجي والشكلي لها وكا نها تتحرك وتتصرف على خلاف الارادة الالهية وغير مقهورة لها ، كما في حالات الـــمعصية التي تصدر عن الانسان وغيره من المخلوقات ، وان كانت في الواقع ليست كذلك ، بل هي ايضا مقهورة للارادة الالهية ، ولكنها انما تبدو كذلك لان الارادة الالهية تعلقت بهذه المخلوقات على ان تكون لها حرية وارادة واختيار.
بل يمكن ارجاع ما ذكر من المعاني الى معنى القهر والالزام كما في المثال الاول ( كما تدين تدان ) ، اي كما تلزم تلزم وكما تقهر تقهر وهكذا ما ورد على لسان عمرو بن كلثوم او تفسيره بمعنى العادة فانها نوع من الالزام والقهر.

## مفردات المقطع الثاني

ويـــشـــتـــمـــل هذا المقطع على مفردتين رئيستين : ( العبادة ) و ( الاستعانة ) ،اضافة الى الضمير المعبر عن اللّه تبارك وتعالى ( اياك ).
وصـــيـــغـــة البيان جات في هذا المقطع مختلفة عنها في المقطع السابق ، حيث انتقل القرآن من صيغة الحديث عن الغائب الى صيغة الخطاب .

والــمضمون العام في المقطع السابق كان هو المدح والثنا للّه تعالى ، واما في هذا المقطع فالمضمون العام يتضمن بيان طبيعة العلاقة بين الانسان واللّه سبحانه وتعالى وذلك من خلال علاقة العبادة للّه والاستعانة به .

١ ــ العبادة :

ذكــرت فــي كــتــب اللغة والتفسير للعبادة معان عديدة ، كالخضوع والذلة وفسرها بعضهم بالطاعة والــشــكر ، وافترض ا نها نوع من انواعهما ومال بعض المفسرين ومنهم العلا مة الطباطبائي ١ الى تــفــسيرها ( بالمملوكية ) ولاحظعلى تفسيرها بمجرد ( الذلة والخضوع ) فضلا عن ( الطاعة والــشكر ) بان فعلي :( خضع ) و ( ذل ) لازمان غير متعديين فيقال : خضع للّه وذل للّه ، بينما ( عــبــد )فعل متعد فيقال : (( عبد اللّه تعالى )) مما يدل على ان في جوهر العبادة خصوصية اقتضت ذلــك ولــو وجدت في ( خضع ) و ( ذل ) لتعديا ايضا ، نعم الذل والخضوع من الاثار المترتبة على المملوكية ، وحينئذ يكون من فسر العبادة ( بالذل والخضوع ) قد فسر السبب الذي هو المملوكية بالمسبب فقط الذي هو الذل والخضوع لا نهما لازمان للملوكية ومسببان عنها ، وهذا كثير في اللغة .
ومن خلال مراجعة الموارد التي استخدمت فيها مادة ( العبادة ) في القرآن الكريم وكتب اللغة يمكن ان نفهم ان المراد من ( العبادة ) هو اظهار الخضوع والذلة مع التقديس فتاخذ خصوصية ( التقديس ) كــعــنــصــر اســاسي في مفهوم العبادة لامجرد الخضوع والذل في نفسه ، وبتعبير آخر : هي ( الــخضوع للشي مع التقديس )بحيث يكون المركب من ( الخضوع ) و ( لام التعدية ) هو المساوي لمفهوم ( العبادة ).
قال الراغب : (( العبودية اظهار التذلل ، والعبادة ابلغ منها )) ((٢٥٥)) .
فمفهوم مادة ( خضع ) اذن من المفاهيم الاضافية ( كالتعظيم ) و ( الاحترام )التي لا بد ان يفترض فيها وجود من يخضع له ومن يعظم ومن يكون محترما.
وهذه المفاهيم الاضافية تارة يوضع لها لفظ بما هي حالة وصفة قائمة بالشي من دون ملاحظة النسبة والاضــافة والمضاف اليه كما في لفظ ( الخضوع ) و( الذل ) ولذا لا يتعدى ، واخرى يفترض ان هذا المفهوم قد وضع له لفظ مع ملاحظة نسبة الاضافة والطرف الاخر فتدخل هذه النسبة كعنصر في المفهوم الموضوع له اللفظ كما في لفظ ( العبادة ) و ( التعظيم ) و ( الاحترام ).
ولــذا احــتــيــج فــي الفعل ( خضع ) الى تعدية بالحرف المعبر عن النسبة وهو ( اللام ) لان الشي الــمدلول عليه بالحرف غير ماخوذ في المعنى الموضوع له بخلاف ( عبد ) فان الاضافة قد اخذت في المعنى الموضوع له ، ومن ثم تكون هذه الخصوصية مدلولا عليها من خلال الفعل الذي يكون فعلا متعديا بذاته ،وهذا في الواقع قانون عام في الافعال اللازمة والمتعدية ، فحينما تكون النسبة ماخوذة فــي الــفــعل نفسه يكون الفعل متعديا بذاته ولا يحتاج الى حرف جرلتعديته ، والا يصبح الفعل لازما وحينئذ يحتاج الى الاستعانة بالحرف المناسب للتعبير عن تلك النسبة وتعديته .
ولعل العلا مة الطباطبائي ١ عندما فسر العبادة بالمملوكية لا بالخضوع والذلة ــ وان فسرت العبادة بــالخضوع للشي ــ انما فعل ذلك لا نه قد لاحظ وجودالفرق الاساسي في مقام التعامل مع مفهومي ( العبادة ) و ( الخضوع ) في الشريعة الاسلامية ، وحتى في الحالة الوجدانية والعرفية بين الناس .

فالعبادة لغير اللّه محرمة شرعا كائنا من كان الطرف الاخر ، بينما لا يحرم على الانسان الخضوع لغيره واطاعته له كاطاعة النبي والامام ٧ والخضوع للابوين ، بل قد تجب هذه الطاعة والخضوع في احيان كثيرة ، قال تعالى :

( اطيعوا اللّه واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ) ((٢٥٦)) .

( واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ) ((٢٥٧)) .

( اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ) ((٢٥٨)) .

مما يدل على ان في العبادة خصوصية غير موجودة في مجرد الخضوع حتى مع ملاحظة النسبة فيه ، وحينئذ عرف العلا مة ١ ( العبادة ) با نها تعبيرعن اضافة المملوك الى المالك في مقابل ( الملك ) الــذي هــو تعبير عن علاقة المالك بالمملوك ( اي التعبير عن الطرف الاخر في العلاقة بين المالك والــمملوك ) ،وتخلص من الاشكال السابق الذي يرد على تفسيرها ( بالخضوع للشي )اذ لا تتحقق في موارد الخضوع الجائز او الواجبة شرعا ، صفة وعلاقة المملوكية وانما عبر عنها بالمملوكية ( الــمطلقة ) ليخرج بذلك انواع الملكيات التي تجعل من المالك مالكا لجوانب معينة مما يملكه لا كل خــصوصياته ، كملكية السيد لعبده التي هي ملكية محدودة لا نها لا تبيح له كثيرا من التصرفات مثل قــتله او التعسف بمعاملته او منعه من ادا الواجبات الشرعية كالصلاة والصوم وغيرها ، وبهذاتكون العبادة وباعتبارها ( المملوكية المطلقة ) مختصة باللّه تعالى دون غيره .

وقــد حاول العلا مة ١ بطرحه لمسالة ( التعدية واللزوم ) ايجاد مبرر لغوي لعدم الاخذ بتفسير ( الــعبادة ) با نها ( الخضوع للشي ) ولكن مع كل هذا يمكن تفسير العبادة ( بالخضوع للشي ) تمشيا مع جمهور اللغويين وذلك باضافة خصوصية اخرى الى الخضوع .

وقــد اشار الطبرسي ١ في ( مجمع البيان ) الى احد الاحتمالات في هذه الاضافة ، فذكر ان العبادة لا تعني مجرد ( الخضوع ) بل هي ( الخضوع مع التعظيم )وبذلك لا تكون اطاعة ولي الامر عبادة لان الــتــعــظــيم لا يشترط فيها ولا تعتبر( ذلة ) المؤمن تجاه المؤمنين ولا ( ذلة ) الانسان تجاه والديه ( عبادة ) لا نها ذلة رحمة ورافة لا ذلة تعظيم .

ومــن قبيل هذا ما ورد في بعض الروايات ويذكره الفقها من حرمة اوكراهة تقبيل اليد للتعظيم الا يــد رســول اللّه ٩ او يــدا اريــد بــهــا رســول اللّه ٩ ،واما تقبيل اليد بدون تعظيم كاظهار المحبة والرحمة كتقبيل الاب يد طفله فهو غير حرام .

والاحــتــمال الارجح والاكثر مناسبة لمعنى ( العبادة ) العرفي هو تفسيرها( بالخضوع ) مع اخذ صــفــة ( الــتقديس بالالوهية ) فيه ، كما تشير الى ذلك بعض الايات الكريمة في مصاديق العبادة ( ونــحــن نسبح بحمدك ونقدس لك ) ((٢٥٩)) ،( الذين يذكرون اللّه قياما وقعودا وعلى جنوبهم ) ((٢٦٠)) ، ( نعبد اصناما فنظل لهاعاكفين ) ((٢٦١)) ، وكذلك الايات التي تقارن بين عبادة اللّه وعــبــادة الاصنام ، وحينئذتكون العبادة بهذه الخصوصية محرمة لغير اللّه تبارك وتعالى ، كما دلت على ذلك الايات الكثيرة التي تنهى عن عبادة غير اللّه تعالى .

ومن المحتمل ان يكون مقصود العلا مة الطباطبائي ١ هو الاشارة الى هذه الخصوصية بالتعبير عنها بالمملوكية ، لا نها تعبر عن منتهى درجات الخضوع والتقديس بالالوهية ، وعلى هذا الاساس حرم

الاســلام الــعــبــادة لــغير اللّه تعالى ،لا نها شرك باللّه ، كما حرم كل الاعمال التي لها الاختصاص بالتعبير عن ( الخضوع التاليهي ) مثل ( السجود ) لغير اللّه تعالى حتى لو لم يكن بقصد التاليه .

٢ ــ الاستعانة :

قال الراغب في مفرداته : (( العون : المعاونة والمظاهرة ، والاستعانة : طلب العون )) ((٢٦٢)) . وقد ناقش العلا مة الطبرسي ١ في هذا المفهوم وافترض ا نه ليس مجردطلب العون ، والا لما كان هناك وجه لحصره باللّه تبارك وتعالى ، لان الانسان يستعين في حياته الاعتيادية بالاخرين من الناس وبالحيوانات والموجودات الاخرى ، وبدون ذلك لا يمكن ان تسير حياته الاعتيادية ، بل امره اللّه تعالى بذلك ، ويؤكد هذا الاشكال هو ان الاستعانة هنا جات مقارنة للعبادة في قوله تعالى : ( اياك نعبد واياك نستعين ) ، والعبادة ــ كما تقرر ــ مختصة به تبارك وتعالى ومحرمة على غيره ، واما الاستعانة بمعنى ( طلب العون ) فيمكن ان تصح شرعا حتى من غير اللّه تعالى ، اذ يستعين الانسان في حياته بمختلف الوسائل والموجودات كما ذكرنا.

وعلى هذا لا بد من ان يكون للاستعانة معنى آخر يسوغ هذا الحصر ثم ذكر ١ ان الاستعانة على انحا : فتارة تكون لسد باب من ابواب عدم الشي فيتوسل الانسان بسبب من اسبابه لتحقيقه ، وهذا هو ما يتم في حياة الانسان الاعتيادية عندما يستعين بمختلف الوسائل والموجودات ليتوسل الى تحقيق وجود الشي ، فيتمكن بذلك من بعض اسبابه التي هي في الحقيقة ترفع وتسداحدى ابواب انعدامه ، وتارة اخرى يراد من الاستعانة الاستعانة بكل الاموروالاسباب التي تدخل في علة وجود الشي ، بحيث يكون الامر ( سدا لجميع ابواب العدم ) فيتحقق وجود الشي لتحقيق جميع اجزا واسباب وجوده ، ويعبرعن هذا بـ ( التوفيق ) ، وهذا الصنف من الاستعانة هو المنحصر به تبارك وتعالى لعجز غيره عن التاثير بكل الامور والاسباب ، غيبية كانت او غير غيبية ، ويكون المقصود حينئذ من قوله تعالى ( اياك نعبد واياك نستعين ) ، اي ( اياك نعبدواياك نطلب التوفيق ) ((٢٦٣)) .

على ان بالامكان ان يكون المراد ايضا طلب ( الاستعانة ) باللّه تعالى حتى بالنسبة الى تلك الاسباب التي يتوسل بها الانسان بالموجودات الاخرى ( كالانسان والحيوان وغيرهما ) ، لان كل الاسباب التي يستعين بها الانسان في حياته منتهية الى اللّه عز وجل في الواقع ، وحتى ما كان منها تحت سيطرة الانسان فانها تحت سيطرة اللّه وهيمنته ، واللّه قادر على ان يمنعه منها فيحتاج الى معونة اللّه تعالى حتى يمكن ان تؤثر في مسبباتها ، اذن فطلب العون منه تعالى يمكن ان يكون طلبا مطلقا سوا في الاسباب التي تنتهي الى ارادة الانسان او الاسباب المادية الاخرى او الاسباب الغيبية التي هي امداد الهي مباشر منه تعالى ، ويكون الانسان في هذا الطلب في مقام التعبير بطلب الاستعانة عن الواقع والحقيقة التي اريد منه الاعتقاد بها ، وهي ان كل ما في هذا الكون تحت سيطرة اللّه وارادته ولايمكن ان يتم شي فيه الا بمشيئته : ( وما تشاؤون الا ان يشا اللّه ) ((٢٦٤)) وهذاالصنف من الاستعانة مختص باللّه تعالى ومنحصر به .

مفردات المقطع الثالث

١ ــ الهداية :

الهداية لغة : (( ( الدلالة الى شي بلطف ) ، وقد استعملت في القرآن الكريم في هذا المعنى فان قيل : كيف جعلت الهداية في القرآن دلالة بلطف مع ا نهااستخدمت في الدلالة الى النار ، وهي لا تكون بلطف عادة كما في قوله تعالى : ( فاهدوهم الى صراط الجحيم ) ((٢٦٥)) و ( يهديه الى عذاب السعير ) ((٢٦٦)) ؟ قيل :ان ذلك انما استعمل فيه مجازا وعلى نحو التهكم مبالغة في المعنى كقوله تعالى ( فبشرهم بعذاب اليم ) ((٢٦٧)) )) ((٢٦٨)) ، والبشارة لا تكون بالشر والعذاب .
ولا شك ان من يقف بين يدي اللّه مصليا او قارئا للقرآن الكريم ويقول :( اهدنا الصراط المستقيم ) ((٢٦٩)) لا بد ان يفترض فيه ا نه قد اهتدى الى اللّه سبحانه وتعالى ونبوة الرسول ٩ والاسلام والقرآن قبل هذا الكلام ، والا لما كان هناك معنى لدعائه اللّه عز وجل بية من القرآن الكريم وهو لا يعرفه ولا يعتقد به ،واذا كان كذلك فما هو المقصود ــ اذن ــ من الصراط المستقيم الذي يطلب الداعي الهداية له ؟ بل ما هو المطلوب من الهداية هذه بعد ان اصبح الانسان مهتديابالاسلام ؟ وما هو مضمون هذا الدعا الذي يراد تعليمه للانسان المسلم المهتدي ؟.
وقد ذكر صاحب مجمع البيان احتمالات ثلاثة ((٢٧٠)) في المقام هي :

الاول :

معناه ثبتنا على ( الدين الحق ) لان اللّه تعالى قد هدى الخلق كلهم ، الا ان الانسان قد يزل وترد عليه الخواطر الفاسدة ، فيحسن ان يسال اللّه تعالى ان يثبته على دينه ويديمه عليه ويعطيه زيادات الهدى التي هي احد اسباب الثبات على الدين كما قال اللّه تعالى ( والذين اهتدوا زادهم هدى ) ((٢٧١)) ، وهذا كما يقول القائل لغيره وهو ياكل : كل : اي : دم على الاكل .

الثاني :

ان الهداية هي الثواب لقوله تعالى : ( يهديهم ربهم بايمانهم ) ((٢٧٢)) ، فصار معناه اهدنا الى طريق الجنة ثوابا لنا ويؤيده قوله : ( الحمد للّه الذي هدانالهذا ) ((٢٧٣)) .

الثالث :

ان الـمراد : دلنا على الدين الحق في مستقبل العمر كما دللتنا عليه في الماضي ويجوزالدعا بالشي الذي يكون حاصلا كقوله تعالى : ( رب احكم بالحق ) ((٢٧٤)) ،وقوله حكاية عن ابراهيم ٧ : ( ولا تخزني يوم يبعثون ) ((٢٧٥)) ، وذلك ان الدعاعبادة وفيه اظهار الانقطاع الى اللّه تعالى ((٢٧٦)) ، ومع قطع النظر عن مضمونه يتحقق بالقيام به عمل صالح ، ويكون هدف الاية المباركة هو تعليم الانسان ممارسة هذا العمل العبادي حتى لو كان مضمونه طلب ما هو حاصل .

ولعل الاحتمال الثالث هو الارجح في المقام ، ويمكن جمعه مع الاحتمال الاول بنحو من الانحا فنتصور ان الانسان في مسيرته وحياته العملية بحاجة دائمة ومستمرة الى الهداية ، لان كل خطوة من خطواته في هذه المسيرة تحتاج الى رؤية ودلالة من قبل اللّه تعالى حتى تكون خطوة على الطريق المستقيم الذي هو طريق التصاعد والتكامل ، فهو في الخطوة الاولى وان كان مهتديا الا ا نه يحتاج في الخطوة الثانية الى هداية جديدة كي يطويها في طريق التكامل والصعود الى ان يصل الى النهاية المتمثلة بالكمال والجنة بدرجاتها العالية .

ويكون طلب التثبيت على الهداية طلبا لان يكون الانسان مستمرا على طريق الهداية والتكامل فيها لا مجرد الثبات على الهداية والبقا عليها ، وبهذايكون هذا الدعا دعا لشي غير حاصل لا نه دعا وطلب لهداية جديدة لا تختلف عن الهداية السابقة نوعا ، بل تختلف عنها شدة ودرجة ومصداقالا نها فرد جديد من الهداية ، وبذلك ينطبق على الهداية عنوان ( الدلالة بلطف ).

وبالاعتماد على معنى الهداية هذا يمكن تفسير ما نسب الى الانبيا :من ضلال كما في قوله تعالى ( ووجدك ضالا فهدى ) ((٢٧٧)) ، فلا شك عندنا ان النبي ٩ كان مهتديا منذ البداية ، ولكنه ٩ كان ــ كما يبدو من الاية الكريمة واللّه العالم ــ متحيرا وضالا بالنسبة الى الخطوة الثانية فهداه اللّه تعالى اليها ،اذ ان حالة التكامل والتصاعد في سلم الكمال متصورة حتى في حق الرسول ٩لا نه كان يعيش حالة تكاملية متجددة بسبب نزول القرآن الكريم والوحي عليه حتى اصبح وبالتدريج اكمل الناس واشرفهم ((٢٧٨)) .

وعلى كل حال فان الانسان المسلم لا بد له من ان يكرر هذا القول :( اهدنا الصراط المستقيم ) حتى لو عرف كثيرا من مفاهيم وحقائق واحكام الدين ، بل يكرره حتى الرسول ٩ ، لان حالة الكمال المطلق لا تتم الا في اللّه عز وجل ، والانسان يتدرج في طريق الكمال المطلق حتى يصبح قاب قوسين اوادنى منه تعالى ، ولذلك فهو يحتاج الى طلب الهداية في هذا الطريق بشكل مستمر.

## ٢ ــ السراط ( الصراط ) :

يذكر اهل اللغة ان للسراط والسبيل والطريق معنى واحدا وان كان لكل منها منشا اشتقاقي مختلف عن الاخر.

وقد حاول الراغب الاصفهاني الاشارة الى خصوصية في كل واحد منهاتجعله مختلفا عن الاخر ، وهذه الخصوصية هي خصوصية الدرجة .

فالطريق : ماخوذ من الطرق على الارض في عملية السير ، فهو السبيل الذي يطرق بالارجل ، اي يضرب وعنه استعير كل مسلك يسلكه الانسان في فعل محمودا كان او مذموما ((٢٧٩)) .

والسبيل : هو المسير الذي يسلكه الانسان والذي فيه سهولة ((٢٨٠)) ، والمسلك الصعب لا يسمى سبيلا

وان كان يسمى طريقا.

واما السراط : فهو الطريق المستسهل ، اصله من سرطت الطعام وزردته :ابتلعته ، فقيل للطريق سراط لا نه يبتلعه سالكه او يبتلع سالكه ((٢٨١)) .

وقد اشار العلا مة الطباطبائي ١ الى وجود فرق حقيقي بين السراطوالسبيل خاصة ، وذلك لان السراط لم ينسب الى اللّه تعالى على نحو الجمع ( سراطاتنا ) او ( سرطنا ) في القرآن الكريم ، بينما نسبت ( سبلنا ) اليه عز وجل كما في قوله تعالى ( لنهدينهم سبلنا ) ((٢٨٢)) ، فالسراط الى اللّه ــ اذن ــ سراطواحد ، بينما هناك سبل متعددة اليه تبارك وتعالى .

واستدل بهذا على وجود فرق اساسي بين اللفظين وعلى ان السراط لاقابلية له على التعدد عند نسبته الى الاشيا بخلاف السبيل .

الا ان ما ذكره العلا مة ١ في هذا المقام غير واضح ، وسنتعرض له في محله من القسم الثالث ، ان شا اللّه تعالى .

٣ ــ المستقيم :

المستقيم لغة : المعتدل ، والاستقامة هي الاعتدال ، وتقال (( في الطريق الذي يكون على خط مستو وبه شبه طريق المحق )) ((٢٨٣)) .

وقد وقع الكلام على مستوى تفسير المعنى فيما هو المراد مصداقا للسراطالمستقيم ، وذكر اهل التفسير ((٢٨٤)) عدة احتمالات في المقام ، منها :

١ ــ ان المراد به هو القرآن الكريم ، وقال في مجمع البيان : وهو المروي عن النبي ٩ وعلي ٧ ((٢٨٥)) وفي الدر المنثور عن ابن مسعود قال : هو كتاب اللّه ((٢٨٦)) .

٢ ــ النبي ٩ ، فيكون المعنى اهدنا الى نبوته والايمان به .

٣ ــ النبي ٩ والائمة من اهل البيت : جميعا باعتبارهم يمثلون منهجا خاصا في الاسلام ، فقد ورد عن علي بن الحسين ٧ وجعفر الصادق٧ : (( نحن ابواب اللّه ونحن الصراط المستقيم )) ((٢٨٧)) .

٤ ــ ان المقصود بالسراط المستقيم هو ( الاسلام ) باعتباره الممثل لمنهج الاستقامة بكل معانيه ، ففيما يذكر الفضل من العلل عن الرضا ٧ ا نه قال :اهدنا السراط المستقيم : استرشاد لدينه ((٢٨٨)) وفي الدر المنثور عن ابن عباس ،قال هو : الاسلام ((٢٨٩)) .

٥ ــ وقال بعضهم بان المقصود به هو كل ما يوصل الى اللّه ، ويكون طريقاوهاديا اليه ، فاذا فسرنا الاسلام بهذا فيكون المقصود هو ، واذا اريد من الاسلام معنى اضيق من هذا فحينئذ لا بد ان يصدق السراط المستقيم على الاسلام وغيره .

ابعاد السراط :

وقد عمد القرآن الكريم في هذه السورة الى تفسير السراط المستقيم بذكرثلاثة ابعاد وحدود له ، ومن خلالها يمكن ان نفهم معنى الصراط مصداقا وهي ما اشير اليها في بقية المقطع الثالث من هذه السورة . وسوف نشير الى هذه الابعاد مع بيان المفردات التي وردت في هذا المقطع :

الاول

( الذين انعمت عليهم ) : و ( النعمة ) في اصل اللغة ــ كما قيل ــ هي الزيادة في دقة الشي ، قال الطبرسي ١ اصل النعمة المبالغة والزيادة ، يقال دققت الدوا فانعمت دقه ،اي بالغت في دقه ((٢٩٠)) فهو من النعومة في مقابل الخشونة والشدة في الشي ،وقال الراغب : النعمة : الحالة الحسنة ((٢٩١)) وهو تفسير للمعنى اللغوي باحدمصاديقه الخارجية ، حيث تكون الحالة الحسنة مظهرا من مظاهر النعومة والليونة ، وتكون النعومة كناية عن الحالة الحسنة .
ويراد بهذا اللفظ عرفا التعبير عن اللطف الزائد ، وعندما ينسب الى اللّه عز وجل فان لطف اللّه ادق وازيد من كل لطف متصور.
وقد وقع الكلام في مصداق الذين انعم اللّه عليهم ، فقال بعضهم بان المقصود بهم هم الانبيا والصديقون والشهدا والصالحون بقرينة قوله تعالى :( ومن يطع اللّه والرسول فاولئك مع الذين انعم اللّه عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين ) ((٢٩٢)) وهذا هو ما روي عن علي ٧ في تفسير ( الذين ا نعمت عليهم ) ((٢٩٣)) .
واختار عبد القاهر الجرجاني قولا آخر ، قال : (( ان حق اللفظ فيه ان يكون خرج مخرج الجنس ، فلا تريد ان ها هنا قوما باعيانهم قد اختصوا بهذه الصفة )) ((٢٩٤)) ، وانما هو بصدد بيان المعنى العام ، فكان الداعي يطلب من اللّه عز وجل ان يهديه الى ذلك السراط الذي يكون من يسلكه موضع نعمته ورحمته وان يكون ممن ينعم عليهم ، بغض النظر عن وجود من وقعت عليه هذه النعمة من ( المصاديق ) ام لا ، فهو يريد بدعائه ان يطلب منه عز وجل ان يكون في موضع تكون فيه النعمة والفضل ، وان كان الانبيا والصديقون والشهدا في هذا الموضع ايضا.
وهذا الاحتمال وان كان وجيها في نفسه الا ان الصورة التي تتبادر الى الذهن وتكون اكثر تجسيدا انما هي الصورة التي تشير الى واقع محسوس وموجودفي حياة الانسانية ، بعد تشخص المسيرة الالهية في مصاديق عبر التاريخ الانساني والرسالات السماوية ، وهذا ما ينسجم مع الاحتمال الاول الذي وردت فيه الرواية والذي تفسره الاية الكريمة من سورة النسا.

الثاني ــ ( غير المغضوب عليهم ) :

الغضب : (( ثوران دم القلب ارادة للانتقام ، ولذلك قال ٧ : ( اتقواالغضب فانه جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم ، الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه ) ((٢٩٥)) واذا وصف اللّه تعالى به ، فالمراد الانتقام دون غيره )) ((٢٩٦)) اذ لايتصور ثوران الدم في الذات الالهية ، فالغضب ــ اذن ــ الارادة القوية للانتقام .
وقد ذكرت عدة احتمالات في مصداق ( المغضوب عليهم ) ، فاوردالجرجاني ما اورده في (

انـــعـــمت عليهم ) ، وقال آخرون بان القرآن الكريم ارادان يحدد مفهوم السراط المستقيم من خلال بيان المصاديق الخارجية الايجابية ( مصاديق المنعم عليهم ) والسلبية التي منها ( مصاديق المغضوب عـــلـــيـــهم ) ،وحينئذ قالوا بان المراد منهم ( اليهود ) بقرينة بعض الايات القرآنية التي تتحدث عن نـــزول الغضب الالهي على اليهود ، مثل قوله تعالى : ( وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب مـــن اللّه ) ((٢٩٧)) ، واضـــاف الـــيـــهم بعض آخر ( المشركين والمنافقين ) لهذه القرينة ، حيث وردت فـــي الـــقـــرآن الكريم الاشارة الى نزول الغضب على المنافقين والمشركين ايضا ، مثل قوله تعالى : ( ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين باللّه ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب اللّه عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وسات مصيرا ) ((٢٩٨)) .

**الثالث ــ ( ولا الضالين ) :**

للضلال كما يذكر اهل اللغة معنيان : احدهما : الضلال هو الهلاك ((٢٩٩)) .
الاخر : (( هو عدم السير في الطريق المستقيم عمدا كان او سهوا او جهلا ،قليلا كان او كثيرا ، ولـــذا صـــح ان يستعمل لفظ الضلال في الموارد التي يكون ترك الطريق فيها خطا او من غير علم ، ولـــذلك نسب الضلال الى الانبيا والى الكفار ،وان كان بين الضلالين بون بعيد ، الا ترى ا نه قال في الـــنـــبـــي ٩ ( ووجـــدك ضالافهدى ) اي غير مهتد لما سيق اليك من النبوة او العلوم الالهية ، وقيل ليعقوب ٧ ــ على لسان ولده ــ ( انك لفي ضلالك القديم ) ((٣٠٠)) وقال اولاده : ( ان ابانا لفي ضلال مـــبـــيـــن ) ((٣٠١)) اشارة الى شغفه بيوسف وشوقه اليه ، وقال على لسان موسى ( وانا من الضالين ) ((٣٠٢)) تنبيها ان ذلك منه كان سهوا ، وقوله ( ان تضل احداهما ) ((٣٠٣)) اي تنسى وذلك من النسيان الموضوع عن الانسان )) ((٣٠٤)) .
ولـــعل المعنى الثاني هو الاقرب بقرينة نسبته الى الانبيا : بنحو لا ينافي العصمة والى من صدر منه ترك الطريق المستقيم سهوا او بدرجة قليلة .
وقـــد ذكرت ( للضالين ) ــ هنا ــ مصاديق متعددة ، منها ما ورد عن اهل البيت : في تفسير المغضوب عليهم ( بالنصاب ) والضالين ( باليهودوالنصارى ) ، (( ففي تفسير علي بن ابراهيم ، عن ابي عبد اللّه ٧ قـــال : الـــمـــغـــضوب عليهم النصاب ، والضالين اليهود والنصارى ، وعنه ٧ ايضا ( الضالين ) :الـــشـــكـــاك الذين لا يعرفون الامام )) ((٣٠٥)) ، وعن الصادق ٧ : (( غير المغضوب عليهم ولا الضالين : هم اليهود والنصارى )) ((٣٠٦)) وبذلك تكتمل مصاديق الحدالسلبي للسراط المستقيم ، ولكن الظاهر ان هذه الروايات انما هي بصدد بيان المصاديق لا على نحو الحصر ، ومن ثم فيمكن ان يكون المعنى منطبقا على كل هذه المصاديق وما يشبهها.
واورد الـــجرجاني هنا ما اورده في ( ا نعمت عليهم ) و ( المغضوب عليهم ) في ان الاية المباركة ليست في صدد بيان مصاديق ( الضالين ) ، بل ان الانسان في مقام الدعا والطلب من اللّه تعالى في ان لا يكون في الموضع الذي يتعرض فيه للضلالة عن الهدى .

**حد الصراط :**

وحـــيـــنئذ ومن خلال قوله تعالى : ( صراط الذين انعمت عليهم غيرالمغضوب عليهم ولا الضالين ) يـــتحدد جانبا السراط المستقيم : جانبه الايجابي المتمثل في ان يكون الانسان في معرض نعمة اللّه تـــبـــارك وتـــعالى ، وجانبه السلبي المتمثل في ان لا يكون الانسان ضالا او في معرض الغضب الالهي دون التعرض لمصاديق هذين الجانبين .

ولكن من خلال مراجعة الايات الكريمة التي استخدمت فيها كلمة ( الغضب الالهي ) نجد ان من يكون فـــي معرض هذا الغضب هم اولئك المتمردون على اللّه عن علم والجاحدون بالحق بعد اتمام الحجة عليهم المتمادون في الانحراف .

قال تعالى : ( والذين يحاجون في اللّه من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولـــهم عذاب شديد ) ((٣٠٧)) و ( من كفر باللّه من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولـــكـــن مـــن شـــرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من اللّه ولهم عذاب عظيم ) ((٣٠٨)) و ( كلوا من طـــيـــبـــات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ) ((٣٠٩)) و ( وباؤوا بغضب من اللّه وضربت عليهم المسكنة ذلك با نهم كانوا يكفرون بيات اللّه ويقتلون الانبيا بغير حق ذلك بما عصوا وكـــانـــوا يـــعـــتدون ) ((٣١٠)) و ( فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهدام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي ) ((٣١١)) .

وسيكون هذا الحد ( حد غير المتمردين ) احد حدي السراط المستقيم السلبيين واما الحد الاخر فيتضمنه قوله تعالى : ( ولا الضالين ) اي غير اولئك الذين خرجوا من الطريق المستقيم ، ولكن لا عـــن تمرد وعناد بل لجهلهم في الحقيقة وعدم معرفتهم باللّه تعالى وهو ما نعبر عنه بالجهل البسيط وان كـــان هـــذا الـــجهل عن تقصير منهم في البحث عن الحقيقة ( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ) ((٣١٢)) .

## تفسير آخر للسراط :

وهـــنـــاك تـــفـــســـير آخر للسراط المستقيم يقترب كثيرا من التفسير السابق ويبتني على فكرة ان للانسان حالات ثلاثا هي :

### الاولى :

حالة الاستقامة ويكون فيها في موضع الرحمة والنعمة الالهية وفي طريق التكامل والصعود.

### الثانية :

حـــالـــة الـــتـــمرد على اللّه تبارك وتعالى ، ويكون فيها في موضع الغضب الالهي وفي طريق التسافل والتنازل .

### الثالثة :

حالة التيه الذي لا يعرف معه الطريق المستقيم وهل هو في صعود وتكامل ام في حالة نزول وتسافل ، وهذه الحالة هي حالة ( الضلال ).
ومـــع ان لـــفـــظ ( الضلال ) يستخدم في كل حالات الخروج من الاعتدال الا ا نه في مثل هذه الاية الـــمباركة استخدم في حالات الخروج الاخرى غير المتصفة بالتمرد والشدة بدليل قوله تعالى : ( غير المغضوب ) مستخدما بذلك اسلوب الترقي في النفي اي مجي العموم المنفي ( ولا الضالين ) بعد الـــخـــصوص ( غيرالمغضوب عليهم ) فكان الانسان يطلب من اللّه تعالى ان يكون من الذين انعم اللّه عـــليهم ( الذين انعمت عليهم ) اولا ثم يطلب منه ان لا يكون منحرفا انحراف اولئك المتمردين على اللّه تـــعالى ( غير المغضوب عليهم ) بل حتى ولا ان يكون منحرفا باي شكل من اشكال الانحراف ( ولا الضالين ).

## القسم الثاني

## في المعنى الاجمالي

بالامكان تقسيم هذه السورة المباركة بعد البسملة الى مقاطع ثلاثة ،كما اشرنا الى ذلك سابقا.

### معنى المقطع الاول

. ويـــتضمن قوله تعالى ( الحمد للّه رب العالمين # الرحمن الرحيم # مالك يوم الدين ) ((٣١٣)) ، وهو مقطع الثنا والحمد وتمجيد اللّه تبارك وتعالى .
وهـــناك مجموعة من النكات المهمة يمكن ملاحظتها عند دراسة المضمون العام والكلي لهذا المقطع الشريف يمكن جمعها في الامرين الرئيسين التاليين :

### اولا ــ معالم العلاقة الالهية بالعبد :

اذا اردنا ان نكون الصورة الكاملة لطبيعة العلاقة بين طرفين فلا بد ان ننظراليها من خلال زاويتين وبعدين رئيسين هما بعد علاقة كل من الطرفين في علاقته مع الاخر ، اي بعد علاقة ( ا ) مع ( ب ) ، وبـــعد علاقة ( ب ) مع ( ا ) ، لان نسبة احدهما الى الاخر قد تكون متكافئة كما في علاقة ( الاخـــوة ) بـــيـــن شخصين ، وقدتكون مختلفة كما في علاقة ( الابوة ) و ( البنوة ) بين شخصين آخـــريـــن ، حيث تكون الاولى مجسدة لبعد من العلاقة والاخرى مجسدة لبعد آخر من تلك العلاقة نفسها.
والـــعـــلاقة بين اللّه تعالى والعبد من النوع الثاني ، حيث يمثل البعد الاول فيهاعلاقة ( الالوهية ) ، والبعد الثاني علاقة ( العبودية ) وذلك لاختلاف حقيقة كل منهما عن الاخر.
وقـــد تـــعرض المقطع الاول لهذه السورة المباركة الى تشخيص طبيعة علاقة اللّه بالعبد من بعدها الاول ( الالهي ) وحدد لها مجموعة من الخصوصيات هي :

### الاولى ــ الحسن الاختياري في خلق الانسان :

وفـــي كـــل فعل يصدر منه تعالى تجاه العبد او تجاه غيره من الموجودات ،ويتضمنها قوله تعالى : ( الـــحـــمد للّه ) في مقام مدحه والثنا عليه عز وجل و ( الحمد ) ــ كما عرفنا ــ يكون مدحا لامر اذا كـــان ( حسنا ) وصادرا عن ( ارادة واختيار ) وهذا الامر ثابت في حقه تبارك وتعالى ، اذ خلق كل شـــي واحسن خلقه وجعله متناسبا ومتناسقا ومنظما ، وقد اكد القرآن الكريم هذا المعنى تجاه الخلق بشكل عام وتجاه الانسان بشكل خاص .

قال تعالى :

( الذي احسن كل شي خلقه وبدا خلق الانسان من طين ) ((٣١٤)) .

( وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير ) ((٣١٥)) .

( ايا ما تدعو فله الاسما الحسنى ) ((٣١٦)) .

( هو اللّه الخالق البارئ المصور له الاسما الحسنى ) ((٣١٧)) .

( صبغة اللّه ومن احسن من اللّه صبغة ) ((٣١٨)) .

( ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك اللّه احسن الخالقين ) ((٣١٩)) .

( اللّه نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني ) ((٣٢٠)) .

( ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا ) ((٣٢١)) .

( لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ) ((٣٢٢)) .

وقد كان هذا الخلق الحسن عن ارادة واختيار وقدرة .

قال تعالى :

( قـــل فـــمـــن يـــمـــلـــك مـــن اللّه شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ) ((٣٢٣)) ، فله القدرة والارادة المطلقة التي لا يستطيع ان يسلبها اياه احد.

( قل من ذا الذي يعصمكم من اللّه ان اراد بكم سوًا او اراد بكم رحمة ) ((٣٢٤)) .

( انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ) ((٣٢٥)) .

كما ان هذا الحمد في ( الحمد للّه ) حمد مطلق دل على انحصاره به عز وجل تقديم كلمة ( الحمد ) على لفظ الجلالة ( اللّه ).

## الثانية ــ التطور والتكامل في هذا الحسن :

ويتضمنها قوله تعالى ( رب العالمين ) فلهذه الجملة الناقصة في مصطلح النحويين دلالة كبيرة مهمة ، تمثل خصوصية اخرى في تصور علاقة اللّه عز وجل بالعبد.

فقد خلق اللّه عز وجل كل شي عن ارادة واختيار ، واحسن خلقه ،وجعله متناسقا ومنظما ثم جعله يسير في طريق التطور والتكامل ، وهذا المعنى هو المستفاد من معنى ربوبيته عز وجل للعالمين ، اذ الـــربوبية سنخ علاقة تتضمن التطوير والتكـــامل للمربوب ، ويفهم ذلك من كلمة ( الرب ) كما ذكرناسابقا.

وهذا المعنى يمكن ان نفهمه من الاية الكريمة سوا فسرنا ( العالمين )بالمعنى العام الشامل الذي يعم كل العوالم من قبيل ( الجماد والنبات والانسان والحيوان ) ، او فسرنا ( العالمين ) بخصوص عالم الانس والجن والملائكة ،فان كل ذلك قابل للتطور والنمو والتكامل .

الثالثة ــ الرحمة والرافة والمحبة والود :

وتتضمنها الاية المباركة ( الرحمن الرحيم ) التي قلنا سابقا بانها ليست مجرد صفة جي بها تكرارا لما في ( البسملة ) وانما اريد منها تحديد خصيصة اخرى في علاقة اللّه تبارك وتعالى بالعبد وهي علاقة ( الرحمة ) ، فقد خلق اللّه عزوجل الخلق عن ارادة واختيار وجعله حسنا ومتناسقا وسائرا في طريق التطوروالتكامل ، غير ان بالامكان ان نفترض في مسيرة تكامل الانسان ــ الذي هوجز من هذا الخلق ، بل اشرف جز فيه ــ ثلاثة فروض هي :

١ ــ ان تكون العلاقة خلال هذه المسيرة علاقة القهر والارادة التكوينية باسلوب العذاب ، غير ان هذا النوع من العلاقة قد نفاه القرآن الكريم ، قال تعالى :

( ولو شا ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افا نت تكره الناس حتى يكونوامؤمنين ) ((٣٢٦)) .

( ان نشا ننزل عليهم من السما آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ) ((٣٢٧)) .

٢ ــ ان تكون العلاقة علاقة ( العدل الالهي ) حيث ياخذه اثنا عملية تكامله وتطوره عندما يذنب بذنبه مباشرة وعندما يحسن باحسانه مباشرة ،وهذه العلاقة ايضا قد نفيت في القرآن الكريم وان اللّه تعالى يؤخرهم الى اجل مسمى ، قال تعالى :

( ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاهم العذاب ) ((٣٢٨)) .

( ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم ) ((٣٢٩)) .

( يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ) ((٣٣٠)) .

( وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ) ((٣٣١)) .

٣ ــ ان تكون علاقة التكامل والتطور علاقة رحمة ( الرحمن الرحيم )وهو ما اشارت اليه هذه الاية كخصيصة من خصائص علاقة اللّه عز وجل بعباده ((٣٣٢)) .

وذلك بان تقسم حياة الانسان الى الحياة الدنيا والحياة الاخرى ، وتكون الحياة الدنيا محكومة ــ بشكل عام ــ بعلاقة الرحمة الالهية المطلقة لتتحقق للانسان من خلالها فرصة التكامل والتطور.

وباعتبار ان عملية التطور والتكامل مرتبطة بالارادة والافعال الاختيارية للانسان في هذه الدنيا حيث تكون له من خلالها فرصة التكامل والتطور فتح اللّه سبحانه وتعالى امام الانسان باب التاجيل للعذاب والعقاب والثواب والحساب من ناحية ، وباب التوبة من ناحية اخرى .

ولعل من ابرز واهم خصائص هذه ( الرحمة الالهية ) المرتبطة بالبعدالسابق ــ وهو حالة التكامل الانساني ــ هي مسالة ( المغفرة والتوبة ) والتي هي رحمة مفتوحة لهذا الانسان وبشكل واسع في هذه الدنيا اذ لولا باب المغفرة والتوبة لتوقفت حركة الانسان التكاملية عند ارتكابه لاي تمرد او معصية او خطا ، اي كل ما يعيق عملية تربيته ونموه وتكامله في حالتي القصوروالتقصير.

واما الدار الاخرة فتكون محكومة بشكل عام بعلاقة القهر على ما سوف ياتي توضيحه في تفسير قوله تعالى ( مالك يوم الدين ).

ويؤكد هذا الفهم للعلاقة ان كلمة الرحيم قد قرنت في ( ٦٢ ) موردا من اصل ( ٩٥ ) موردا بكلمة الغفور ، وفي اكثر الموارد المتبقية بمفهوم ( الرافة ) و( الود ) وفي موارد قليلة ( بالعزيز ) ، ولعل المراد من قرنها بالعزيز ــ واللّه العالم ــهو اشعار الانسان بان هذه الرحمة ليست عن ضعف او

عجز ، وانما هي عن قدرة وقوة .
وتختلف دائرة هذه ( الرحمة الالهية ) في الدار الدنيا عن الاخرة ، اذ تشمل في الدار الدنيا المؤمن والكافر والمشرك والمنافق وجميع الناس ( من ناحية السعة لا الثبوت والاستقرار ) ، حيث توجد فرصة للتوبة في الدار الدنيا لا تكون موجودة بالنسبة الى الكافر في الاخرة : ( قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة اللّه ان اللّه يغفر الذنوب جميعا ) ((٣٣٣)) وهكذا في العطا والفضل والنعم الالهية كالصحة والتجربة والجاه والرزق وغيرها.
واما في الاخرة فان الرحمة وان كانت موجودة ــ حتى ورد في الاثر ان ابليس ( لعنه اللّه ) يطمح في مغفرة اللّه تبارك وتعالى ــ الا ان لها حدا ا كده القرآن الكريم كثيرا وهو حد ( العدل الالهي ) ، ثم صرح با نه سيملا جهنم من الجنة والناس اجمعين .
قال تعالى :
( وتمت كلمة ربك لا ملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ) ((٣٣٤)) .
( ولو شئنا لا تينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ) ((٣٣٥)) .

الرابعة ــ العدل الالهي :

وهي خصيصة ( العدل الالهي ) وقد ابرزت بقوله تعالى ( مالك يوم الدين ) فذلك اليوم هو يوم العدل لا ( الرحمة بسعتها في الدار الدنيا ) ، ولذالم يرد التعبير بقوله ( رحيم او رحمان يوم الدين ) ، حيث ان محور حركة الانسان في الدار الدنيا الذي يتم من خلاله تكامله وتطوره هو الارادة والاختيار ،وقد يقع من خلالهما بالخطا والمعصية وحينئذ فقد وضع اللّه تعالى امامه باب الرحمة المفتوح وهو التوبة ، ولولاها لتوقفت حركته وتكامله ولسد الباب عليه واما محور حركته في الدار الاخرة فهو القهر والالزام على ما ذكرنا في تفسيرمعنى ( يوم الدين ) ومن الالزام ينشا الجزا والعقاب ولا يكون للارادة الانسانية والاختيار دور معين يومذاك ، وتكون العلاقة اذن علاقة ( العدل الالهي ) الذي يعني الالزام والجزا.
وهذا لا يعني بطبيعة الحال ان لا تكون هناك عقوبات تعبر عن العدل الالهي في الدار الدنيا ، او لا تكون هناك رحمة في الدار الاخرة ، بل الامرعلى العكس ، فان العقوبات في الدار الدنيا موجودة ايضا ، ولذا نزلت الايات الالهية في الكافرين والظالمين ، وباب الرحمة موجود في الدار الاخرة ،ولذا وضعت الشفاعة والعفو عن السيئات بسبب الحسنات وغير ذلك من الابواب بل المقصود من ذلك ما اشرنا اليه ( بشكل عام ) وهو ان الخط العام الحاكم في الدنيا هو خط الرحمة ، والخط العام الحاكم في الاخرة هو خطالعدل الالهي .
ويبدو من خلال الايات القرآنية ان الحد الفاصل بين ميزان الرحمة والعدل الالهي في الدار الاخرة هو العناد والتمرد والشرك والكفر ، الذي يعبرعنه القرآن الكريم في كثير من الموارد بالاستكبار ، لان ملاك العدل الالهي هو الظلم ، ومعنى العدل الالهي هو انزال الجزا بالظالم ، وان للظلم هذا درجات ،ودرجته التي لا يمكن التجاوز عنها هي درجة ( الشرك والكفر والاستكبار ) ،قال تعالى :
( والذين كذبوا بياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيهاخالدون ) ((٣٣٦)) .

( وقــال ربــكــم ادعــونـــي اســتـــجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ) ((٣٣٧)) .
( قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ) ((٣٣٨)) .
( ان اللّه لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ) ((٣٣٩)) .
( يا بني لا تشرك باللّه ان الشرك لظلم عظيم ) ((٣٤٠)) .
( يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولـــهم اللعنة ولـــهم سوء الدار ) ((٣٤١)) .
ولعل من اروع النصوص الاسلامية التي تتحدث عن هذه المعادلة بين الرحمة والعدل الالهي ما ورد في دعا كميل بن زياد النخعي المعروف الذي يرويه عن امام المتقين علي بن ابي طالب ٧ :
(( فـــبـــالـــيقين اقطع لولا ما حكمت به من تعذيب جاحديك وقضيت به من اخلاد معانديك لجعلت النار كلها بردا وسلاما وما كان لاحد فيها مقرا ولامقاما ، لكنك ــ تقدست اسماؤك ــ اقسمت ان تملاها من الـــكـــافـــريـــن : مـــن الـــجـــنة والناس اجمعين ، وان تخلد فيها المعاندين ، وانت جل ثناؤك قلت مبتدئا وتطولت بالانعام متكرما افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون )) ((٣٤٢)) .

## ثانيا ــ الاهداف التربوية والعقائدية :

يتضمن هذا المقطع الشريف مجموعة من الاهداف يمكن تلخيصها في قسمين رئيسين :

### الاول ــ الاهداف التربوية :

ويمكن ان نلاحظ هنا : ١ ــ يـــمـــثل هذا المقطع تربية للانسان على ادب الدعا ، اذ بدا بقوله تعالى ( الحمد للّه ) ويبدو من مجموعة من الروايات ان هناك آدابا معينة للدعالا بد من مراعاتها بغية استجابته ، واحد هذه الاداب الاساسية هو ان يبداالداعي بحمد اللّه وتمجيده .
٢ ــ تـــربـــيـــة الانسان على ان تكون علاقته باللّه تبارك وتعالى هي علاقة الشكر من خلال حمده ، ويذكر المتكلمون ان حق الطاعة للّه على الانسان والزام الانسان بواجباته تجاه اللّه انما هو من باب شكر المنعم والمحسن وهذاالحمد في قوله تعالى ( الحمد للّه ) وان كان في الواقع هو كلام الهي ، الا ا نه جافي صدد تعليم الانسان هذه القضية المركزية في حركته التربوية ، فهو شكر من الانسان للّه تـــبـــارك وتـــعالى ولذلك جا بشكل ابتدائي دون ان يقول ( قل الحمدللّه ) حتى يصبح كلاما الهيا يجري مجرى كلام الانسان نفسه على ما اشرنا الى ذلك في تفسير ( الحمد للّه ).
٣ ــ طرح قضية الحاجة في العلاقة التكاملية باللّه تبارك وتعالى من خلال قوله ( رب العالمين ) اذ يشعر الانسان بانه محتاج في تكامله الى ذلك المربي الذي يسد نقص وحاجة هذا العبد بمنه واحسانه ثم ينعكس هذا الشعور حمدالذلك المحسن والمنعم وهكذا.
٤ ــ ان تـــكامل الانسان الروحي لا يتم ــ كما يقول الاخلاقيون ــ الا من خلال توازن شعور الانسان بالخوف والرجا في علاقته مع اللّه تبارك وتعالى ،كما اشار الى ذلك القرآن الكريم حينما حذر من قضية الامن من عذاب اللّه وقضية الياس من روح اللّه ، قال تعالى :
( انه لا ييأس من روح اللّه الا القوم الكافرون ) ((٣٤٣)) .

( قــل يــا عــبــادي الــذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة اللّه ان اللّه يغفرالذنوب جميعا ) ((٣٤٤)) .

( افامنوا مكر اللّه فلا يامن مكر اللّه الا القوم الخاسرون ) ((٣٤٥)) .

( افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب اللّه او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون ) ((٣٤٦)) .

( واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى ) ((٣٤٧)) .

( اولــئك الــذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ا يهم اقرب ويرجون رحمــته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ) ((٣٤٨)) .

وقد تضمن هذا المقطع الشريف كلا الحالتين ، فمن خلال قوله تعالى ( الرحمن الرحيم ) ينفتح امام الانــســان باب الرجا برحمة اللّه عز وجل الواسعة والمستمرة والثابتة ، ومن خلال قوله تعالى ( مــالك يوم الدين ) يعيش الانسان حالة الخوف من يوم الالزام والقهر الذي سيعامل فيه من خلال العدل الالهي . وحينئذ لن يعتمد الانسان على رحمة اللّه اعتمادا يؤدي به الى الاهمال او التمرد او المعصية ، ولا يكون خائفا منه خوفا بحيث يجعله في موقع الياس من روح اللّه ، والقنوط من رحمته .

## الثاني ــ الاهداف العقائدية :

يــمــكــن ان نــســتخلص مجمل العقائد الاسلامية المهمة والاساسية من خلال هذا المقطع القرآني الصغير ومنها :

١ ــ ان اللّه تبارك وتعالى هو خالق كل شي ( مبدا كل شي ) وهذه هي فكرة الايمان باللّه وتوحيده ، وان هذا الخلق يتصف بالحسن والجمال والكمال ،وهي الفكرة العقائدية الاولى في العقيدة الاسلامية .

٢ ــ ان اللّه المهيمن على مسيرة الانسان يرعى هذه المسيرة بالتربية باتجاه التطور والتكامل ( رب الــعالمين ) وبذلك تنبثق الفكرة الثانية في العقيدة الاسلامية وهي فكرة الرسالات الالهية التي جات لــهداية الناس وتربيتهم وتزكيتهم وتعليمهم الكتاب والحكمة ، كل ذلك انطلاقا من علاقة الرحمة الالهية بالانسان .

٣ ــ ان هــذه الــرحمة الالهية محدودة بالعدل الالهي الذي اعد الدار الاخرة للالزام والقهر والجزا والحساب ، وهذه هي الفكرة الثالثة الاساسية في العقيدة الاسلامية ، وهي فكرة الدار الاخرة .

ولا شك ان فكرة الامامة والعدل الالهي التي هي من العقائد الاسلامية الصحيحة يمكن ان نستنبطهما من فكرتي النبوة والمعاد ، لان الامامة هي امتداداللنبوة ، والمعاد هو تجسيد للعدل الالهي والاختيار الانساني في الدار الدنياعلى ما اشرنا.

وبهذا الفهم نرى ان هذا المقطع يدل على العقائد الاساسية الاسلامية دون حاجــة الى ان نضيف شيئا الى المعاني من خارج هذه الايات الكريمة القصيرة .

## معنى المقطع الثاني

ويــتضمن قوله تعالى ( اياك نعبد واياك نستعين ) ((٣٤٩)) ، ونشير في دراسة مضمونه العام الى بحثين :

## البحث الاول ــ مضمون العلاقة بين العبد واللّه :

يتناول هذا المقطع الشريف العلاقة بين اللّه والعبد في بعدها الثاني وهوعلاقة ( العبد باللّه ) تبارك وتعالى ، فهذه الاية اذن ترتبط بالايات السابقة ارتباط سياق ، وتمثل الطرف الثاني لحالة التكامل التي اشير اليها في المقطع الاول ،اذ هناك عاملان مؤثران في عملية تكامل الانسان :

احــدهــما : يرتبط باللّه تبارك وتعالى ويتمثل بالمضامين التي تناولها المقطع الاول من الخلق الحسن والتربية والرحمة والعدل والجزا.

والاخــر : يــرتبط بالانسان نفسه وموقفه من اللّه تعالى ويتمثل بالشكروالعبادة للّه تعالى والشعور بالحاجة اليه والاستعانة به ، التي يتناولها المقطع الثاني .

ولكي تتضح صورة هذا العامل ، لا بد من الاشارة الى مجموعة من الامورالمستفادة منه ، وهي :

### اولا : الارادة والاختيار في العبادة والتعبير عن الاستعانة :

ذلك ان المراد من قوله تعالى ( اياك نعبد واياك نستعين ) اما : ١ ــ اخــبــار الانــســان عن حالة قائمة فيه فهو بصدد بيان جملة خبرية ، اي :ا نه انسان يعبد اللّه ويــســتــعين به ، فكما يقول الانسان ( انا حي ) يقول ( انا عابداللّه ) و ( انا مستعين باللّه ) ، فكان الانــســان يخبر عن حاله وواقعه با نه موجودومخلوق عابد اللّه ومستعين به ، ونفس هذا الاخبار والاعتراف بهذه الحقيقة هونحو من انحا العبادة والشكر.

٢ ــ او ان يــكــون مــضمون هذه الاية هو جملة انشائية ــ وهو الارجح ــوالمراد منه انشا وايجاد مــوقــف مــن مواقف العبادة والاستعانة فكا نه يريد ان يوجد العبادة ، ويقول : انا الان بصدد عبادتك والاســتــعــانة بك كما يقول البائع عندما يريد ان يوجد عقد البيع (( بعتك الدار )) او (( اياك ابيع الدار )).

وعــلى كلا الاحتمالين فان الهيئة التركيبية لجملة ( اياك نعبد ) تدل على حصر العبادة ــ الخضوع المشوب بالتقديس التاليهي والتعظيم ــ باللّه تبارك وتعالى ، اذ يذكر اهل اللغة بان تقديم المفعول على الــفــعــل والــفاعل ، فيه دلالة على حصر الفعل بالمفعول ، ويستفاد من هذا الحصر ايضا بان خضوع الانسان للّه تبارك وتعالى خضوع مطلق ينسحب على كل اعماله وتصرفاته .

كــمــا ان هــذا الــخــضوع هو خضوع اختياري ، وبذلك يختلف عن الخضوع والعبادة الثابتة ــ لكل الموجودات والكائنات ــ الذي تحدث عنه القرآن الكريم .

قال تعالى :

( ان كل من في السماوات والارض الا آتي الرحمن عبدا ) ((٣٥٠)) .

( وللّه يسجد من في السماوات والارض طوعا وكرها ) ((٣٥١)) .

( الــم تــر ان اللّه يــســجد له من في السماوات ومن في الارض والشمس والقمروالنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ) ((٣٥٢)) .

وهذا مستفاد ايضا على كلا الاحتمالين ، فلو قلنا بان مضمون ( اياك نعبد ) هو انشا للعبادة وايجادها لــدل عــلــى ارادة الانسان انشا العبادة حال النطق فهو خضوع وعبادة اختيارية ، واما لو كانت ذات

مــضــمــون اخــباري فان تغير اسلوب الحديث من الحديث عن الغائب ( الحمد للّه ) الى الحديث عــن الحــاضر المخــاطب ( اياك نعبد ) يفهم منه التعبير عن حالة الاختيارايضا.

وعــلــى كــل حــال فان الفهم العرفي لــ ( اياك نعبد ) يدل على ان العبادة الصادرة عن الانسان عبادة اختيارية .

وهــذا امــر واضــح نفهمه ايضا من الشرع ومن الفقه الاسلامي الذي جعل ( قصد القربة ) عنصرا اســاســيا في مفهوم العبادة وهو عنصر اختياري ، فاذا توفرهذا العنصر في فعل ما يكون هذا الفعل عباديا والا فلا.

اذن ، فــالــعــبادة التي تمثل جز العامل الاخر المؤثر في مسيرة تكامل الانسان لا بد ان تشتمل على عنصر الاختيار وان تكون عبادة اختيارية .

ومــثــل هذا الحديث يقال في الاستعانة حيث يراد بــ ( اياك نستعين )التعبير عن الارادة الاختيارية في الاستعانة باللّه تعالى .

## ثانيا ــ تطابق الارادة مع الاحكام الشرعية :

والامــر الاخــر الــذي يــمــكن ان نفهمه من الاية الكريمة بعد ادخال عنصرالارادة والاختيار في الموضوع هو ان عملية تكامل الانسان انما تتحقق مع وجودهذا الاختيار ، ولكن فيما اذا تمكن هذا الانــسان من ان يجعل ارادته واختياره متطابقا مع الحكم الشرعي وما يسمى بالارادة التشريعية للّه تــبــارك وتعالى في مقابل الارادة التكوينية القاهرة في هذا الكون الذي يشير اليها القرآن الكريم في مثل قوله تعالى :

( انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ) ((٣٥٤)) .
ولعل من الايات التي ورد فيها استعمال كلمة الارادة في الارادة التشريعية هي قوله تعالى :
( يريد اللّه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ) ((٣٥٥)) .
( مـــا يـــريـــد اللّه لـــيجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ) ((٣٥٦)) .
فـــالانـــســـان بصفته موجودا يختلف عن بقية الموجودات ((٣٥٧)) في ان تكامله لا يكون من خلال ارادة اللّه الـــتـــكـــويـــنـــيـــة فحسب ــ مع ما لها من دخل في ذلك ،اذ احسن اللّه خلقه ، واعطاه العقل والادراك والـــفـــطـــرة ــ بل لا بد له من استخدام ارادته للوصول الى هذا التكامل ، وهنا لا بد من ان تتطابق ارادته مع الارادة التشريعية للّه تعالى التي تشمل كل واجب ومحرم ومستحب ومكروه ، بل وحتى المباحات ((٣٥٨)) .
وكلما كان هذا التطابق واسعا وشاملا لكل تصرفات الانسان كلما كانت مسيرة هذا الانسان التكاملية اسرع وافضل .
ومن هنا كانت عبادة الانسان مختلفة في آثارها ونتائجها التكاملية عن عبادة السماوات والارض ، لا نـــها عبادة اختيارية وارادية كما ذكرنا وعبادة السماوات والارض قهرية بل ان الانسان في جانبه التكويني هو خاضع للّه تعالى ايضا فهو كالسماوات والارض من هذه الناحية .
وامـــا الـــعـــبادة هنا فلها مضمون آخر اختياري ، فعندما تتطابق هذه العبادة مع الحكم الشرعي تصبح طريقا اساسيا لتحقيق هذا التكامل .
وبـــهـــذا يـــمـــكن ان نفهم ضرورة ان تكون العبادة ( توقيفية ) حتى تتطابق مع الحكم الشرعي ، لان الـــشارع المقدس وقف العبادة على صيغ معينة واطارات معينة لا يصح للانسان ان يتعداها ولا يكفي الاخـــتـــيـــار في تحقيق التكامل ما لم تكن العبادة وفق الصيغ الشرعية ، والا كانت بدعة وتكون سببا لانتكاسة الانسان في مسيرته .

## ثالثا ــ معطيات الاسلوب القرآني :

وامـــا فيما يتعلق باستخدام القرآن الكريم لصيغة الخطاب المفرد والمتكلم الجمع ( اياك نعبد ) ولم يقل ( اياكم نعبد ) او ( اياكم اعبد ) او ( اياك اعبد )فاستخدم ضمير المفرد المخاطب للّه تبارك وتـــعـــالـــى ، وهـــيـــئة فـــعل المضارع الدال على الجمع للعبد ، فان بالامكان استخلاص مجموعة من الـــخـــصـــوصيات من هذاالاستخدام قد توضح بصورة اكبر ما اشرنا اليه من معنى في ( اياك نعبد ) ،ومن هذه الخصوصيات :
١ ــ ان ضـــمير المخاطب المفرد ( اياك ) يدل على الاخلاص والتوحيدفي العبودية مع التعبير عن حـــالة الحضور ، حيث ان ضمير الجمع قد يوهم الشرك والتعدد ، وان كان يستخدم لتعظيم الفرد ــ احـــيانا ــ ولكن العبادة بنفسها غاية في التعظيم والتقديس ، فهو مدلول عليه بمفهوم العبادة ومن خلال مادتها اللغوية .
وقـــد اشـــار الـــقـــرآن الـــكريم الى مسالة التوحيد في العبودية ، اي ( الاخلاص )وجعلها العنصر الاساس في قدرة الانسان على الوصول الى الدرجة العالية من التكامل .

قال تعالى :

( انـــا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد اللّه مخلصا له الدين # الا للّه الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى اللّه زلفى ان اللّه يحكم بينهم في ما هم فيه يخـــتلفون ان اللّه لا يهدي من هو كاذب كفار ) ((٣٥٩)) .

( قل اني امرت ان اعبد اللّه مخلصا له الدين ) ((٣٦٠)) .

( والـــذيـــن اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى اللّه لـــهم البشرى فبشرعباد # الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم اللّه واولئك هم اولوالالباب ) ((٣٦١)) .

وفـــي آيات اخرى اشارة الى ان الذي انزل على الانبيا : وامر الناس به وطلب منهم ما هو الا العبادة المخلصة ، قال تعالى :

( وما امروا الا ليعبدوا اللّه مخلصين له الدين حنفا ويقيموا الصلاة ويؤتواالزكاة وذلك دين القيمة ) ((٣٦٢)) .

( هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين ) ((٣٦٣)) .

وان اخلاص الانسان في عبادته سبيل نجاته وعده في صف المؤمنين ،قال تعالى :

( الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا باللّه واخلصوا دينهم للّه فاولئك مع المؤمنين ) ((٣٦٤)) .

فـــالـــدين الذي هو دين اللّه انما هو الدين الخالص ، والعبادة لا بد ان تكون خالصة منزهة عن شائبة الشرك ، فقد كانت قضية الشرك باللّه من اهم القضايا الاساسية التي واجهها الانسان وعالجها القرآن الكريم في مختلف سوره ومراحل نزوله ، حيث كانت مطروحة في التاريخ البشري وفي البيئة التي نزل فيهاالقرآن بشكل خاص ولا زالت حتى يومنا الحاضر.

واضافة الى دلالة ضمير المفرد المخاطب على مسالة الاخلاص ونفي الشريك ، فان في تقدمه على الجملة ( اياك نعبد ) دلالة على حصر العبودية به تعالى الذي يفهم منه ( الاخلاص الكامل ) له تعالى ، ايضا.

وفـــي اســـلـــوب الـــخطاب دلالة على ( الحضور ) ، وقد اهتم القرآن الكريم في آيات عديدة ببيان حـــقـــيـــقـــة حضوره عز وجل مع الانسان في كل مكان وزمان وقربه منه وا نه يسمع الانسان ويراه ويعرف سره ونجواه ، قال تعالى :

( ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ) ((٣٦٥)) .

( ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ) ((٣٦٦)) .

( ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم ) ((٣٦٧)) .

ولكن حضور الانسان وقربه من اللّه الذي يمثل الجانب الاخر من القرب انمايتحقق بالعبادة الخالصة .

٢ ــ تدل الصياغة في ( اياك نعبد ) على ان العبادة مسؤولية جماعية وليست مسؤولية فردية ، حيث يـــمـــكن ان توحي العبارة بذلك فيما لو كان الفعل بصيغة المفرد ( اياك اعبد ) ، فالانسان مسؤول عن عـــبـــادته ومسؤول عن ان يعبدالاخرون معه اللّه تعالى ، كما جا التعبير عن ذلك في عدة آيات ، قال تعالى :

( وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ) ((٣٦٨)) .

( ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المـــنكرواولئك هم المـــفلحون ) ((٣٦٩)) .

( الـذين ان مكـناهم في الا رض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمـعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور ) ((٣٧٠)) .

( والـمـؤمـنـون والـمـؤمنات بعضهم اوليا بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الـصـلاة ويـؤتـون الـزكـاة ويـطـيعون اللّه ورسوله اولئك سيرحمهم اللّه ان اللّه عزيز حكيم ) ((٣٧١) .

٣ ــ وعندما تكون صيغة الفعل ( نعبد ) تدل ايضا على ان عبادة الانسان الاختيارية هي حالة منسجمة مـع ما هو موجود وقائم في الكون كله ، اذ اشيرسابقا الى ان ظاهرة العبادة للّه ظاهرة موجودة في كـل الـكـون الـذي يـسير بها نحوتكامله من خلال الارادة التكوينية ، وتشمل هذه الظاهرة حينئذ الانـسـان ايـضـا ،ولعل هذا هو الذي تشير اليه الاية ( ١٨ ) من سورة الحج ، التي ذكرناها سابقا ،حيث جا التعبير ( وكثير من الناس ) في مقام العطف على سجود الشمس والقمر والنجوم ، غاية ما في الامر ان تكامله الاعلى لا يتم الا من خلال انسجام ارادته مع الارادة التشريعية للّه تبارك وتعالى ــ كما قلنا ــ.

٤ ــ كـمـا ان هيئة الفعل الدالة على الجمع ( نعبد ) تجعل الفرد مندكا وذائبافي الجماعة ولا يرى العابد نفسه شيئا امام اللّه تبارك وتعالى ، وبذلك يعالج الانسان حالة الانانية التي هي المصدر الاساس لـنـمو عنصر الطغيان ووجود حالة الطاغوت في شخصيته ، وهذا بخلاف ما لو ورد التعبير بـ ( ايـاك اعـبـد ) ، فـقد يحس الانسان بانه شي مستقل في مقابل اللّه تعالى الواحد الاحد ، فهو وجود قـبالة وجود اللّه ، غاية ما في الامر ا نه وجود عابد للّه تعالى ، وحينئذ تتكرس عنده حالة الانانية من خلال هذا الشعور الخاطئ .

## رابعا ــ الاستعانة تعبير عن الحاجة :

ويـمكن ان نفهم جميع الابعاد والخصوصيات في ( اياك نستعين ) مما ذكرمن خصوصيات لعبارة ( ايـاك نـعـبـد ) ، اذ ان الفرق بينهما انما هو في الفرق بين مادتي ( الاستعانة ) و ( العبادة ) ، واما الابـعـاد الاخرى المرتبطة بالهيئة واسلوب التعبير وصياغته فهي تاتي بنفسها في ( اياك نستعين ) فلا نحتاج ان نعيدها.

واما الاستعانة فهي عنصر اساس ايضا في التكامل المرتبط بالانسان كالعبادة ، والاية بجزئها الثاني ( ايـاك نستعين ) في معرض تنبيه الانسان الى ان تكامله لا يتم بمجرد ان يكون مريدا لذلك ، بل هو لا يستطيع شيئا الا بارادة اللّه تبارك وتعالى وبالاستعانة به .

وان هذه الاستعانة استعانة مطلقة ايضا وتنسحب على كل وجوده .

وان احـساس الانسان بالحاجة الى اللّه ــ الامر الذي يفرض الاستعانة باللّه تبارك وتعالى ــ سيكون علاجا لما قد يحدث في نفسه من شعور من خلال ( اياك نعبد ) من ان ارادته ارادة مستقلة عن ارادة اللّه ، بل هي ارادة خاضعة لارادته عز وجل ، خصوصا بعد ان اشير الى ان تكامل الانسان لا يتم الا مـن خلال تطابق ارادته مع ارادة اللّه عز وجل ، الامر الذي يوحي بوجود ارادتين مستقلة احداهما عن الاخرى .

وقد اكد القرآن الكريم هذا الامر من خلال آيات كثيرة ، وبين ان الارادة والاشاة الحاكمة على كل الارادات والمشيئات هي ارادته عز وجل ، قال تعالى :

( انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ) ((٣٧٢)) .

( وما تشاؤون الا ان يشا اللّه ) ((٣٧٣)) .
( ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا # الا ان يشا اللّه ) ((٣٧٤)) .
اضافة الى ان الشعور بالحاجة الذي تعبر عنه ( الاستعانة ) يعالج في الانسان ايضا ( الهوى ) والميل الى الطغيان ، حيث يرى نفسه يملك الارادة والاختيار ، بحيث يتصرف احيانا بما يخالف الارادة التشريعية للّه تعالى .

## البحث الثاني ــ الاهداف التربوية والعقائدية :

يتضمن هذا المقطع مجموعة من القضايا العقائدية والتربوية المهمة ، ومنها :

### اولا ــ الاهداف العقائدية :

حيث تم تاكيد ــ من خلال ( اياك نعبد ) ــ جانب التوحيد الخالص والعبادة الخالصة للّه تبارك وتعالى وهي اهم فكرة عقائدية في الاسلام ، ومن خلال ( اياك نستعين ) ا كدت حاجة وفقر الانسان للاستعانة باللّه تبارك وتعالى في كل اعماله وتصرفاته التي هي فكرة عقائدية ايضا ، حيث تدل على ان الانسان ( حادث ) ومخلوق للّه تعالى ( الغني ).

### ثانيا ــ الاهداف التربوية :

١ ــ يفهم من خلال قوله تعالى ( اياك نعبد ) (العبادة المطلقة الشاملة ) ،وهذا يدل على ان بامكان العبد ان يجعل حالة العبادة تعم كل تصرفاته وافعاله حتى تلك التي يهواها في نفسه من اكل وشرب وغرائز مختلفة ، حيث يمكنه ان يمارس كل ذلك بقصد التقرب للّه تعالى والشكر له على هذه النعم ، واعطاهذه الفرصة الكبيرة للانسان للتعبير عن عبادته وشكره هو من افضل النعم الالهية عليه ، ولعل الميزة الاساسية التي يتفاضل بها الانبيا وغيرهم من المعصومين على بقية البشر ــ اضافة الى العصمة من الذنوب ــ هي انهم يحولون جميع اعمالهم وتصرفاتهم الى اعمال عبادية يقصدون بها التقرب الى اللّه تعالى ــ كما يذكر ذلك عن الائمة المعصومين : ــ.
٢ ــ وان الانسان كلما اقترب من الحالة الواقعية لــ ( اياك نعبد ) بمعنى المطلق الشامل ، اي بمعنى ا نه يجعل كل وجوده خاضعا للّه تعالى كلما اقترب من اللّه عز وجل وترقى في سلم التكامل والتطور ، لان طريق التكامل للانسان هوالعبادة الاختيارية له .
٣ ــ وان الانسان ليس له وجود مستقل قبالة الجماعة ، وان تكامله ــ وان كان بالامكان ان يحصل بشكل فردي ــ تكامل محدود ، وان الحالة الفضلى للتكامل ما تتم من خلال الجماعة ، ولذلك جعل مكلفا وموظفا لتغيير الجماعة وايجاد التكامل فيها.
٤ ــ وان الانسان لا يمكنه ان يسير في طريق التكامل اعتمادا على ارادته واختياره فحسب ، بل لا بد له من الاستعانة باللّه تبارك وتعالى حتى وان كان عابدا مختارا ، وان تكامله ومستقبله مرهون بيد اللّه ولا يستطيع ان يرسمه هو وحده ، اذ لا بد فيه من ان تتطابق ارادته مع ارادة اللّه التشريعية ، وهذا الامرلا يحصل الا من خلال العون الالهي .

## معنى المقطع الثالث

ويتضمن قوله تعالى : ( اهدنا الصراط المستقيم # صراط الذين ا نعمت عليهم غير المـــغضوب عليهم ولا الضالين ) ((٣٧٥)) .
ويقع الحديث فيه ضمن بحثين رئيسين :

### البحث الاول ــ المضمون الاجمالي :

ولـــهـــذا الـــمقطع الشريف ترابط سياقي مع سابقيه ، لانه تضمن دعا وطلبامن العبد تجاه اللّه تبارك وتـــعـــالـــى ، وهذا الدعا بمضمونه يمثل هدف وطموح مسيرة الانسان التكاملية التي حددت من خلال الـــمـــقـــطـــع الاول والثاني السابقين ، لا نه لا بد من وجود هدف وطموح لكل مسيرة تكاملية ، وهذا المقطع يمثل هذا الهدف وهذا الطموح ، كما ا نه استجابة للشعور بالحاجة الى اللّه تعالى ، حيث يعبر الدعاعن مصداق هذه الحاجة ، وبذلك يتضح الارتباط السياقي بين هذا المقطع وما قبله من المقطعين الشريفين .
وقد اشار هذا المقطع الى جملة من المعاني والمضامين العالية ، منها :

### اولا ــ التكامل نزعة فطرية في الانسان :

ان الـــتكامل يمثل بالنسبة الى الانسان حالة ونزعة فطرية وثابتة فيه تنعكس على ارادته واختياره ، ولولاها لما كان له طلب ودعا من اللّه ، لان اللّه تعالى خلقه باحسن خلق وفرض عليه العبادة واعانه عـــليها لحاجته وفقره وعوزه لهدايته الى كل هذه الحقائق ، فلولا وجود هذه النزعة الفطرية نحو الكمال لما كانت هناك حاجة الى طلب المزيد من اللّه والمتمثلة بالمقطع الثالث من السورة المباركة .
وبهذه النزعة افترق الانسان عن بقية الموجودات التي وان فرض وجودالتكامل في مسيرتها ايضا ، الا ا نها حالة قهرية تكوينية تتحقق من خلال النظام الكوني المتطور والمتكامل ، والانسان بهذا البعد خاضع لهذا النظام ويتكامل من خلاله : نطفة ، فعلقة ، فمضغة ،.
( يا ا يها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الا رحام ما نشا الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ) ((٣٧٦)) .
فخصوصية التكامل والتطور وان كانت شاملة لانها تعبير عن الكمال الالهي ــ وكل ما يصدر من اللّه مـــتصف بالكمال والحسن ــ الا ا نها في الجانب التكويني ، واما التكامل الذي يتحقق بشكل ارادي فهو من خصائص الانسان ،وهو يمثل نزعة فطرية فيه تدفعه في طلب مزيد منه .

### ثانيا ــ التوفيق الالهي سبب للوصول الى الهدف :

ان تـــفـــسير حاجة الانسان الى مزيد من الهداية حتى بعد ان يهتدي ويقف موقف العبودية والاستعانة بـــاللّه تـــعالى ، راجع الى ان الانسان وان تيسرت له اسباب الهداية الذاتية ، مثل العقل الذي يهديه الى

اللّه بـــما تفضل اللّه به عليه ،وكذلك الفطرة التي تجعله يتجه الى اللّه تعالى ، لان الانسان ينزع الى الكمال كما ذكرنا ، واللّه هو الكمال المطلق ، فلا بد ان يتجه اليه بفطرته .

ولـــكـــن بـــالرغم من كل ذلك هو بحاجة الى الهداية الخارجية لعدم كفاية العقل والفطرة وحدهما في تحقيق هدايته وتكامله وايصاله الى الدرجات العالية في مواقع القرب من اللّه تبارك وتعالى .

وهذه الهداية الخارجية تارة تكون هي الوحي الالهي والكتب السماوية والرسالات الالهية التي جات على يد الانبيا والمرسلين ، واخرى تكون بالتدخل الالهي المباشر في الهداية .

ولا شـــك ان الانـــســـان يـــشـــعـــر دائما بالحاجة الى الهداية الخارجية الثانية والتي يعبر عنها بعض الـــمفسرين بالتوفيق الالهي ، لان الانسان يرى ان مجرددلالة العقل والفطرة الانسانية وكذلك خط النبوة والرسالات الالهية على الطريق الى اللّه غير كاف في تحقق الهداية خارجا ــ وان كانت كافية في اقامة الحجة عليه من اللّه تعالى ــ حيث قد يتحقق الجحود والتمرد من هذا الانسان .

وقـــد اشـــار الـــقـــرآن الـــكـــريم الى هذه الحقيقة في مواضع عديدة مثل الايات التي تؤكد ان الهداية بالمشيئة الالهية ، كقوله تعالى :

( انك لا تهدي من احببت ولكن اللّه يهدي من يشا ) ((٣٧٧)) .

( ليس عليك هداهم ولكن اللّه يهدي من يشا ) ((٣٧٨)) .

( ذلك هدى اللّه يهدي به من يشا من عباده ) ((٣٧٩)) .

وهي آيات عديدة ، وكذلك الايات التي جات في مقام نفي الهداية عن القوم ( الفاسقين ) و ( الظالمين ) و ( الكافرين ) وهي كثيرة .

وايضا الايات التي جات تؤكد ان الهداية هي سبب لمزيد من الهداية الالهية ، مثل قوله تعالى :

( ويزيد اللّه الذين اهتدوا هدى ) ((٣٨٠)) .

( والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ) ((٣٨١)) .

ولا شـــك ان هـــذه الـــهـــدايـــة غـــير الهداية الالهية المتمثلة بارسال الرسل وانزال الكتب السماوية ، فالانسان يكون بحاجة ــ وبعد كل تلك الهدايات ــ الى رعاية ورحمة من اللّه وتوفيق خاص للوصول الـــى هدفه الاسمى ، وهو ما يطلبه من اللّه سبحانه وتعالى من خلال دعائه اياه في المقطع الثالث من الـــسورة الشريفة ،وهذا الطلب في الوقت الذي يعبر عن نزعة الانسان نحو الكمال ، يعبر ايضاعن شـــعـــوره بـــالحاجة الى الهداية الالهية ، فيكون ذلك مصداقا من مصاديق الاستعانة في قوله تعالى : ( واياك نستعين ).

## ثالثا ــ الطابع الفطري للسراط المستقيم :

ان القرآن الكريم وصف هذا الهدف الذي يطلبه الانسان بالسراطالمستقيم ، وسوف نتحدث في احد الـــمـــوضوعات الاتية عن المقصود بالسراطالمستقيم مصداقا ومعنى ، كما ان القرآن يحدد في هذا المقطع الشريف ابعاداومواصفات لهذا الصراط المستقيم ، ولكن الملاحظة التي نريد ان نشير اليها هنانقطة ترتبط بالاسلوب القرآني الذي يحتاج الى بحث مستقل ، وهذه النقطة هي ان القرآن الكريم يستخدم بشكل عام الفاظا وصفات ومصطلحات تتجاوب مع فطرة الانسان وتكون محببة لديه من اجل تـــعـــمـــيـــق المعاني القرآنية في النفس البشرية ، من قبيل لفظ ( الوسط ) في قوله تعالى : ( وكذلك جـــعـــلناكم امة

وسطالتكونوا شهدا على الناس ) ((٣٨٢)) ، و ( العدل ) و ( الاحسان ) في قوله تعالى : ( ان اللّه يامر بالعدل والاحسان وايتا ذي القربى ) ((٣٨٣)) ، و ( القسط ) في قوله تعالى : ( وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان اللّه يحب المقسطين ) ((٣٨٤)) ، الى غير ذلك من الالفاظ المحببة لدى الانسان وتتجاوب مع الفطرة الانسانية السليمة .

وقد وصف القرآن الكريم في هذا المقطع الطريق الذي يراد هداية الانسان اليه بـ ( المستقيم ) ، والاستقامة لفظ محبب لدى الانسان السليم السوي ، وتميل اليه نفسه وتتجاوب معه فطرته ، فالقرآن حين يطرح هذا الوصف للسراط يريد ان يشير الى ان هذا السراط الذي يطلب الانسان الهداية اليه هو سراط منسجم مع الفطرة الانسانية ويوصل الانسان الى الهدف التكاملي له ، وذلك باعتباره ممايدركه الانسان بالوجدان من ان الاستقامة تتضمن تعبيرا عن اقصر مسافة بين نقطتين ، والسراط المستقيم هو اقصر الطرق الموصلة الى الهدف ، فيكون طريق الهداية ـ اذن ـ اضافة الى تجاوبه مع الفطرة السليمة هو اقصر واقرب الطرق الموصلة الى اللّه تعالى .

ونجد هذا الامر ـ وهو التعامل مع الفطرة ـ موجودا فيما حدده القرآن الكريم من حدود لهذا السراط المستقيم ، اذ جعل حده الاول : ( صراط الذين ا نعمت عليهم ) ، ومن الواضح ان سير الانسان في طريق من يكون في موضع النعمة والفضل الالهي امر يتفق مع ميوله وفطرته ومحبب الى نفسه بحد ذاته ، حتى مع غض النظر عما يتضمنه هذا الحد من المعاني والمضامين التي بحثت في تفسيرهذه الحدود والمفردات .

كما نجد هذا الامر ايضا في حده الثاني والثالث : ( غير المغضوب عليهم ولا الضالين ) ، اذ ان الانسان يرفض بفطرته فكرة ان يكون طريقه هو طريق من يكون في موضع الغضب والانتقام الالهي ، او ان يسلك طريق الضلال والضياع والحيرة والخروج عن الجادة .

وبهذا الاسلوب يطرح القرآن الكريم المعاني العقائدية والتربوية بالصيغة التي يخاطب بها الفطرة الالهية .

كما ان اتصاف الطريق المطلوب ان يهتدي الانسان اليه بصفات وحدودفطرية امر يتفق مع الفكرة الاصلية للدعا ( اهدنا ) الذي يعبر عن شعورالانسان الفطري بالحاجة الى التكامل والرقي .

## رابعا ـ الحدود الموضوعية للسراط المستقيم :

ولم يكتف القرآن الكريم في تحديد السراط المستقيم بمخاطبة الفطرة الانسانية ، بل ذكر من خلال هذا المقطع حدود السراط المستقيم الموضوعية بحيث يتمكن الانسان من تشخيصه بمصاديقه الخارجية ، فذكر له حدا ايجابياوحدين سلبيين :

### الاول ـ الحد الموضوعي الايجابي :

ويتمثل هذا الحد بامرين رئيسين هما :

#### ١ ـ القدوة الحسنة :

وقــد تــضــمــنها قوله تعالى : ( انعمت عليهم ) الذي فسر بالانبياوالصديقين والشهدا والصالحين ، فيكون القرآن الكريم قد حدد السراط من خلال نماذج قائمة في حياة هذا الانسان ، وهي السائرون في هذا الطريق من الانبيا والشهدا والصديقين والصالحين وجعلهم قدوة له .
وبالامكان الاشارة هنا الى اهمية ودور القدوة الحسنة في تربية وهداية الانسان ، اذ ان من المناهج الاســاســيــة الــتــربوية في الاسلام هي القدوة الحسنة ،حيث من الملاحظ ان الهداية في كثير من الاحــيــان لا تــتحقق بمجرد اعطا المفاهيم والافكار والنظريات ، وانما تشكل ( القدوة الحسنة ) عــنصرا اساسيا في هذه المناهج ، فعندما يريد ان يحدد القرآن الكريم السراط المستقيم يحدده من خلال هؤلا القدوة الذين انعم اللّه عليهم ، والذي يشاهد الانسان مصاديقهم في مختلف الادوار.

٢ ــ الشريعة الالهية :

فــان الــقرآن الكريم عندما يطرح هذا السراط على اساس ا نه سراطالانبيا ، فهو بذلك يشير الى الــشــريــعــة الــتي جا بها هؤلا الانبيا من اللّه تعالى في نفس الوقت الذي يطرحهم قدوة حسنة لهذا الانسان في مقام الهداية والشريعة ــ بطبيعة الحال ــ تقترن بفكرة عقائدية مهمة ، وهي فكرة ( النبوة ) ، حيث ان الشريعة انما كانت باعتبار اتصاف هؤلا ( الانبيا ) بها.
وقــد اشير سابقا الى ان هداية العقل والفطرة غير كافية للانسان لايصاله الى الاهداف القصوى في مــسيرته التكاملية وان كانت قادرة على ان تضعه على الطريق اليها ، ولذا فلا بد له من هداية ربانية تاخذ بيده في الطريق المستقيم الموصل الى اللّه تبارك وتعالى والى اهدافه التكاملية العليا.
وقــد تــضــمنت فكرة القدوة الحسنة في قوله تعالى : ( ا نعمت عليهم )ــ حيث اريد بهم الانبيا ومن ســار بــسيرتهم ــ طرح فكرة الوحي الالهي التي هي من خصوصيات الانبيا والرسالات ، اي ( خط النبوة ) الذي تتحقق من خلاله تلك الهداية الربانية المنشودة في الوصول الى الاهداف الكاملة .

الثاني ــ الحد الموضوعي السلبي :

ويتمثل هذا الحد : اولا : بــ ( غير المغضوب عليهم ) ، حيث قلنا في هذه الفقرة سابقا : انهاتعبر عن الجحود والتمرد والــعتو والطغيان ، لان القرآن الكريم يستخدم الغضب الالهي في مثل هذه الحالات ، وهذه الحالات وان كانت صفات قائمة في النفس الانسانية ولكن لها وجودا خارجيا يمكن للانسان ان يميزه ويعرفه ، فــيــعــرف بــذلك حد السراط المستقيم لان من كان على احدى هذه الحالات لا يكون على السراط المستقيم ، ولا يمكن ان تجتمع هذه الحالات مع السير على السراطالمستقيم ، ومن ثم سوف تشكل احد جانبي الحد السلبي له ، وهو حد الطغيان والعتو والجحود.
ثــانــيــا : بـــ ( ولا الضالين ) ، حيث تعبر ــ ولو بقرينة المقابلة مع ( المغضوب عليهم ) ــ عن حالة الــخــروج عــن الطريق والضياع والحيرة والتردد وهي حالة نفسية بامكان الانسان ان يدركها في نــفــسه عندما يشعر بالحيرة والتردد والشك ،ومن ثم الضياع وعدم الوضوح في المسيرة ، فيدرك عــندئذ ا نه ليس على الصراطالمستقيم ، اذ لا يمكن ان تجتمع هذه الحالة مع المسير على السراط المستقيم ،وبذلك يدرك جانبا آخر من جوانب الحد السلبي الموضوعي لهذا السراط.

وبـــهـــذا يتحدد السراط ببعده الايجابي المتمثل بالشريعة والكتاب والتجسيدالعملي لهما في القدوة الحسنة ، وببعده السلبي المتمثل بالتمرد والطغيان والعتووالحيرة والضياع .

## البحث الثاني ــ المضمون العقائدي والتربوي :

وقـد تـعـرض هـذا المقطع الشريف لمجموعة من المضامين العقائدية والتربوية اشير اليها سابقا ، ونجملها بما يلي :

### اولا ــ المضامين العقائدية :

١ ــ ان اللّه تـعالى اودع في الانسان نزعة فطرية تدفعه نحو الكمال ،وهذا الامر يرتبط بالنظرية القرآنية في فهم الانسان وتقييمه ، وبذلك يتميزالانسان عن كثير من المخلوقات في هذا الكون .
وهـذا الـفـهم يمثل خلفية لارسال الانبيا والرسل للانسان دون كثير من الحيوانات ، فان كثيرا من الـحيوان لما لم تكن لديه هذه النزعة ، تركه اللّه تعالى في مسيرته لغرائزه التي اصبحت موجهة له وهادية ، فلم يكن بحاجة الى ارسال الرسل والهداية السماوية بخلاف الانسان الذي ينزع الى الكمال والـرقـي فـي فـطرته ويملك القدرة على ذلك بما وهبه اللّه من عقل ومعرفة وارادة ، فكان ينزع الـى التكامل ويطمح الى الرقي والحركة بهذا الاتجاه ، فكانت الرسالات السماوية هادية له وضمانا لـعدم انحرافه في هذه المسيرة ، ولولا ذلك لدفعته هذه النزعة نحوحركة غير واضحة الاهداف والحدود ولانتهت به الى طريق الانحراف .
٢ ــ تعرض المقطع الشريف الى خط النبوة ( الوحي ، الانبيا ، الكتب )ودوره في هداية الانسان .
٣ ــ الايـمـان بـالـتوفيق الالهي والرعاية الالهية في الوصول الى الاهداف والكمالات ، اذ لا تكفي الـقـابـليات البشرية ( الفطرة والعقل والارادة ) مع الهدايات الرسالية في ايصاله الى اهدافه ، كما تـشـير الى ذلك فكرة التفويض الاسرائيلية التي ترى بان اللّه تعالى خلق الانسان وفوض له الامر بـحـسـب قـابـلياته وطاقاته ، بل لا بد ان يقترن ذلك بتوفيق اللّه الذي لا بد ان يسعى الانسان اليه ويـطلبه من اللّه تبارك وتعالى وسوف نشير ان شا اللّه في بعض دراستنا الاتية الى اهمية هذاالامر في الحركة التكاملية للانسان .
٤ ــ ان مـسـيـرة الـتـكامل الانساني هي المسيرة التي تكون منسجمة مع تلك المثل والقيم الفطرية المودعة فيه من قبل اللّه تبارك وتعالى ، فبذرة التكامل موجودة في نفس الانسان اوجدها اللّه فيه من خـلال تـعـليمه الاسما ــ على ماسوف ياتي ــ فاذا كانت خطواته ومسيرته منسجمة مع طبيعة هذه البذرة الخيرة كانت تكاملية ، ودور الدين والشريعة هو رسم الخطوات ومعالم هذا الطريق التكاملي الـمنسجم مع الفطرة الانسانية ، ولذلك كان الدين الاسلامي الذي هودين الحق ، ( دين الفطرة ) ، قال تعالى :
( فـاقـم وجـهـك لـلدين حنيفا فطرة اللّه التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق اللّه ذلك الدين القيم ) ((٣٨٥)) .
وتـنبثق من قضية ( الفطرة ) فكرة ( العقل العملي ) اذ اودع اللّه سبحانه وتعالى في الانسان قدرة ادراك

الحسن والقبح بدرجة من الدرجات ، وهذاالادراك يمثل في الواقع منهجا خاصا في المسيرة العـمـلـيـة ، حيث يكون العقل عاملامن عوامل الهداية ودليلا على الحكم الشرعي ، وهذا بحث ( كلامي ) يرتبط بمايسمى ( بالحسن والقبح العقليين ).

## ثانيا ــ المضامين التربوية :

ومن اهم المضامين التربوية التي يمكن استخلاصها من هذه الايات المباركات التي اشير اليها سابقا ، ما يلي :

١ ــ الـقـدوة الـحـسنة ودورها المكمل لدور المفاهيم والافكار في عملية تربية وتكامل الانسان ، وعلى هذا الاساس نجد ان تاثير الانبيا في الناس لم يقتصرعلى طرح الايات والمفاهيم والافكار ، بل كان كذلك في سلوكهم : ودورهم في تطبيق تلك الافكار عمليا ، ولذا اهتم القرآن الكريم بالامر بـالاقتدا بهم وبطرح قصصهم ، وامر بالتدبر بمواقفهم وصبرهم وثباتهم وكيفية تعاملهم مع الناس ، لاتـخاذ العبرة والموعظة منها ، وهذا يمثل منهجا عمليا في الدعوة الى اللّه ،فان اي انسان اذا اراد ان يؤثر في الناس فلا يكفي في ذلك طرح المفاهيم والافكار ، بل لا بد من تجسيد القدوة في السلوك العملي ، وبذلك يكون التاثيراكبر.

٢ ــ دور الـتـجسيد في وضوح المسيرة ، ان للتجسيد السلوكي دورا في وضوح المفاهيم وادراك الـحـقـائق ، اذ لا يكون هذا الوضوح والادراك كاملا الا من خلاله ، وفي قصة ابراهيم ٧ اشعار بذلك ، قال تعالى :

( واذ قـال ابـراهـيـم ربـي ارنـي كـيـف تحيي الموتى قال او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ) ((٣٨٦)) .

فـقـد تـحـصل للانسان درجة من الايمان بامر ما لو طرح عليه بصورة نظرية وعلى شكل مفاهيم وافكار ، ولكن الدرجة الكاملة من الوضوح لا تحصل عنده الا من خلال التطبيق العملي لذلك الامر.

ولا بد من اخذ هذه الحقيقة بنظر الاعتبار في قضية الهداية ، فالوضوح الكامل للهداية لا يتم الا من خـلال الـتـطبيق لها ، وعندما ذكر ( اهدنا الصراطالمستقيم ) ذكر مفهوم السراط المستقيم ، ثم ذكـر بـعد ذلك الحالة التطبيقية له ،في قوله : ( صراط الذين انعمت عليهم ) من خلال ذكر صور حـقـيـقـية واقعية في حياة الانسان وهم الانبيا والصديقين والشهدا والصالحين ( القدوة الحسنة ) ،وبذلك اصبحت صورة السراط المستقيم صورة واضحة بصورة كافية .

٣ ــ ان حالة التمرد والجحود حالة سلوكية يعيشها الانسان وتجعله في موضع الغضب الالهي ، وهذا الـغضب الالهي قد يكون في صورة مزيد من التمردوالجحود ( ولا يحسبن الذين كفروا ا نما نملي لـهـم خـير لا نفسهم انما نملي لـهم ليزدادواثما ولـهم عذاب مهين ) ((٣٨٧)) ومن ثم يكون للجحود والتمرد آثار سلوكية ونفسية وتربوية في حياة الانسان ، حيث سيزيده جحودا وبعدا عن اللّه تبارك وتعالى ونفس هذا الكلام يقال في حالة الضياع والحيرة وسوف نتناول هذا الموضوع بشي

من التفصيل في محله من تفسير بعض الايات ذات العلاقة المباشرة به .

الخلاصة . من خلال دراسة هذه المقاطع الشريفة الثلاثة ، يمكن ان نحدد امورا ثلاثة عامة هي : ١ ــ ان هذه المقاطع يترابط بعضها مع بعضها الاخر سياقيا.
٢ ــ انها بمجموعها تشكل صورة كاملة لقضية واحدة هي مسيرة الانسان منذ بدايتها واهدافها وحتى نهايتها.
٣ ــ انــهــا تــحــتوي على مجمل المفاهيم والمعاني الاساسية التي يتضمنهاالدين الاسلامي والقرآن الكريم .

## الفصل الثالث

## في بعض الموضوعات

## التي ترتبط بالفاتحة

يشتمل هذا الفصل على عدة موضوعات ترتبط بالسورة ، وقد وردت الاشارة الى بعضها ، ولاهميتها تناولناها بشكل مستقل .

### الموضوع الاول

### قراة الفاتحة في ( الصلاة )

مــن مــخــتــصــات هذه السورة المباركة هي ان الصلاة لا تتم الا بها ولا بد من قراتها في الركعتين الاولــيتين ، فريضة كانت الصلاة ام نافلة ، اذ لا صلاة الا بفاتحة الكتاب كما ان قراتها في الركعات الاخــرى مــن الــصــلاة واجبة تعيينا او تخييرابينها وبين التسبيحات الاربع ، ثلاث مرات حسب الاختلاف بين المذاهب الاسلامية .
فــمــا هــو ملاك هذه الخصوصية ؟ وهل هي مجرد خصوصية تعبدية ، او ان للفاتحة ميزة وصفة ــ اضافة الى ذلك ــ تؤهلها لمثل هذا الاختصاص ؟.
وبهذا الصدد يمكن ان نلاحظ الامور التالية :

### حمد اللّه بلسان الانسان :

اولا : في الرجوع الى القرآن الكريم نجد هناك اربع سور اتحدت بداياتهامع سورة الحمد ، وهي : ١ ــ الانعام : ( الحمد للّه الذي خلق السماوات والارض ).
٢ ــ الكهف : ( الحمد للّه الذي ا نزل على عبده الكتاب ).
٣ ــ سبا : ( الحمد للّه الذي له ما في السماوات وما في الارض ).
٤ ــ فاطر : ( الحمد للّه فاطر السماوات والا رض ).
غــيــر ان ( الــحــمــد ) في هذه السور قد جا تعبيرا ربانيا عن الحقيقة الالهية ،مجد اللّه فيه نفسه

وحـــمـــدهـــا ، ثـــم انـــتقلت السورة بعد ذلك الى الحديث مع الناس عامة او مع النبي ٩ خاصة حسب ما تستهدفه من غرض .

اما في ( الفاتحة ) فان الحمد فيها وان كان كلام اللّه ايضا لانها وحي الهي ،ولكن ( الحمد ) جا فيها على لسان العبد يتحدث به مع اللّه تبارك وتعالى ،فصيغة الخطاب فيها وسياق تمام آياتها يختلف عما فـــي غيرها من السور ، اذ هوفي مقام بيان علاقة العبد مع اللّه تبارك وتعالى ، ولكن من خلال ذكر الـــعـــبد لهذه العلاقة فلسان هذه السورة هو كلام اللّه الذي يراد به تعليم العبد كيفية الحديث مع ربه وخالقه والهه ، اذن فلسانها هو حديث العبد لا حديث الرب .

ولا تـــوجـــد هذه الميزة في كل سور القرآن سوا ابتدات بالحمد او لم تبتدئ ،وانما ذكرنا السور الاربع السابقة للمقارنة فقط لوجود المشابهة والمماثلة بينهاوبين الحمد في الافتتاح .

وحـــتـــى في المعوذتين ( قل اعوذ برب الفلق ) ((٣٨٨)) و ( قل اعوذ برب الناس ) ((٣٨٩))

والـــكافرون ( قل يا ا يها الكافرون ) ((٣٩٠)) والتوحيد ( قل هو اللّه احد ) ((٣٩١)) فانه وان كـــان الجز الاعم من السورة هو لسان حال العبد ، الا ان هذه السور ابتدات بقوله تعالى ( قل ) وهو خطاب الهي يبدا اللّه الكلام فيه مخاطباالعبد ان يقول كذا.

وهكذا نلاحظ ذلك في الايات التي تبدا بـــ ( قل ) ، مثل ( وقل رب زدني علما ) ((٣٩٢)) او آيات الدعا فا نها جات بعد مقدمة اشير فيها الى مثل ذلك .

## راي العلا مة الطباطبائي :

وللعلامة الطباطبائي ١ كلام في المقام ، قال : والظاهر من السياق وبقرينة الالتفات الى قوله تعالى ( ايـــاك نـــعبد ) ، ان السورة من كلام العبد وا نه سبحانه وتعالى في هذه السورة يلقن عبده حمد نفسه وما ينبغي ان يتادب به العبد عندنصب نفسه في مقام العبودية ، وهو الذي يؤيده قوله ( الحمد للّه ) ، وذلك ان الحمد توصيف ، وقد نزه سبحانه نفسه عن وصف الواصفين من عباده ، حيث قال : ( سبحان اللّه عـــمـــا يـــصـــفون # الا عباد اللّه المخلصين ) ((٣٩٣)) والكلام مطلق غيرمقيد ، ولم يرد في كلامه تعالى ما يؤذن بحكاية الحمد عن غيره الا ما حكاه عن عدة من انبيائه المخلصين قال تعالى في خطابه لنوح ٧ :

( فقل الحمد للّه الذي نجانا من القوم الظالمين ) ((٣٩٤)) .

وقال تعالى حكاية عن ابراهيم ٧ :

( الحمد للّه الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ) ((٣٩٥)) .

وقال تعالى لنبيه محمد ٩ في بضعة مواضع من كلامه :

( وقل الحمد للّه ) ((٣٩٦)) .

وقال تعالى حكاية عن داود وسليمان ٨ :

( وقالا الحمد للّه ) ((٣٩٧)) .

وما حكاه عن اهل الجنة وهم المطهرون من غل الصدور ولغو القول والتاثيم ، كقوله :

( وآخر دعواهم ان الحمد للّه رب العالمين ) ((٣٩٨)) .

واما غـــيـــر هـــذه الموارد فهو تعالى وان حكى الحمد عن كثير من خلقه بل عن جميعهم ، كقوله ( وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ) ((٣٩٩)) وقوله ( ويسبح الرعد بـــحـــمـــده

) وقــولــه ( وان من شي الا يسبح بحمده ) ((٤٠٠)) ، الا ا نه سبحانه شفع الحمد في جميعها بالتسبيح ، بل جعل التسبيح هوالاصل في الحكاية ، وجعل الحمد معه .

وذلك ان غيره تعالى لا يحيط بجمال افعاله وكمالها كما لا يحيطون بجمال صفاته واسمائه التي منها جــمال الافعال ، قال تعالى ( ولا يحيطون به علما ) ((٤٠١)) فماوصفوه به فقد احاطوا به وصار مــحــدودا بــحــدودهــم مــقدرا بقدر نيلهم منه ، فلايستقيم ما اثنوا به من ثنا الا من بعد ان ينزهوه ويسبحوه عما حدوه وقدروه بافهامهم ، قال تعالى : ( ان اللّه يعلم وانتم لا تعلمون ) ((٤٠٢)) واما المخلصون من عباده تعالى فقد جعل حمدهم حمده ووصفهم وصفه حيث جعلهم مخلصين له .

فــقد بان ان الذي يقتضيه ادب العبودية ان يحمد العبد ربه بما حمد به نفسه ولا يتعدى عنه كما في الــحــديــث الذي رواه الفريقان عن النبي ٩ : (( لا ابلغ مدحك والثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك )) ((٤٠٣)) ، فقوله في اول هذه السورة ( الحمد للّه ) ، تاديب بادب عبودي ما كان للعبد ان يقوله (( لولا ان اللّه تعالى قاله نيابة وتعليما لما ينبغي الثنا به )) ((٤٠٤)) .

**الموقف من راي الطباطبائي :**

وما ذكره العلا مة الطباطبائي ١ صحيح في نفسه ، فان الحمد قد جا هناعلى لسان العبد وعلمه اللّه اياه ، وبهذا الشكل اصبح هذا الحمد يتناسب مع ( الصلاة ) ، واختصت هذه السورة بهذه الخصوصية دون غيرها.

ولــكــن مــا استدل به من آيات على ان الحمد من دون اضافة التسبيح اليه لم يات الا على لسان الانبيا والــخــلص من العباد غير واضح ، اذ يحتمل في ( الحمد ) الوارد في بعض الايات من دون اقتران بالتسبيح مجيئه على لسان العبدكما يمكن افتراض الاحتمال الاخر فيه ، قال تعالى :

( هــو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد للّه رب العالمين ) ((٤٠٥)) ،اذ يحتمل في هذا الحمد ان يكون من قبيل الحمد الوارد في سورة الفاتحة .

وكــذلــك فــي قوله تعالى : ( فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد للّه رب العالمين ) ((٤٠٦)) ، فيحتمل ان يكون هذا الحمد على لسان العبد بعدما شهد سنة اللّه في القوم الظالمين ، او من قبيل قوله تعالى : ( الحمد للّه بل اكثرهم لايعلمون ) ((٤٠٧)) ، وكذلك ما ورد في الاية التي هي بصدد بيان صــفــات عــمــوم الــمؤمنين لا خصوص الخاصة منهم في قوله تعالى : ( التائبون العابدون الحامدون السائحون ) ((٤٠٨)) ، اذ دلت على صدور الحمد من غير خواص المؤمنين والانبيا دون ان تقترن بلفظ التسبيح .

كــمــا ان قــوله تعالى : ( سبحان اللّه عما يصفون # الا عباد اللّه المخلصين ) ،فان التسبيح ــ حسب الــظــاهــر ــ بصدد التنزيه عن نسبة جعل النسب بين اللّه والجنة : ( وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ) ((٤٠٩)) كما يدل عليه السياق في هذه الاية وغيرها من الايات المماثلة .

وعلى هذا فان ما اورده العلا مة في المقام يمكن ان يكون موضوعاللنقد والنقاش خصوصا على ما بينا في بحث تفسير القرآن ، اذ اشار الى ان القرآن حاول ان يقرب الصور الغيبية الى ذهن الانسان لعدم مقدرته على ادراكها بشكل كامل وذلك من خلال ضرب الامثلة عليها من مصاديق عالم الشهادة ، فانهار اللبن والخمر والعسل والازواج والثمار في الجنة التي ترد في القرآن لا يمكن ان يقال با نها لابد ان تكون من طبيعة ما هو موجود في عالم الدنيا ، بل يمكن ان تكون من طبيعة اخرى ، وانما مثل القرآن الكريم بها من اجل تقريبها الى الاذهان .

ولــهذا السبب ايضا تكرر ضرب الامثلة وتعددت التشبيهات واختلفت بعض الشي واصبح في القرآن الــكــريم محكم ومتشابه ، وفسر بعض القرآن بعضه الاخر ، باعتبار ان الموضوع والمعنى الغيبي الــواحــد لا يــمكن ان يعطى بصورة واحدة منتزعة من عالم الشهادة ، اذ لا يمكن ان تتطابق مع ذلك الــمــوضــوع الــغــيــبــي مــطابقة تامة ، بل يعطى ضمن صور متعددة يمكن بمجموعها ان تساهم في تقريب الصورة الغيبية للاذهان الحسية .

والــنــتــيجة ان هناك حدودا وقيودا في مقام ( بيان ) الاشيا والامور الغيبية ليست ناشئة من تحديد

قــدرة اللّه ، وانــمــا هي ناشئة من ضيق في استيعاب الالفاظوالعقل الانساني في قدرته على تصور الاشيا.

ويــكــون حــمــد الانــسان للّه تعالى من هذا القبيل ايضا ، اذ يطلب من الانسان ( المحدود ) في مقام احــاطــتــه بحقيقة واوصاف وافعال اللّه تعالى ان يحمد اللّه بتلك الالفاظ المحدودة ايضا ادا لواجب الــشكر ، حتى وان كان حمده حمدا ناقصالما سبق ، وحينئذ لن يكون عنده طريق للتعبير عن ذلك الحمد الا بهذا النوع من التعبير.

ومــن هنا افترض ان يكون هذا الحمد ( الحمد للّه ) حمد اللّه ( تعالى )لنفسه ، وقد جا به هنا من اجل تعليم هذا الانسان كيفية حمده .

ولــكــننا نرى ان ما يقوله العلا مة ١ بشان هذا الحمد ليس ضروريا ولادليل عليه ، فهذا القرآن قد نــزل مــن عند اللّه تبارك وتعالى وتضمن كثيرا من الاحكام والمعتقدات والارشادات ، ومن جملة ما تضمنه هو ( كيفية ان يحمدالانسان اللّه تبارك وتعالى ) وان هذه الكيفية قد جات بهذا الشكل .

وعــلــى كــل حــال فان الخصوصية الاساسية الاولى التي يمكن ان تذكر كخلفية لاختصاص سورة الــحــمــد بالصلاة هي ما اشير اليها سابقا من ا نها بتمام آياتهاجات بصيغة خطاب الانسان للّه تبارك وتــعــالــى ، واذا افترضنا انه اريد للانسان ان يقرا في الصلاة قرآنا يكون فيه خطاب الانسان للّه تعالى لا يوجد افضل من هذه السورة .

## مضمون الفاتحة صلواتي :

ثــانيا : انها انسب السور من حيث المضمون للصلاة ، لان الصلاة لغة الدعا ، وقد اضيف الى مضمون الــدعا فيها هذا النوع من الحركات ( الركوع والسجود والقنوت و ) التي تعبر بشكل او بخر عن حالة الدعا ايضا.

وبالرجوع الى الروايات التي تحدثت عن الدعا وخصوصياته نجد ان الدعا الكامل هو ذلك الدعا الذي يشتمل على :

تمجيد اللّه وحمده والثنا عليه ، ثم الاقرار بالعبودية له ، ثم الخضوع والاعتراف بالنقص والحاجة ، ثم طلب الحاجة منه عز وجل .

وبهذا نجد ان افضل سورة تناسب هذا التعبير الكامل عن الدعا والصلاة هي سورة الحمد ، حيث انها تــمثل ادب الدعا بصورة تامة ، فهي تشتمل على الثنا والحمد وتمجيد اللّه ( الحمد للّه ) وبعد ذلك فــيــهــا اعتراف بالعبودية له ( اياك نعبد ) والنقص والحاجة اليه ( اياك نستعين ) ثم يطلب الانسان منه حاجته ( اهدنا الصراط ).

ومــن هــنا ورد في مجموعة من الروايات عن طريق ( الخاصة ، والعامة ) ان الحمد قد قسمت بين اللّه عز وجل وعبده ، فعن علي بن ابي طالب ٧ قال :(( قال رسول اللّه ٩ قال اللّه عز وجل قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سال )) ((٤١٠)) .

وتــفــســر الــرواية بان نصف الحمد المشتمل على حمد اللّه وثنائه هو للّه تبارك وتعالى ، ونصفها الاخر المشتمل على الدعا هو للعبد.

وفــي بــعض الروايات الواردة عن طريق ( العامة من اهل السنة ) اضيفت عبارة وآية بيني وبينه ،

اشارة الى آية : ( اياك نعبد واياك نستعين ) ((٤١١)) .
وفـــي روايـــة اخرى عن الرسول ٩ عبر عن فاتحة الكتاب بالصلاة وا نهاقد قسمت بين اللّه وبين العبد ، فعن الرسول ٩ قال :
(( قـــال اللّه عـــز وجل قسمت هذه الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم اللّه الرحمن الرحيم قلت )) ((٤١٢)) .

## الفاتحة بازا القرآن :

ثـــالـــثـــا : ما اشتملت عليه الفاتحة من المعاني والمضامين العالية التي لا نجدهافي سورة غيرها بهذا الحجم المحدود.
عـــن الـــرضـــا ٧ قـــال : (( امـــر الناس بالقراة في الصلاة لئلا يكون القرآن مهجورا مضيعا وليكون مـــحـــفـــوظا مدروسا فلا يضمحل ولا يجهل ، وانما بدا بالحمددون سائر السور لا نه ليس شي من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخيروالحكمة ما جمع في سورة الحمد )) ((٤١٣)) .
ولعل من ابرز المضامين التي تعرضت لها هذه السورة المباركة ــ كما ذكرنا ــهي :
تصور طبيعة العلاقة بين اللّه تبارك وتعالى والعبد.
تربية اللّه للاشيا وطبيعة هذه التربية وانها محكومة بالرحمة الالهية .
الطبيعة التكاملية لمسيرة الانسان .
الطبيعة الاختيارية لافعال الانسان .
اليوم الاخر الذي هو يوم الالزام والحساب ( عقيدة الاخرة ).
اطار تكامل الانسان الذي هو عبارة عن تطابق الارادة التكوينية مع الارادة التشريعية .
العبادة والاستعانة باللّه تبارك وتعالى بصفتهما عاملين اساسيين في تحقيق تكامل هذه المسيرة .
الهداية وحاجة الانسان الى التوفيق لها ، وحاجة الانسان للهداية الالهية المتمثلة بالشريعة والنبوات .
ابعاد الصراط المستقيم الذي يمثل منهج التكامل ومسيرته وطموحه .
الـــمفردات الاساسية الاخلاقية والتربوية في منهج التكامل وهي الشريعة والنبوة والقدوة الحسنة ورفض الجحود والتعصب والتزام طريق الحق وعدم الخروج عنه الى الحيرة والتردد.
مـــنـــهج العبادة الذي يطرحه القرآن الكريم المتمثل بالحمد والثنا والخضوع والتقديس والاعتراف بالحاجة والاستعانة ثم الدعا.
الى غير ذلك من المضامين الاخرى .
ولـــعل في هذا ما يفسر لنا مجموعة الروايات التي وردت عن طريق ( الفريقين ) التي تؤكد اهمية ومنزلة سورة الحمد.
عـــن الصادق ٧ قال : (( رن ابليس اربع رنات اولهن يوم لعن ، وحين اهبط الى الارض ، وحين بعث محمد ٩ على حين فترة من الرسل ، وحين انزلت ام الكتاب )) ((٤١٤)) .
عـــن الرضا ٧ ان رسول اللّه ٩ قال : (( ان اللّه تبارك وتعالى قال لي يا محمد ( ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ) ((٤١٥)) فافرد الامتنان علي بفاتحة الكتاب وجعلها بازا القرآن العظيم ، وان فاتحة الكتاب اشرف ما في كنوزالعرش )) ((٤١٦)) .

وفـــي تـــفسير العياشي باسناده : (( ان النبي ٩ قال لجابر بن عبد اللّه الانصاري يا جابر الا اعلمك افـــضل سورة انزلها اللّه في كتابه قال : فقال له جابر : بلى بابي انت وامي يا رسول اللّه علمنيها قال فعلمه الحمد ام الكتاب )) ((٤١٧)) .

## الموضوع الثانى

## الابتلا والرحمة الالهية

اتـــضـــح مـــمـــا ســـبق ان مسيرة التربية الالهية التكاملية للانسان مسيرة محفوفة بالرحمة الالهية ( الـــرحمن الرحيم ) وقد يطرح هذا السؤال هنا : اذا كانت هذه المسيرة كذلك فما هو تفسير الالام والمعاناة التي يتعرض لها الانسان في هذه الحياة الدنيا ، وخصوصا اصحاب الكمالات الالهية ؟.
وللاجابة عن هذا السؤال لا بد ان نلاحظ ان الالام والمحن التي يتعرض لهاالانسان في حياته على اقسام :
الاول : الالام الـــتـــي يـــتـــعـــرض لها والتي قد يعرض الاخرين لها ايضا بسبب فعله وصنعه لجهل او غرور او ما شابه ذلك .
الـــثـــانـــي : ما يكون مفروضا عليه من قبل الاخرين كظلم الظالمين له ،او ما يتعرض له بفعل النظام الكوني الذي خلقه اللّه تبارك وتعالى ، كما في الزلازل والصواعق .
الـــثـــالـــث : ما يكون ناتجا من محنته في نفسه ، فانه باعتبار ما اودع اللّه فيه من غرائز واحساسات ومـــشـــاعـــر والـــتي تتاثر بمختلف الظروف التي يتعرض لهافي حياته يشعر الانسان بمختلف الالام ويـــتعرض لكثير من المحن ، نتيجة هذاالتفاعل بين غرائزه ومحيطه ، ومن امثلة ذلك ما يحصل له عـــنـــد كـــبـــحه لغريزة من غرائزه لسبب من الاسباب ، او عند رؤيته لمعذب او يتيم او فقير معدم وغيرذلك .
ومـــن الـــواضـــح ان تـــعـــرضه لهذا النوع من الالم ليس باختياره اذ لو لم تودع فيه مثل هذه الغرائز والاحاسيس لما احس بالالم والمعاناة بسبب تفاعلها مع الظروف المحيطة به .

## حقائق قرآنية ذات علاقة بالمحنة :

ومن اجل توضيح الموقف بشكل عام تجاه هذه الاقسام الثلاثة وتشخيص مورد الشبهة فيها ، لابد من الاشارة اولا لبعض الحقائق التي طرحها القرآن الكريم ، وهي :
١ ــ ان نـــظام الكون الذي خلقه اللّه تبارك وتعالى هو نظام مخلوق بشكل منسجم مع السيرة التكاملية لـــلانـــسان ومع الارادة الانسانية المنسجمة مع المصالح الواقعية التي يعبر عنها قرآنيا ( بالتقوى ) والتي تكون منسجمة مع الهدى الالهي والارادة التشريعية له سبحانه ، قال تعالى :
( ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لـــفـــتحنا عليهم بركات من السما والارض ) ((٤١٨)) .
( ولـــو ا نـــهـــم اقاموا التوراة والانجيل وما ا نزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ) ((٤١٩)) .
٢ ــ ان اللّه تبارك وتعالى وضح لهذا الانسان ــ من خلال الكتب الرسل : من ناحية ، ومن خلال الهداية الذاتية ( العقل والفطرة ) من ناحية اخرى ــ طريق التقوى الذي يكون مرتبطا بالارادة التشريعية .

وجـــميع الايات التي اشارت الى هدف انزال الكتب وارسال الرسل تصب في هذا الاتجاه وهو هداية الانـــســـان الـــى الـــتقوى المنسجمة مع مجمل نظام الكون والسعي لتحقيقها في نفس الانسان ومحتواه الروحي .

٣ ــ جعل اللّه تبارك وتعالى قضية امتحان وابتلا الانسان جزا اساسيامن حركة تكامله وقدرته على الوصول الى اهدافه العليا ، قال تعالى :

( ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ) ((٤٢٠)) .

( ولـــنـــبـــلـــونـــكم بشي من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ) ((٤٢١)) .

( ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم ) ((٤٢٢)) .

( انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ا يهم احسن عملا ) ((٤٢٣)) .

( ولو شا اللّه لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم ) ((٤٢٤)) .

( الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا ) ((٤٢٥)) .

٤ ــ ان اللّه ســبحانه وتعالى الذي اودع في الانسان مختلف الغرائزوالاحاسيس قد خلق له في هذا الـــكـــون ما يشبعها بصورة صحيحة وشرع له من القوانين والاحكام ما يحقق له ذلك وبما ينسجم مع حركته التكاملية .

## المحنة طريق التكامل :

واذا جمعنا هذه الحقائق الاربع بعضها الى الاخر يمكن ان نستنتج بان الاقسام الثلاثة للالام والمحن السابقة ليس فيها ما يتنافى مع الرحمة الالهية .

فـــما ينبع منها من داخل الانسان نتيجة لتفاعل غرائزه مع الخارج ما هوفي الواقع الا طريق لتكامله ورقـــيه ، فهو اذن طريق الرحمة الالهية لا النقمة والعذاب وهذا من قبيل ما يعانيه الطالب من التعب والجهد والمعاناة لكي يصل الى هدفه الذي يمثل تكاملا ورحمة له .

وامـــا الالام والعذابات التي يتعرض لها الانسان بفعل الظواهر الكونية او من خلال الاخرين كالطغاة والجبابرة فهي بالنسبة الى الانسان المؤمن الذي تنسجم ارادته مع الارادة التشريعية ( حالة التقوى ) نوع من انواع الامتحان والاختبار لارادته وبلورة واظهار لخصائصه وصفاته ، حيث يؤدي به ذلك الى التكامل والتطور ولا يكون على خلاف الرحمة الالهية تماما كما هو في القسم الاول .

ولـــذا ورد فـــي الـــحـــديـــث الـــشـــريـــف الـــمـــتـــواتر : ان اشد الناس بلا الانبيا ثم الاولیا ثم الامثل فالامثل ((٤٢٦)) .

وامـــا مـــا يتعرض له الظالم من العذاب والنقمة فان هذا وان لم يكن من اجل تكامله ولكنه من صنع يده فلا يكون منافيا للرحمة الالهية ، فقد رسم اللّه تبارك وتعالى طريق التكامل للانسان وجعل كل نظام الكون منسجما مع ارادته ومكنه مما يسد به حاجاته ورغباته بصورة صحيحة وهذا هو تمام الرحمة الالهية ،ثم بعد ذلك اذا تمرد على كل هذا فانه يتعرض للعذاب والعقاب بصنع يده ،قال تعالى :

( ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ) ((٤٢٧)) .

( ما اصابك من حسنة فمن اللّه وما اصابك من سيئة فمن نفسك ) ((٤٢٨)) .

وقد يعم البلا كل المجتمع تبعا لنزوله على الظالمين فيه ، وفي ذلك تنبيه واشعار الى ان عدم الاخذ على يد الظالمين من قبل الامة يجعلها في معرض نزول العذاب عليها كعقوبة طبيعية على الظلم والانحراف ، ويكون هذا بسببها وغيرمناف لرحمة اللّه سبحانه ، قال تعالى :

( واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ) ((٤٢٩)) .

وخلاصة القول : ان ما يعانيه الانسان من الالام والعذاب في الحياة الدنياما ان يكون سببا لتكامله ورقيه ومن ثم فهو رحمة له ونعمة عليه ، او يكون من صنع يده فيكون عقوبة منه تعالى ولا تكون منافية لرحمته تبارك وتعالى ،وانما يكون تعبيرا عن عدله .

ومن هنا يتضح ايضا ان العقاب في الدار الدنيا فضلا عن الاخرة لا ينافي الرحمة الالهية ، وانما هو تعبير عن العدل الالهي بعد استنفاد كل اسباب الرحمة وابوابها ، بالشكل الذي لا ينافي العدل والحكمة الالهية على ما اوضحناه في تفسير قوله تعالى :

( الرحمن الرحيم # مالك يوم الدين ).

## الموضوع الثالث

## العبادة والاستعانة

وردت ( العبادة ) و ( الاستعانة ) في هذه السورة المباركة في هيئة تركيبية واحدة وعلى حد سوا في قوله تعالى ( اياك نعبد ) و ( اياك نستعين ).

وباستخدام الضمير المفرد في الخطاب وتقديم المفعول حصر الفعل بالمخاطب فقط فـ ( اياك نعبد ) اي نعبدك وحدك دون غيرك ، و ( اياك نستعين ) اي نستعين بك وحدك دون غيرك من الاشيا.

وحينئذ تحددت علاقة العبد بربه بحيث تكون في مجال العبادة على حدعلاقته به في مجال الاستعانة وبالعكس ، مع ا ننا ــ وبحسب الواقع الخارجي للحياة الانسانية وحتى في المجتمع الاسلامي الاول ومن خلال ما طرحه القرآن الكريم ــنلاحظ وجود فرق بين العبادة والاستعانة .

فالعبادة ــ مثلا ــ لا تصح مع الشرك في المعبود فضلا عن عبادة غير اللّه تعالى ، بل لا بد فيها من الخلوص المطلق للّه تعالى ، بخلاف الاستعانة ، اذ نشاهدان الانسان يستعين في حياته بالاخرين من دون حرمة شرعية ، بل ورد ما يحث عليها ويطلبها كما في قوله تعالى :

( وتعاونوا على البر والتقوى ) ((٤٣٠)) .

( قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة ) ((٤٣١)) .

( ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ) ((٤٣٢)) .

فما هو جوهر الفرق بينهما اذن ؟.

### راي الطبرسي :

وقد حاول العلامة الطبرسي ١ في مجمع البيان ان يجيب على ذلك بان يعطي تفسيرا للعبادة والاستعانة بحيث يجعلهما على حد سوا ولا يكون بينهما ماشرنا اليه من فرق ، فقال :

(( والعبادة قرب من الشكر وغاية فيه لا نها الخضوع باعلى مراتب الخضوع مع التعظيم باعلى

مـــراتـــب التعظيم ، ولا يستحق الا باصول النعم التي هي خلق الحياة ، والقدرة ، والشهوة ، ولا يقدر عـــلـــيـــه غير اللّه تعالى ، فلذلك اختص سبحانه بان يعبد ولا يستحق بعضنا على بعض العبادة ومعنى قـــولـه ( اياك نستعين ) اياك نستوفق ونطلب المعونة على عبادتك على امورنا كلها ، والتوفيق هو ان يجمع بين جميع الاسباب التي يحتاج اليها في حصول الفعل ، ولهذا لا يقال فيمن اعان غيره : وفقه ، لا نه لا يقدر ان يجمع بين جميع الاسباب التي يحتاج اليهافي حصول الفعل )) ((٤٣٣)) .

وبـــهـــذا يكون قد فسر الاستعانة بطلب ( التوفيق ) وليس مجرد المعونة والتوفيق : هو جمع كل الاسباب .

وهذا البيان للطبرسي ١ وان كان في نفسه صحيحا الا ان استفادة هذاالمعنى على مستوى ( العبادة ) و ( الاستعانة ) محل تامل ، وحمل مفهوم الاستعانة على حصة معينة من الاستعانة دون وجود قرينة دالـــة لا مـــوجب له الا اذا لم يمكن تفسيره بتفسير آخر ، فيكون عدم الامكان قرينة ( لبية ) عقلية على ذاك الحمل ،واما مجرد كونه صحيحا في نفسه لا يكون مدعاة لحمل اللفظ عليه .

راي الطباطبائي :

واما الجواب الاخر فقد ذكره العلا مة الطباطبائي ١ في الميزان ، اذ فسر( العبادة ) بالمملوكية فـــي قـــولـــه تعالى ( اياك نعبد ) ، وباطلاق ( الفعل : نعبد )من دون ذكر ظرف او خصوصية معينة لـــهذه العبادة تكون هذه المملوكية مملوكية مطلقة ولا تصح نسبة المملوكية المطلقة الا للّه تعالى ، ولا يـــصـــح الـــشرك فيها ،اذ هي تعني ان الانسان بكل احواله وتصرفاته وشؤونه مملوك للّه تعالى ،فـــالانسان قد يكون مملوكا لشخص آخر ، ولكنه يكون مملوكا في بعض شؤونه وتصرفاته لا في كـــلـــهـــا ، فـــالمالك البشري لا يملك مشاعر المملوك واحاسيسه وعواطفه وتصوراته ، بل لا يملك الكثير من التصرفات المادية فيه مثل قتله اوتعذيبه ، بل حتى هتكه او اذلاله ، الى غير ذلك .

ثم يقول :

(( وان اظـــهـــار الـــعـــبـــودية بقوله : ( اياك نعبد ) ، لا يشتمل على نقص من حيث المعنى ومن حيث الاخلاص الا ما في قوله : ( اياك نعبد ) من نسبة العبدالعبادة الى نفسه المشتمل بالاستلزام دعوى على الاستقلال في الوجود والقدرة والارادة مع انه مملوك والمملوك لا يملك شيئا ، فكا نه تدورك ذلـــك بقوله تعالى :( واياك نستعين ) ، اي انما ننسب العبادة الى انفسنا وندعيه لنا مع الاستعانة بك لا مستقلين بذلك مدعين ذلك دونك ، فقوله : ( اياك نعبد واياك نستعين ) ، لابدامعنى واحد وهو العبادة عن اخلاص )) ((٤٣٤)) ويكون متعلق الاستعانة هو العبادة نفسها ، فكان المعنى حينئذ يكون اياك نعبد واياك نستعين بعبادتك ، على تقدير ان متعلق ( نستعين ) محذوف وهو ( العبادة ) ونستدل عليه بقرينة الجملة السابقة .

وبهذا يمكن دفع اشكال من يقول بان ( الاستعانة ) قد تحصل بغير اللّه ولا مانع منها شرعا ، اذ العبد هـــنـــا لا يـــقـــول ( ايـــاك نعبد ) دون قيد او شرطفتكون العبادة مطلقة ، بل يقول ( واياك نستعين ) بعبادتك وتدل حينئذ ( اياك نستعين ) على حصة خاصة من الاستعانة لا الاستعانة المطلقة .

وهذا المطلب وان كان في نفسه صحيحا ايضا ولكنه خلاف الظاهر ، اذ ان افتراض وجود متعلق لـــ ( اياك نستعين ) وهو ( العبادة ) دون افتراض وجودمتعلق لـــ ( اياك نعبد ) وهو ( الاستعانة ) لا مبرر له وذلك

لان كلا منهما مطلق وعلى حد واحد ومدلول واحد ، فاذا صح ان يكون اللاحق قرينة على السابق صح العكس ايضا.

الراي المختار :

ولـــعل الجواب الصحيح هو : ان الاية المباركة تدل على ان المقصود من الاستعانة هنا هو الاستعانة المطلقة .

ولاجل معرفة ما هو المقصود بالاستعانة المطلقة هذه لا بد من الرجوع الى معنى طلب العون من اللّه عرفا ، اذ يفهم منه طلب الامر الذي لم يضعه اللّه تعالى تحت قدرة الانسان واختياره .

وحينئذ فالاستعانة بهذا المعنى وبشكل مطلق تكون منحصرة به سبحانه وتعالى .

وتوضيح ذلك : ان الاشيا التي يواجهها الانسان في حياته على ثلاثة اشكال :

الاول : ما يكون واقعا تحت اختياره وارادته بالقرار الالهي في النظام الكوني والمطلوب منه ان يبذل جهده وامكاناته لتحصيله ، وهذا مثل الاشيا التي هي افعاله الاختيارية الواقعة تحت ارادته واختياره باذن اللّه وارادته حيث شاءاللّه وتعلقت الارادة الالهية ان يكون الانسان مختارا.

الثاني : ما يكون واقعا تحت ارادة الاخرين من الناس او وضع من قبل اللّه تعالى ضمن النظام التكويني بـــحـــيـــث يستعين به الانسان لسد حاجاته كما هوالحال في الوسائل المادية او العلاقات التكوينية ، حـــيـــث يـــســـتـــعـــين بسد جوعه بالاكل ويرفع عطشه بشرب الما ويدفع البرد باستخدام النار ، او باستخدام الاخرين لسد حاجاته بالقهر او الارادة كاستخدام العمال والاجرا اوالاصدقا ، وهذا ايضا هو تحت الارادة الالهية المطلقة ، ولكن عن طريق هذاالنظام الكوني .

الـــثـــالث : الاشيا التي تكون خارجة عن قدرة الانسان وارادته وعن حدود النظام الكوني ، وهي في نفس الوقت تحت القدرة الالهية المطلقة الشاملة لجميع الموجودات :

( للّه ملك السماوات والارض وما فيهن وهو على كل شي قدير ) ((٤٣٥)) .

( تبارك الذي بيده المـــلك وهو على كل شي قدير ) ((٤٣٦)) .

وهذه الاشيا هي الاسباب الغيبية والمادية المرتبطة بالنظام الكوني العام .

وهذا الشكل من الاسباب هو العامل الاصلي المؤثر في حركة الوجودوالاشيا ، والامور من الشكل الاول والثاني تمثل نسبة ضئيلة في حياة الانسان وحركته .

فالانسان يطلب منه تعالى ان يعينه على تحقيق هذه الاشيا الخارجة عن ارادته وقدراته وامكاناته في مقابل الطلب من الالهة الاخرى التي كان يعبدهاالانسان ظنا منه بقدرتها على التاثير.

فـــما تعارف عليه الانسان من الاستعانة بالامور المادية طبق النظام الكوني يشكل قرينة عرفية على ان مـــوضـــوع الاســـتـــعـــانـــة هو هذا ، لما كان متعارفا عليه بين المشركين من الاستعانة بالاصنام او الـــكـــواكب او الجن او غير ذلك من الموجودات التي كانوا يفترضون لها قدرات غيبية خارجة عن الـــنـــظام الكوني المنظور حيث عالج القرآن ذلك في مواضع عديدة عند الحديث عن هذه الوجودات ، اضـــافـــة الى ان هذا النوع من الاستعانة له علاقة بالعبادة ، حيث ان من يخلص في عبادته يخلص في هذا النوع من الاستعانة ، والعكس صحيح ايضا.

فـــمـــعنى ( اياك نستعين ) اي نستعينك على كل الامور التي تجعلنا قادرين على تحقيق اهدافنا وهي

ليست تحت ارادتنا واختيارنا وقدرتنا ، وهذا هو معنى التوكل على اللّه تعالى في الحياة ، والا فيتحول الامر الى مجرد التواكل والاتكال .
وخلاصة المبدا الذي يفهم من هذا الطلب هو ان مايؤثر في الاشيا( وهذا من خصائص حركة الانسان ومسيرته ) امران رئيسان :

احدهما :

الارادة الالهية المهيمنة على هذا الكون والنظام المسير له وعلى مسيرة الانسان ،اذ لم توضع مسيرة الانسان بكاملها تحت ارادته واختياره كما لم يوضع نظام هذاالكون على قدراته وارادته ، بل جعل جانبا منها تحت ارادة الانسان والباقي منهاتحت ارادة اللّه مباشرة ، ولكن اللّه بلطفه ورحمته واحسانه جعل تلك الارادة الالهية المؤثرة في تكامل المسيرة الانسانية مرهونة بالارادة الانسانية نفسهاليكون الانسان قادرا على اختيار طريق ومسيرة التكامل ، فهناك رابط بين الارادتين .

والاخر :

ارادة الانسان واختياره الذي اودعت فيه من قبل اللّه تعالى ، ومن هنا جات المسؤولية تجاه افعاله ونشاطاته المترتب عليها الثواب والعقاب .
على ان اصل هذه القدرة منه عز وجل فلم يخرج الانسان بها عن ارادة اللّه وقدرته واختياره .
وعندما يطلب الانسان من اللّه تبارك وتعالى العون فانه يطلب منه العون في ضم القدرة الالهية المؤثرة في مسيرته التكاملية الى ارادة هذا الانسان .
وهذا ما يفهم من مجموعة من الايات المباركة ، قال تعالى :
( ما اصابك من حسنة فمن اللّه وما اصابك من سيئة فمن نفسك ) ((٤٣٧)) .
اي ان هناك شيئا من عند اللّه تعالى ــ وهو الحسنة ــ ، وان شيئا ينسب الى الانسان ولو بنحو من الانحا ــ وهو السيئة ــ وهو يتحمل مسؤوليتها ، وتتكامل الصورة من خلال قراة الايات التالية :
( من جا بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون ) ((٤٣٨)) .
( يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ) ((٤٣٩)) .
( وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور ) ((٤٤٠)) .
( يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا اللّه ينصركم ويثبت اقدامكم ) ((٤٤١)) .
( ولينصرن اللّه من ينصره ان اللّه لقوي عزيز ) ((٤٤٢)) .
( واستعينوا بالصبر والصلاة ) ((٤٤٣)) .
( قال موسى لقومه استعينوا باللّه واصبروا ) ((٤٤٤)) .
( فصبر جميل واللّه المستعان على ما تصفون ) ((٤٤٥)) .
( قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ) ((٤٤٦)) .
فعلى الانسان ان يختار ويتخذ الموقف المعين ويصبر عليه ويستعين باللّه تعالى على ذلك ، ولان باقي الامر متروك الى اللّه عز وجل باعتباره واقعا تحت ارادته عز وجل المباشرة ولذا يستعين العبد به

عليه .

واوضـــح مـــن هـــذا ما ورد من آيات في ( التوكل ) باعتباره يمثل شعبة من شعب الاستعانة باللّه عز وجل ، قال تعالى :

( وما توفيقي الا باللّه عليه توكلت واليه انيب ) ((٤٤٧)) .

( فان تولوا فقل حسبي اللّه لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ) ((٤٤٨)) .

( وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى اللّه فليتوكل المؤمنون ) ((٤٤٩)) .

( وليس بضارهم شيئا الا باذن اللّه وعلى اللّه فليتوكل المؤمنون ) ((٤٥٠)) .

( وللّه غيب السماوات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه ) ((٤٥١)) .

( فـــاعـــف عـــنـــهـــم واســـتـــغفر لـــهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على اللّه ان اللّه يحب المتوكلين ) ((٤٥٢)) .

فـــعلى الانسان ان يبذل جهده فيما يقع تحت ارادته وان يستعين في تحقيق ما خرج عنها بالتوكل على اللّه عـــز وجـــل لا نـــه يـــقـــع تحت ارادته المباشرة عز وجل ،هذه الارادة التي لا يمنع من نفوذها وتـــحـــكـــمها في مسيرة الانسان اي شي آخر ــ الا باذن اللّه ــ حتى لو كان من عوالم الغيب الاخرى كالشيطان مثلا ، كما اشارالقرآن الى ذلك في آيات عديدة .

## مراتب العبادة

ورد في بعض الروايات عن اهل البيت : ان للعبادة مراتب ثلاثا ،فعن علي ٧ قال : (( ان قوما عبدوا اللّه رغبة فتلك عبادة التجار ، وان قوما عبدوا اللّه رهبة فتلك عبادة العبيد ، وان قوما عبدوا اللّه شكرا فتلك عبادة الاحرار ، وهي افضل العبادة )) ((٤٥٣)) .

وعن الصادق ٧ قال :

(( ان الـــنـــاس يـــعبدون اللّه على ثلاثة اوجه ، فطبقة يعبدونه رغبة الى ثوابه فتلك عبادة الحرصا وهو الطمع ، وآخرون يعبدون خوفا من النار فتلك عبادة العبيد وهي الرهبة ، ولكني اعبده حبا له عز وجل فتلك عبادة الكرام لقوله عزوجل : ( وهم من فزع يومئذ آمنون ) ((٤٥٤)) ولقوله عز وجل : ( قل ان كنتم تحبون اللّه فاتبعوني يحببكم اللّه ) ((٤٥٥)) ، فمن احب اللّه عز وجل احبه ومن احبه اللّه كان من الامنين ، وهذا مقام مكنون لا يمسه الا المطهرون )) ((٤٥٦)) .

وحينئذ ، فهل عبادة اللّه خوفا من ناره ( عبادة العبيد ) او طمعا في جنته ( عبادة التجار ) هي نوع مـــن الـــشـــرك المنهي عنه وهو عبادة غير اللّه تبارك وتعالى ، ومن ثم هي خارجة عن حالة خلوص العبودية المشار اليها بقوله عزوجل ( اياك نعبد ) ام لا ؟.

وقـــد حاول العلا مة الطباطبائي ١ الاجابة عن هذا التساؤل ، فذكر ان عبادة العبد لا بد ان تكون (( عـــبـــادة عبد حاضر من غير ان يغيب في عبادته فيكون عبادته صورة فقط من غير معنى وجسدا من غـــيـــر روح او يـــتـــبـــعـــض فـــيـــشـــتغل بربه وبغيره ، اما ظاهرا وباطنا كالوثنيين في عبادتهم للّه ولاصنامهم معا ، او باطنا فقط كمن يشتغل في عبادته بغيره تعالى بنحو الغايات والاغراض كان يعبد اللّه وهمه في غيره ، او يعبد اللّه طمعا في جنة او خوفا من نار ، فان ذلك كله من الشرك في العبادة الذي ورد عنه النهي ، قال تعالى ( فاعبد اللّه مخلصا له الدين ) ، وقال تعالى ( الا للّه الدين الخالص والـــذيـــن

اتخذوا من دونه اوليا مانعبدهم الا ليقربونا الى اللّه زلفى ان اللّه يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ) )) ((٤٥٧)) .

ولـــكن القبول بكلام العلامة ١ مورد تامل اذ ان مجمل الايات والروايات الواردة بهذا الخصوص تدل على غير ما ادعاه ، الا اذا قلنا بان المراد من كلامه١ غير ظاهره ، اذ لم تكن الروايات التي ذكرنا بـــعـــضـــها في تقسيم العبادة الى اصناف ثلاثة في مقام تقسيم كل عبادة في الدنيا ، والا فهي لم تتعرض لـــعبادة الاصنام والشهوات والطغاة مثلا ، بل هي اذن في مقام تقسيم كل عبادة حقة وصحيحة عرفتها البشرية ، غير ان لهذه العبادة الصحيحة درجات بعضها اسمى وارفع من الاخر.

وفـــي ذيـــل الرواية الاولى ما يشير الى ذلك ، اذ عبر عن عبادة الاحراربا نها افضل العبادة وليست هي الصحيحة المتعينة قبالة العبادة الاخرى الباطلة المنهي عنها.

ويؤكد هذه الحقيقة مجمل الايات الشريفة التي تعرضت لقضية العبادة في القرآن الكريم والتي تشير الى ان عبادة اللّه خوفا وطمعا من العبادات الصحيحة التي دعا القرآن الكريم اليها ايضا ، قال تعالى :

( ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ) ((٤٥٨)) .

والدعا هنا بمعنى الصلاة ، لان الصلاة دعا بحسب مفهومها العام .

( تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ) ((٤٥٩)) .

وفي الاية اشارة ــ واللّه اعلم ــ الى تلك العبادة الصلواتية التي يمارسهاعباد اللّه ليلا.

( واذكـــر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين ) ((٤٦٠)) .

اذ المراد من الاية ( الصلاة ) وذلك بقرينة القراة دون ( الجهر ) و ( تحديدلوقت ).

( ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا # انما نطعمكم لوجه اللّه لا نريد منكم جزا ولا شكورا # انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ) ((٤٦١)) .

فالخوف من اللّه قائم وموجود في هذا الانفاق .

( وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ) ((٤٦٢)) .

( ولـــمـــن خاف مقام ربه جنتان ) ((٤٦٣)) .

( واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى # فان الجنة هي الماوى ) ((٤٦٤)) .

فعاقبة الخوف من اللّه تبارك وتعالى هي الجنة .

وحـــيـــنـــئذ ، يـــتبين من هذا ان العبادة لا يفترض فيها الانفكاك عن حالة الخوف والطمع ، بل هي من الامور المطلوبة التي جا الحث عليها كما في بعض الايات فكيف تكون موجبة للشرك وفساد العبادة ؟.

والـــواقع ان هذا الانسان الذي يعبد اللّه خوفا من ناره او طمعا في جنته هو عابد للّه عز وجل على كـــل حـــال ولا يعبد في ذلك نفسه ، وان كانت عبادة الشاكرين والمحبين للّه تبارك وتعالى هي اعلى درجـــات الـــعـــبـــادة لان العبد فيهايكون فانيا في اللّه تبارك وتعالى ولا يلتفت الى اي شي في الوجود غيره .

( ومـــن الـــنـــاس مـــن يـــتـــخـــذ مـــن دون اللّه ا نـــدادا يـــحبونهم كحب اللّه والذين آمنواشد حبا للّه ) ((٤٦٥)) .

ومن المحتمل ان يكون مقصود العلا مة الطباطبائي ١ من كلامه السابق ان الانسان لو اراد عبادة اللّه عبادة خوف من النار او طمع في الجنة دون ان يدخل في عبادته علاقته باللّه تبارك وتعالى ، بحيث لـــولا

هذا الخوف وهذا الطمع لما راى له حقا في العبادة ، فلو كان مقصوده ذلك امكن ان يكون هناك وجـــه لـــصـــحة ما قال به ١ ، ولكن هذا خلاف ظاهر كلامه ١ خصوصا وا نه اشار اليه بعد ان اورد روايات عبادة التجار والعبيد ، واللّه العالم .

.

## الموضوع الرابع

## السراط المستقيم

تكرر هذا التعبير ( السراط المستقيم ) كثيرا في القرآن الكريم ، ووردما يشبهه من قبيل ( سبيل اللّه ) و ( سوا السبيل ).

فهل المراد من السراط المستقيم هو سبيل اللّه او ان هناك فرقا بينهما ؟.

ولـــلاجابة عن هذا التساؤل لا بد من التعرف على المفهوم العام للسراطالمستقيم مع غض النظر عن المعنى اللغوي والمصداقي او الملاحظة السياقية والجملية والتركيبية المبحوثة في جهات سابقة .

### راي الطباطبائي في السراط والسبيل :

وقـــد تعرض العلا مة الطباطبائي ١ لهذا الموضوع ((٤٦٦)) في تفسير سورة الفاتحة ، وافترض ان هناك فرقا بين السبيل والسراط ذكره في عدة خصوصيات هي :

الاولى : ان السبيل هو ذلك الطريق الذي قد يعتريه شي من الضلال او الشرك او الظلم ، ويقول : ان هـــذه الـــمـــفـــاهيم وان كانت مختلفة من حيث المعنى المفهومي واللغوي لها ، ولكنها متطابقة من ناحية الـــمصداق ، لان الشرك ظلم والظلم ضلال والضلال شرك ، ثم يستشهد ببعض الايات التي قد يفهم مـــنهاان الايمان قد يلابسه شرك ، وان الايمان سبيل الى اللّه تعالى ، ومن ثم يستنتج ان السبيل يمكن ان يلابسه شرك او ظلم او ضلال .

واما السراط فهو طريق لا يلابسه شي من ذلك .

الـــثانية : يفترض ان السراط هو ذلك الطريق الذي يكون فيه الهدى والايمان بنحو ثابت ولا يعتريه شـــي من التزلزل والتزعزع بخلاف السبيل الذي وان كان طريقا الى اللّه ايضا ولكنه يتضمن نحوا من انحا التزلزل والتزعزع ،فان استقر هذا الطريق عبر عنه بالسراط.

الثالثة : ان السراط هو ذلك الطريق الذي يكون واحدا وثابتا وغيرمتغير ومهيمنا على جميع السبل مـــهـــمـــا تـــغيرت وتعددت وتكونت ، مثاله مثال الروح والجسد ، فان روح الانسان امر ثابت لا يتغير بـــتـــغير مراحل نموه من الطفولة الى الشيخوخة بخلاف البدن الذي يمر بادوار ، والموراد متعددة يـــخـــتـــلف بعضها عن بعضها الاخر ، والشي الذي يهيمن على هذه الاطوار والادوار المختلفة هو( الـــروح ) ، فـــموقع السراط من السبيل اذن هو موقع الروح من البدن ، فتتعددالسبل ولكن لا يتعدد السراط وعدم تعدده ناشئ من ا نه هو الذي يحفظ وحدة هذه السبل وصحتها وسلامتها.

وينتهي في النتيجة الى ان السبل مع تعددها اما ان نفترض فيها ا نها تتحدفي السراط من قبيل اتحاد ادوار الانـــســـان الـــبدنية والجسدية في روحه او يتصل بعضها مع بعضها الاخر منتهيا الى السراط فيكون

**غايتها ونهايتها.**

**نقد راي الطباطبائي :**

وقــد اعــتــمــد العلا مة ١ في طرحه لمجمل هذه النظرية التي تناولت خصوصيات كل من السراط والسبيل على عدة امور استنتجها من القرآن الكريم ، وهي :

اولا : جــا في القرآن الكريم التعبير عن ( السراط ) بلفظ الواحد ولم يات بلفظ الجمع ( سراطات ) بخلاف ( السبيل ) الذي جا بلفظ المفرد والجمع ( السبل ) ، قال تعالى :

( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ) ((٤٦٧)) .

مما يدل على ان في السراط ( وحدة ) وفي السبيل ( تعددا ).

ثانيا : نسب لفظ ( السبيل ) في القرآن الكريم الى غير اللّه من قبيل نسبته الى الرسول ٩ :

( قل هذه سبيلي ادعو الى اللّه على بصيرة ) ((٤٦٨)) .

( سبيل المؤمنين ) ((٤٦٩)) .

او الى المتقين : ( سبيل من اناب ) ((٤٧٠)) .

واما السراط فلم يات منسوبا الى غير اللّه تعالى الا مرة واحدة وان جابلفظ المطلق دون نسبته الى جهة ما ، قال تعالى :

( وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ) ((٤٧١)) .

( وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ) ((٤٧٢)) .

واما المرة التي جا فيها منسوبا لغير اللّه فهي قوله تعالى :

( صراط الذين ا نعمت عليهم ) ((٤٧٣)) .

ثــالــثــا : اعطى القرآن الكريم لهؤلا الناس الذين نسب اليهم السراط( صراط الذين انعمت عليهم ) درجــة ومرتبة خاصة اصطفاهم اللّه بهااصطفا ، ويستشهد على ذلك بما ورد في القرآن الكريم من ان نــسبة اناس آخرين الى هؤلا المصطفين لم يات بشكل يجعلهم في صف واحد واياهم وانما جعلوا في صف آخر ادنى منهم ، قال تعالى :

( ومــن يــطــع اللّه والــرســول فــاولــئك مــع الذين ا نعم اللّه عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اولئك رفيقا ) ((٤٧٤)) .

فــبــقرينة ( الانعام ) يكون هؤلا المصطفون هم الذين اشار اليهم تعالى بقوله ( انعمت عليهم ) ، ثم عندما اراد ان يلحق بهم المؤمنين لم يجعلهم في صفهم ،بل جعلهم في صف آخر بقرينتين :

١ ــ قوله تعالى ( مع الذين انعم اللّه عليهم ) ، ولم يقل (( من الذين انعم اللّه عليهم )) ، فلو كانوا في صفهم لما جعل هناك فاصل درجة بينهم بحيث يكونون ملحقين بهم لا منهم .

٢ ــ قوله تعالى ( وحسن اولئك رفيقا ) اذ جعلهم رفقا لهم تاكيدا لمفهوم ( المعية ).

ويدل على مثل هذا ما ورد في قوله تعالى :

( والــذيــن آمــنــوا بــاللّه ورســلــه اولئك هم الصديقون والشهدا عند ربهم لــهم اجرهم ونورهم ) ((٤٧٥)) .

ومــع ان صــدر الاية اشار الى ان عامة المؤمنين من الصديقين والشهدالا معهم ولكن ذيل الاية ( لهم اجرهم ونورهم ) دل على ان لهؤلا المؤمنين منزلة الصديقين والشهدا من حيث الاجر والنور لا من حيث الصف والدرجة .

وبــهــذا يختص ( السراط المستقيم ) باولئك الممحضين في الايمان ( الانبيا ،الصديقين ، الشهدا ،

الصالحين ) ويكون اعلى مرتبة ودرجة من ( السبل ) التي تعود الى باقي المؤمنين الذين لم يتخلصوا بصورة كاملة من ادران الشرك والظلم والضلال .

ثم يذكر ان للسراط المستقيم ايضا درجات بلحاظ العلم ، فحتى اولئك الذين لا يلابس عقيدتهم ظلم او شرك ابدا ، يتفاوتون فيما بينهم في درجة العلم باللّه تبارك وتعالى :

( يرفع اللّه الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ) ((٤٧٦)) .

وبالرغم مما يشتمل عليه كلام العلا مة الطباطبائي ١ من تحقيق رائع ودقة في الملاحظة وقرائن لـــتوضيح واثبات المدعى الذي التزم به ، الا ان هناك عدة ملاحظات يمكن ان نشير اليها بهذا الصدد قد تنفع في الحكم على هذا الموضوع :

الاولـــى : ان مـــجي لفظة السبيل بصيغة الجمع منسوبة الى اللّه تبارك وتعالى مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى :

( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ) ((٤٧٧)) .

لا يـــمـــكن الاعتماد عليه في مقام الاستدلال على الفرق بين مضمون السبيل والسراط ، خصوصا مع مـــلاحـــظـــة مـــا ذكـــر مـــن فرق من ناحية اللفظ بين السراطوالسبيل ، اذ من المحتمل ان عدم مجي الـــسراط بصيغة الجمع دون السبيل هو ان لفظة السبيل عندما تجمع ياتي جمعها سهلا ويجري على اللسان بسهولة بخلاف لفظة السراط التي يصعب الحصول على صيغة سهلة لجمعها.

فـــلـــعل عدم الاستخدام ــ اذن ــ ناتج من صعوبة التعبير بالجمع عن ( السراط ) ولولا ذلك لاستخدم كـــاستخدام ( السبل ) وهذا الامر ملحوظ في اسلوب القرآن الكريم ، اذ اهتم بسهولة الالفاظ التي يستخدمها وتجنب بصورة عامة الغريب والصعب منها.

وعلى هذا لا يمكن ان يكون الفرق في استخدام هذين اللفظين في القرآن الكريم قرينة ودليلا على ما طرحه العلا مة ١ وبتلك السعة وبذلك الشكل .

الثانية : ان ما اشار اليه العلا مة ١ من ان السبيل قد نسب الى غير اللّه تعالى ، وان السراط لم ينسب الى غيره امر غير واضح ، وذلك لان ( السبيل ) لم ترد منسوبة لغير اللّه الا في ثلاثة موارد فقط حينما نسبت الى الرسول ٩والمتقين والمؤمنين ، ولان السراط نسب لغير اللّه ايضا في قوله تعالى : ( صراطالذين انعمت عليهم ) ولو لمرة واحدة .

وبـــملاحظة نسبة استخدام لفظة ( السبيل ) الى ( السراط ) في القرآن الكريم نجد ان الاولى قد اســـتـــخدمت اضعاف استخدام الثانية ، مما يجعل هذا الفرق في نسبة اضافتها لغير اللّه غير كاف في اثبات مدعاه ١ ومن ثم في الاعتماد على تلك الخصوصية التي ابرزها تبعا لذلك .

الثالثة : ذكر العلا مة ١ ان السراط المستقيم مختص بالانبيا والصديقين والشهدا والصالحين وان من يلحق بهم من عامة المؤمنين يلحق في درجة وصف ادنى .

وهـــذا الـــمـــطـــلـــب وان كـــان صـــحيحا في نفسه ، اذ لا شك في ان طبقة الانبياوالصديقين والشهدا والصالحين تمثل القمة بالنسبة الى مسيرة البشرية ، وحينئذمن ينسب اليهم ينسب بذلك الشكل الذي ادعـــاه ، ولكن هذا المطلب لا يمكن ان يدعى ظهوره وبهذا الشكل من خلال القرآن الكريم خصوصا وان القرآن يعتمدوبشكل اساسي على اساليب الكناية والاستعارة والتشبيه وتصوير القضاياالمعنوية لتقريبها الى الاذهان ، اضافة الى ملاحظة سعة وعموم تطبيقات ومصاديق تلك الطبقة الخاصة ، فانها وان اشـــتـــملت

على فئة الانبيا : وهي فئة ذات مصاديق محدودة ، ولكن فئة الشهدا والصالحين ذات مصاديق كثيرة جدا ، قال تعالى :

( لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ) ((٤٧٨)) .

فخاطب اللّه عز وجل كل الامة الاسلامية با نها ( شهيدة ).

وحـــيـــنـــئذ يـــكون ما ذكره ١ من اختصاص السراط باولئك الذين لا يلابس ايمانهم اي شي من الظلم والضلال والشرك امرا غير واضح ولا يمكن استفادته من هذه الايات المباركة .

الـــرابعة : ذكر ١ في مقام تقريب ما اورده في المطلب السابق : ان السبيل قد نسب في القرآن الكريم الى اللّه تبارك وتعالى والى المجرمين ، قال تعالى :

( وقاتلوا في سبيل اللّه الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ) ((٤٧٩)) .

( وكذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين ) ((٤٨٠)) .

غير ا ننا نجد ان ( السراط ) قد استخدم ايضا منسوبا الى اللّه تعالى والى الجحيم .

قال تعالى :

( وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ) ((٤٨١)) .

( احـــشـــروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون # من دون اللّه فاهدوهم الى صراط الجحيم ) ((٤٨٢)) .

وحينئذ لا يمكن ان يذكر هذا الامر كفارق اساسي بين اللفظين .

## التحقيق في معنى السراط :

ولكن مع ذلك كله يمكن ان نقول : ان هناك فرقا بين السبيل والسراطيجعل السبيل متعددا والسراط واحدا وذلك من خلال مراجعة عامة الايات القرآنية التي ورد فيها لفظ ( الصراط ) و ( السبيل ) ، اذ يبدو من ظاهر كثرة استخدام لفظ ( السبيل ) ا نه قد استخدم في كل طريق موصل الى اللّه تعالى ولوكان طريقا ضيقا ومحدودا وممثلا لمفردة او حالة او عمل صالح معين ، ولهذا السبب فانه يتعدد ويتكثر.

وهذا بخلاف السراط الذي هو الطريق الواسع والواضح والرئيس المنتهي الى اللّه تعالى كما عرفنا ، فانه يكون عندئذ طريقا واحدا.

وهـــذا مـــا يمكن ان نفهمه ايضا من المعنى اللغوي للسراط والسبيل ، اذ اخذالسراط من ( السرط ) وهو لغة من ( البلع ) ، الذي لا يكون عادة الا عندما يكون هناك سعة في الطريق وسهولة في حركة الـــشـــي فـــيـــه ، بـــخلاف السبيل الذي وان كان يعبر عن الطريق السهل ايضا ، ولكنه لا يتضمن كل خصوصيات السراط من السعة والوضوح والسرعة في حركة الشي فيه .

فـــالـــفـــرق بـــيـــنهما هو فرق درجة ــ اذن ــ لا فرق في المحتوى والمضمون الذي يبدو ان العلا مة الطباطبائي ١ يحاول بيانه .

.

نكتفي بهذا القدر من الحديث عن تفسير سورة الفاتحة المباركة والقضاياالتي اثيرت حولها.

اساله تعالى ان يتقبل ذلك منا.

( ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا

**تــحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ا نت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ) ((٤٨٣)) .**

**والــحــمــد للّه رب الــعالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين واصحابه المنتجبين .**

١- لسان العرب ، مادة ( فسر ). ٢- الفرقان : ٣٣.
٣- البقرة : ٢٥٥.
٤- غافر : ١ و ٢.
٥- الملك : ١.
٦- المجادلة : ١.
٧- البقرة : ٧٥.
٨- الاحزاب : ٣٣.
٩- آل عمران : ٧.
١٠- النسا : ٥٩.
١١- الاعراف : ٥٢ و ٥٣.
١٢- يونس : ٣٩.
١٣- يوسف : ٦.
١٤- الاسرا : ٣٥.
١٥- الكهف : ٧٨.
١٦- البقرة : ١٥٨ ، ١٩٦ ــ ٢٠٣.
١٧- البقرة : ٢٣٤.
١٨- الروم : ٣٠.
١٩- آل عمران : ٣.
٢٠- المائدة : ٤٨.
٢١- الانعام : ٢٥.
٢٢- النحل : ١٠٣.
٢٣- وسائل الشيعة ١٨ : ١٣٦ ، الباب ١٣ من ابواب صفات القاضي ، الحديث ٢٣.
٢٤- وسائل الشيعة ١٨ : ١٥٢ ، الباب ١٤ من ابواب صفات القاضي ، الحديث الاول .
٢٥- وكلمة ( صحيحة ) وان كانت ذات مرونة ويصعب تحديد معناها لما فيها من امكانية التفسيرات المتعددة ، فكل من يعتقد بامر ما لا بد وان يعتقد بصحته ، ولذا اتبعنا في تحديدها النص المثبت اعلاه وقد ذكر كثير من المفسرين هذا الشرط دون ان يذكروالمقياس الذي يمكن ان تقاس به العقيدة الصحيحة .
٢٦- النحل : ٨٩.
٢٧- اخرجه الترمذي ١١ : ٦٧ بالفاظ مختلفة عن ابن عباس ورواه الصدوق في الغنية في حديث طويل عن النبي ٩ بلفظ آخر.
وقد اورد الحر العاملي في كتابه المعروف (( وسائل الشيعة )) مجموعة من الاحاديث في الجز ١٨ ، الباب ١٣ من ابواب صفات القاضي ، منها الحديث القدسي : (( ما آمن بي من فسر كلامي برايه )) ، الحديث ٢٨ و (( من فسر القرآن برايه فقد افترى على اللّه الكذب )) الحديث ٣٧ ، و (( من فسر القرآن برايه ان اصاب لم يؤجر وان اخطا فقد خر ابعدمن السما )) ، الحديث ٦٦ واحاديث اخرى عديدة .
٢٨- آل عمران : ٧.
٢٩- تناول علما الاصول هذا البحث بشكل مفصل مرتبطا مع موضوع آخر هو بحث ( حجية الظاهر ) ولعل افضل من تناول هذا البحث هو استاذنا الشهيد الصدر ١ من المتاخرين كما جا في تقريراته التي كتبها آية اللّه السيد محمود الهاشمي حفظه اللّه ، وقد تناولناه هنامختصرا وبالمقدار الذي يناسب البحث .
٣٠- البقرة : ٧٥.
٣١- المائدة : ١٣.
٣٢- المعصوم : هو النبي او النبي واهل البيت : كما تذهب الى ذلك ( الامامية ).
٣٣- وهذه النتائج الخطرة من الناحية العملية هي التي انتهت بعد ذلك الى سد باب الاجتهاد في تلك المدارس نفسها ، حيث لم

يكن خط الانحراف واضحا في البداية ولكن عندما امتدالزمن بنشاط هذه المدرسة اصبح من الواضح مقدار ما تسببه هذه المدرسة من المشاكل والانحراف عن المنهج الاسلامي الاصيل في الفقه .

٣٤- البحث حول هذه النصوص يتم عادة في علم الاصول تحت عنوان (( حجية ظواهرالقرآن )) ، وهناك يستدل بشكل واضح على عدم صحة استنباط هذا المعنى من هذه النصوص ، وكنموذج لها : قال ابو عبد اللّه في رسالة : فاما ما سالت عن القرآن فذلك ايضامن خطراتك المتفاوتة المختلفة لان القرآن ليس ما ذكرت ، وكل ما سمعت فمعناه على غير ماذهبت اليه ، وانما القرآن امثال لقوم يعلمون دون غيرهم ، ولقوم يتلونه حق تلاوته ، وهم الذين يؤمنون به يعرفونه ، واما غيرهم فما اشد اشكاله عليهم ، وابعده من مذاهب قلوبهم ،ولذلك قال رسول اللّه ٩ : انه ليس شي ابعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن وفي ذلك تحير الخلائق اجمعون الا من شا اللّه ، وانما اراد اللّه بتعميته في ذلك ان ينتهوا الى بابه وصراطه ، وان يعبدوه ، وينتهوا في قوله الى طاعة القوام بكتابه ، والناطقين عن امره ، وان يستنبطوا ما احتاجوا اليه من ذلك عنهم لا عن انفسهم ، ثم قال : (( ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم )) فاما عن غيرهم فليس يعلم ذلك ابدا ،ولا يوجد ، وقد علمت انه لا تستقيم ان يكون الخلق كلهم ولاة الامر ، لانهم لا يجدون من يأتمرون عليه ومن يبلغونه امر اللّه ونهيه ، فجعل اللّه الولاة خواص ليقتدي بهم ، فافهم ذلك ان شا اللّه واياك واياك وتلاوة القرآن برايك ، فان الناس غير مشتركين في علمه ،كاشتراكهم فيما سواه من الامور ، ولا قادرين على تاويله الا من حده وبابه الذي جعله اللّه له فافهم ان شا اللّه ، واطلب الامر من مكانه تجده ان شا اللّه .

وسائل الشيعة ١٨ : ١٢٩ ، الباب ١٣ من ابواب صفات القاضي ، الحديث ٣٨.

مع ان ائمة اهل البيت اوضحوا ذلك في نصوص اخرى ، منها عن ابي جعفر ٧ : ان رجلا قال له : انت الذي تقول ليس شي من كتاب اللّه الا معروف ، قال : ليس هكذاقلت ، انما قلت : ليس شي من كتاب اللّه الا عليه دليل ناطق عن اللّه في كتابه مما لا يعلمه الناس ــ الى ان قال : ــ ان للقرآن ظاهرا ، وباطنا ، ومعاينا وناسخا ، ومنسوخا ، ومحكما ،ومتشابها ، وسننا ، وامثالا ، وفصلا ، ووصلا ، واحرفا وتصريفا ، فمن زعم ان الكتاب مبهم فقد هلك واهلك الحديث .

وسائل الشيعة ١٨ : ١٢٩ ، الباب ١٣ من ابواب صفات القاضي ، الحديث ٣٩.

٣٥- النحل : ١٠٣.

٣٦- المائدة : ١٥.

٣٧- الشورى : ٥٢.

٣٨- البقرة : ٢.

٣٩- النحل : ٨٩.

٤٠- محمد : ٢٤.

٤١- ص : ٢٩.

٤٢- النسا : ٨٢.

٤٣- وسائل الشيعة ، الجز ١٨ ، ابواب صفات القاضي ، الباب ٩ ، الحديث ١٢.

٤٤- وسائل الشيعة ، الجز ١٨ ، ابواب صفات القاضي ، الباب ٩ ، الحديث ٣٥.

٤٥- وسائل الشيعة ، الجز ١٣ ، ابواب بيع الحيوان ، الباب ١٧ ، الحديث الاول .

٤٦- وسائل الشيعة ، الجز ١٣ ، الباب ٤ ، الحديث الاول .

٤٧- الحج : ٧٨ ووسائل الشيعة ١٨ : ٣٢٧ ، الباب ٣٩ ، الحديث ٥.

٤٨- لا يعني هذا الكلام الاستغنا عن احاديث النبي واهل البيت التي وردت في التفسيرحيث يمكن ان تشكل تلك الاحاديث قرينة منفصلة شانها في ذلك شان القرائن الاخرى ولا بد من معرفتها ليمكن فهم القرآن بشكل كامل ، ولكن لا يعني ذلك ايضا اننا لا يمكن ان نفهم القرآن الا من خلال الرواية .

٤٩- طه : ١١٤.

٥٠- الواقعة : ٧٩.

٥١- آل عمران : ٧.

٥٢- الاطلاع على العلوم الطبيعية قد يزيد الانسان اطلاعا على الظواهر الكونية ومن ثم يزيده ايمانا واعتقادا.

٥٣- النحل : ٨٩.

٥٤- هـنـــا افترضنا ان يكون المقصود في الاية من الكتاب القرآن الكريم ، وقد يكون المقصودمن الـــكتاب ما هو اشمل من القرآن الكريم وهو الشريعة والرسالة بكل تفاصيلها ومنهاالقرآن الكريم ، فان معنى الكتاب وان كان اشمل حينئذ ولكن يبقى السؤال المشار اليه في المتن على حاله .

٥٥- فاطر : ٢٤.

٥٦- الانعام : ١٩.

٥٧- طه : ١ ــ ٣.

٥٨- الاعراف : ١٨٤.

٥٩- الاسرا : ٨٩.

٦٠- النسا : ١٧٤.

٦١- الانعام : ١٥٥ ــ ١٥٦.

٦٢- النسا : ١٦٣ ــ ١٦٥.

٦٣- الاسرا : ٨٨.

٦٤- الحديد : ٢٥.

٦٥- النحل : ٨٩.

٦٦- النسا : ١٠٥.

٦٧- النحل : ٦٤.

٦٨- النمل : ٧٦.

٦٩- المائدة : ٤٨.

٧٠- آل عمران : ٣ ــ ٤.

٧١- يوسف : ٢ ــ ٣.

٧٢- البقرة : ٢.

٧٣- الاسرا : ٨٢.

٧٤- الرعد : ١١.

٧٥- المائدة : ١٥ ــ ١٦.

٧٦- الحديد : ٩.

٧٧- الطلاق : ١٠ ــ ١١.

٧٨- النور : ٣٥.

٧٩- البقرة : ٢٥٧.

٨٠- النسا : ٧٦.

٨١- الفاتحة : ٦ ــ ٧.

٨٢- المائدة : ١٦.

٨٣- الجمعة : ٢.

٨٤- الانعام : ٩٢.

٨٥- الجمعة : ٢.

٨٦- استوعبنا هذا البحث في تفسير سورة الجمعة وذكرناه ملخصا في رسالتنا عن الهدف من نزول القرآن عند تفسير ظاهرة نزوله باللغة العربية .

٨٧- محمد : ٣٨.

٨٨- المائدة : ٥٤.

٨٩- البقرة : ٢١٣.

٩٠- طه : ١ ــ ٣.

٩١- الشعرا : ٣.

٩٢- النمل : ٩٢.

٩٣- الانعام : ٩٠.

٩٤- يونس : ٧١ ــ ٧٢.

٩٥- المدرسة القرآنية للسيد الشهيد الصدر ١ ، المحاضرة الاولى : ٩ ــ ١١ ، طبعة بيروت .

٩٦- المدرسة القرآنية ، المحاضرة الاولى : ١٢ ــ ١٣.

٩٧- المدرسة القرآنية ، المحاضرة الثانية : ٢٩.

٩٨- المدرسة القرآنية ، المحاضرة الثانية : ٢٨.

٩٩- المدرسة القرآنية ، المحاضرة الاولى : ١٩.

١٠٠- المدرسة القرآنية ، المحاضرة الثانية : ٢٨.

١٠١- المدرسة القرآنية ، المحاضرة الثانية : ٢٨.

١٠٢- المدرسة القرآنية ، المحاضرة الاولى : ٢٢.

١٠٣- المدرسة القرآنية ، المحاضرة الاولى : ٢٣.

١٠٤- المدرسة القرآنية ، المحاضرة الاولى : ١١ ــ ١٢.

١٠٥- المدرسة القرآنية ، المحاضرة الثانية : ٢٧.

١٠٦- المدرسة القرآنية ، المحاضرة الثانية : ٣٣.

١٠٧- المدرسة القرآنية ، المحاضرة الثانية : ٣٤ ــ ٣٦ ــ ٣٧.

١٠٨- المدرسة القرآنية ، المحاضرة الاولى : ١٢.

١٠٩- المدرسة القرآنية ، المحاضرة الاولى : ١٣ ــ ١٤.

١١٠- المدرسة القرآنية ، المحاضرة الثالثة : ٤١.

١١١- في هذا المرجح اخذ الشهيد الصدر بالاصطلاح الثاني ( للموضوعية ) وجعله مختصا بمنهج التفسير الموضوعي .

١١٢- الاسرا : ٨٢.

١١٣- وقد بحث هذا الاساس في علم الاصول في باب ( التعارض ) ، اذ وردت روايات كثيرة تؤكد على مرجعية القرآن الكريم في فهم هذه النصوص والحكم عليها ، من قبيل قول الصادق ٧ : (( ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف )) ، وقوله ٧ : (( ان على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نورا ، فما وافق كتاب اللّه فخذوه ، وما خالف كتاب اللّه فدعوه )). وقد تحدث علما الاصول عن ان القرآن الكريم يعتبر مرجحا للنصوص بعضها على بعض عند التعارض بينها ، فضلا عما اذا كانت النصوص معارضة للقرآن نفسه .

وقد ذكر السيد الشهيد الصدر ١ لهذه النصوص تفسيرا عاما ، واوضح ان المقصود منهان كل ما يرد عن اهل البيت : او النبي ٩ من دليل ظني يعارض روح القرآن الكريم فهو زخرف باطل يجب تركه .

ومن قبيل ما ورد في بعض الروايات بسند صحيح معتبر : (( كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون اللّه عز وجل )) ، فان مضمون هذه الرواية ــ اذا اردنان ناخذه على ظاهره ــ مناف لروح القرآن وللايات التي تدل على وجوب مقاومة الكفروالظلم والطغيان والفساد ، كما ان صحة سند هذه الرواية لا يرقيها الى حالة اليقين بل تبقى رواية ظنية ولو بمضمونها للقبول به ، فاما ان تطرح جانبا تصرف الى غير ظاهرها ،بافتراض ان هذه الراية تكون راية في مقابل راية القائم ، او بغير اسمه وبدن اذنه ، او ا نها في مقام الحديث عن الواقع الخارجي للرايات المعاصرة لزمن صدورها.

١١٤- النحل : ٤٣.

١١٥- الكافي ١ : ٢١٠ ، باب اهل الذكر هم الائمة : ، الحديث ٢.

١١٦- الكافي ١ : ١٩٢ باب ان الائمة : هم الهداة .

١١٧- كالمحاولات التفسيرية للشيخ محمد جواد البلاغي ، والشيخ محمد عبده ، وغيرهم .

١١٨- يبحث علما القرآن هذا الموضوع بشكل مفصل في بحث ( جمع القرآن ) ، ومن المؤيدات التي تذكر في هذا الصدد هي : الاهمية الذاتية للقرآن الكريم ــ والتي كان يدركها النبي٩ ــ وكونه يشكل الزاوية الرئيسة التي يقوم عليها كيان الامة العقيدي والتشريعي والثقافي ، ووجود خطر التحريف والشعور بهذا الخطر ، وكذلك توفر ادوات التدوين

والكتابة وقتئذ ، ثم وجود الاخـــلاص والـــحرص على حفظه لدى الرسول ٩ ، اضافة الى الروايات التي تشير الى ان الرسول كـــان يـــوجه المسلمين الى وضع الايات في مواضعهاالمعينة من السور ، وا نه كان يدون هذه السور في مدونات خاصة ، كما ان الصحابة كانوايحفظون القرآن ويرتلونه بشكل مرتب .

١١٩- الكهف : ٦٠.

١٢٠- مجمع البيان ( للطبرسي ) : ١٧ ، طبعة قم .

١٢١- بـــاعتبار اشتراك الفاتحة مع غيرها في البسملة ، لذا فان اول كلمة تختص بها بعد ( البسملة )هي ( الحمد ).

١٢٢- نور الثقلين ١ : ٤ و ٥.

١٢٣- مـــجمع البيان ٥ : ٥١٤ والدر المنثور ١ : ٢ ، عن جماعة عن ابي ميسر ومجمع البيان ،عن صحيح مسلم ٥ : ٥١٥.

١٢٤- العلق : ٩ ــ ١٠.

١٢٥- الحجر : ٨٧.

١٢٦- تفسير العياشي ١ : ١٩ ، الحديث ٣ ، طبعة طهران .

١٢٧- تفسير العياشي ١ : ١٩ ، الحديث ٣ ، طبعة طهران .

١٢٨- الحجر : ٨٧.

١٢٩- اذ يـــلـــزم عـــلـــى المذهب الصحيح قراتها في الركعتين الاوليتين لكل صلاة ولا صلاة بدون فاتحة الكتاب ، والانسان بالخيار بينها وبين التسبيح فيما عدا الركعتين الاوليتين .

١٣٠- هنا بحث مفصل تناولناه في كتابنا محاضرات في علوم القرآن حول هذا الموضوع .

١٣١- مجمع البيان ١ : ١٧ ، طبعة بيروت .

١٣٢- الدر المنثور ١ : ٣.

١٣٣- عـــن مـــحـــمـــد بـــن مسلم ، عن ابي جعفر ٧ ، قال : سالته عن الذي لا يقرا بفاتحة الكتاب في صلاته ؟ قال : لا صلاة له ....

وسائل الشيعة ٢ : باب القراة في الصلاة ، الحديث الاول .

١٣٤- عيون اخبار الرضا ٧ : ٢٣٥ ، الحديث ٦٠ ، طبعة طهران .

١٣٥- الخصال ٢ : ٣٥٥ ، الحديث ٣٦ ، طبعة قم .

١٣٦- اصول الكافي ٢ : كتاب فضل القرآن ، الحديث ١٦ ، طبعة ايران .

١٣٧- النمل : ٣٠.

١٣٨- الترمذي ١٣ : ٢٠١ واسد الغابة ٢ : ١٢ ، في ترجمة الامام الحسن ٧ الدر المنثور٧ : ١٧ ، في تفسير آية المودة من سورة الشورى .

١٣٩- يـــمـــكن اتباع هذا المنهج في كثير من الموارد التي يثبت فيها قول لاهل البيت : اولخصوص عـــلي ٧ لما ورد عن النبي ايضا من قوله : (( علي مع الحق والحق مع علي )) ،و (( علي اقضاكم )) ، و (( علي اعلمكم بالقرآن )) وغير ذلك من النصوص .

١٤٠- وسائل الشيعة ٢ : ٧٤٩ ، الحديث ٩ ، طبعة طهران .

١٤١- فروع الكافي ١ : ٨٦ ، طبعة طهران .

١٤٢- تفسير العياشي ١ : ١٩ ، الحديث ٥ ، طبعة طهران .

١٤٣- الدر المنثور ١ : ٧ ، طبعة بيروت .

١٤٤- الدر المنثور ١ : ٨ ، طبعة بيروت .

١٤٥- المصدر نفسه : ٧.

١٤٦- بحار الانوار ٧٦ : ٣٠٥ ، الحديث الاول ، طبعة طهران .

١٤٧- مستمسك العروة الوثقى للامام السيد محسن الحكيم ٦ : ١٧٧ ، التعليقة ١.

١٤٨- يمكن الاستدلال بهذا الدليل وبالدليل الذي قبله على تواتر النص القرآني وعلى حفظالقرآن من التحريف وتوضيح ذلك في محله ، راجع كتابنا محاضرات في علوم القرآن .

١٤٩- الدر المنثور ١ : ٨ ، طبعة بيروت .

١٥٠- تفسير العياشي ١ : ٢٢ ، الحديث ١٦ ، طبعة طهران .

١٥١- تــوسع علما الاصول في اطلاق مفهوم الحرف على كل الادوات التي تدل على شي من النسبة او الربط او التحديد والتضييق في المفاهيم ، مثل هيئات الاشتقاق او هيئة الاضافة او غيرها.

١٥٢- تفسير الميزان ١ : ١٧ ، طبعة بيروت .

١٥٣- بحار الانوار ٧٦ : ٧٦ ، الباب ٥٨ ، الحديث ١.

١٥٤- وان كانت الصيغة التي اشتق منها هي صيغة ( اسم الفاعل ) الا ا نها قد استخدمت في صيغة ( اسم المفعول ) ايضا ، كما في الكتاب بمعنى المكتوب والركاب بمعنى المركوب .

١٥٥- لقمان : ٢٥.

١٥٦- الانعام : ١٣٦.

١٥٧- مفردات الراغب : ١٩٦ ، مادة رحم .

١٥٨- الشورى : ١١.

١٥٩- غافر : ٧.

١٦٠- الاحزاب : ٤٣.

١٦١- دعا الطواف عند الملتزم ، راجع منهاج الناسكين للامام السيد محسن الحكيم .

١٦٢- النسا : ٢٣.

١٦٣- للّه تــبارك وتعالى صفات كثيرة كالعالم ، القادر ، الغفور ولكن ذكرت هاتين الصفتين باعتبار وجــود الــمــناسبة بينهما وبين الشعور بالحاجة والضعف من ناحية ، وافاضة الاعانة والمنفعة وسد الحاجة من ناحية ثانية ، الذي هو محتوى الاستعانة ومضمونها.

١٦٤- العلق : ١.

١٦٥- النحل : ٩٨.

١٦٦- العلق : ١.

١٦٧- هود : ٤١.

١٦٨- الانعام : ١١٨.

١٦٩- الاعلى : ١٤ و ١٥.

١٧٠- الانسان : ٢٥.

١٧١- الاعلى : ١.

١٧٢- النور : ٣٦.

١٧٣- الحج : ٢٨.

١٧٤- الحشر : ١.

١٧٥- الصافات : ١٥٩.

١٧٦- الاسرا : ١.

١٧٧- الاعلى : ١.

١٧٨- الحاقة : ٥٢.

١٧٩- الحشر : ١.

١٨٠- الاعلى : ١.

١٨١- هود : ٤١.

١٨٢- الانعام : ١٢١.

١٨٣- الحمد : ١.

١٨٤- تفسير الميزان ١ : ١٥ ، سورة الحمد.

١٨٥- البقرة : ٢٣.

١٨٦- هود : ١٣.

١٨٧- الميزان ١ : ١٥ و ١٦.
١٨٨- وسائل الشيعة : الباب ٢١ من ابواب القراة في الصلاة ، الحديث ١.
١٨٩- المصدر نفسه ، الحديث ٤.
١٩٠- نور الثقلين ١ : ٥ ، الحديث ١٠.
١٩١- نور الثقلين ١ : ٨ ، الحديث ٢٤.
١٩٢- نور الثقلين ١ : ٨ ، الحديث ٢١.
١٩٣- نور الثقلين ١ : ٦ ، الحديث ١٤.
١٩٤- المصدر نفسه .
١٩٥- نور الثقلين ١ : ٦ ، الحديث ١٢.
١٩٦- البقرة : ١٦٣.
١٩٧- النحل : ٩٨.
١٩٨- وردت لفظة ( الرحمن ) في القرآن الكريم ثماني وخمسين مرة ، استخدمت في سبع وثلاثين مرة علما في الذات المقدسة ، وتسع مرات صفة للّه تبارك وتعالى مع احتمال كونها قداستخدمت علما في هذه المرات ايضا.
١٩٩- هذا الامر نورده هنا معتمدين على متابعة سريعة اجمالية لصفات اللّه تعالى في القرآن الكريم ولعل في البحث المفصل والمتابعة الدقيقة يمكن التوصل الى صفات اخرى استعملت علما للذات الالهية المقدسة ايضا الاسرا : ١١٠.
٢٠٠- تفسير العياشي ٢ : ٢٥٩ ، طبعة طهران ، الحديث ٨٥ الاسرا : ٤٦.
٢٠١- وذلك ان الادب عندما ياخذ شكلا وصيغة معينة تؤطر حياة الناس وتصبح جزا منهايتحول ــ هذا الادب بعد ذلك ــ الى شعار من شعاراتهم ، ولعل هذا هو مقصود العلا مة الطباطبائي عندما فسرها با نها ادب اسلامي .
٢٠٢- يمكن ان يكون موضوع ( الشعار ) من الموضوعات القرآنية التي يستفاض في دراستهاخصوصا وان كلمة ( الشعار ) قد وردت قرآنيا في عدة مواضع من القرآن ، منها عندمايتحدث عن الحج مثل قوله تعالى : ( ذلك ومن يعظم شعائر اللّه فانها من تقوى القلوب )الحج : ٣٢.
٢٠٣- سوف نوضح هذا الامر في ابحاثنا التفسيرية ــ ان شا اللّه ــ خصوصا عندما نتناول قوله تعالى : ( واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة ) البقرة : ٣٠.
٢٠٤- التوبة : ١٠٣.
٢٠٥- الحج : ٣٧.
٢٠٦- الحج : ٣٢.
٢٠٧- تاريخ الطبري ٢ : ١٠٠ ، تاريخ السنة الثامنة .
٢٠٨- تاريخ الطبري ٣ : ٤٥ ، تاريخ السنة ١٤ ، يوم ارماث .
٢٠٩- مفردات الراغب : ١٣٠ ، مادة ( حمد ) ، طبعة بيروت .
٢١٠- دعا الافتتاح .
٢١١- مفردات الراغب : ١٨٩ ، مادة ( رب ) ، طبعة بيروت .
٢١٢- اكثر الالفاظ استخداما في ( الاله ) قرآنيا بعد لفظ الجلالة هي كلمة ( الرب ).
٢١٣- سبا : ١٥.
٢١٤- يوسف : ٤٢.
٢١٥- يوسف : ٢٣.
٢١٦- مفردات الراغب : ٣٥٧ ، مادة ( علم ) ، طبعة بيروت .
٢١٧- المائدة : ٢٠.
٢١٨- المائدة : ١١٥.
٢١٩- آل عمران : ٤٢.
٢٢٠- آل عمران : ٩٦.

٢٢١- الانعام : ٩٠.

٢٢٢- الفرقان : ١.

٢٢٣- العنكبوت : ٦.

٢٢٤- نور الثقلين ١ : ١٦ ، الحديث ٧٠ ، طبعة قم .

٢٢٥- نور الثقلين ١ : ١٩ ، الحديث ٧٩ و ٨٠.

٢٢٦- المصدر السابق .

٢٢٧- مجمع البيان ١ : ٢٤ ، طبعة بيروت .

٢٢٨- مفردات الراغب : ٤٩٢ ، مادة ( ملك ) ، طبعة بيروت .

٢٢٩- آل عمران : ١٨٩.

٢٣٠- طه : ١١٤.

٢٣١- القمر : ٥٥.

٢٣٢- يس : ٨٣.

٢٣٣- آل عمران : ٢٦.

٢٣٤- آل عمران : ٢٦.

٢٣٥- كالعلا مة الطباطبائي ١ في ( الميزان ) ١ : ٢٢ ، والطبرسي في ( مجمع البيان ) ١ : ٢٣ ،وينسبها الى بعض علما اللغة والتفسير.

٢٣٦- غافر : ١٦.

٢٣٧- المائدة : ١٨.

٢٣٨- الانعام : ٧٣.

٢٣٩- الانفطار : ١٩.

٢٤٠- الفرقان : ٢.

٢٤١- الحج : ٥٦.

٢٤٢- الملك : ١.

٢٤٣- آل عمران : ٢٦.

٢٤٤- الاعراف : ١٨٨.

٢٤٥- مفردات الراغب : ٥٧٨ ، مادة ( يوم ).

٢٤٦- الحج : ٤٧.

٢٤٧- المعارج : ٤.

٢٤٨- اوردهـــا الـــطبرسي ١ في تفسير الاية في مجمع البيان واستدل على كل منها بنص لغوي او رواية .

٢٤٩- نور الثقلين ١ : ١٩ ، الحديث ٧٥ ، طبعة قم .

٢٥٠- غافر : ١٧.

٢٥١- الجاثية : ٢٨.

٢٥٢- المعارج : ٤٤.

٢٥٣- الاسرا : ١١١.

٢٥٤- غافر : ١٦.

٢٥٥- مفردات الراغب : ٣٣٠ ، مادة ( عبد ) ، طبعة بيروت .

٢٥٦- النسا : ٥٩.

٢٥٧- الاسرا : ٢٤.

٢٥٨- المائدة : ٥٤.

٢٥٩- البقرة : ٣٠.

٢٦٠- آل عمران : ١٩١.

٢٦١- الشعرا : ٧١.
٢٦٢- مفردات الراغب : ٣٦٦ ، مادة ( عون ).
٢٦٣- مجمع البيان ١ : ٢٦.
٢٦٤- التكوير : ٢٩.
٢٦٥- الصافات : ٢٣.
٢٦٦- الحج : ٤.
٢٦٧- آل عمران : ٢١.
٢٦٨- مفردات الراغب : ٥٣٦ ، مادة ( هدى ) ، طبعة بيروت .
٢٦٩- الحمد : ٦.
٢٧٠- مجمع البيان للطبرسي ١ : ٢٧ ، طبعة بيروت .
٢٧١- محمد : ١٧.
٢٧٢- يونس : ٩.
٢٧٣- الاعراف : ٤٣.
٢٧٤- الانبيا : ١١٢.
٢٧٥- الشعرا : ٨٧.
٢٧٦- انتهى ما نقل عن صاحب مجمع البيان ١.
٢٧٧- الضحى : ٧.
٢٧٨- هذا الموضوع له علاقة ببحث كلامي حول عصمة الانبيا نتناول جانبا منه في موضوع معصية آدم باكله من الشجرة وخروجه من الجنة ( فازلهما الشيطان عنها فاخرجهمامما كانا فيه ) البقرة : ٣٦.
٢٧٩- مفردات الراغب : ٣١٢ ، مادة ( طرق ) ، طبعة بيروت .
٢٨٠- مفردات الراغب : ٢٢٨ ، مادة ( سبل ) ، طبعة بيروت .
٢٨١- مفردات الراغب : ٢٣٥ ، مادة ( سرط ) ، طبعة بيروت .
٢٨٢- العنكبوت : ٦٩.
٢٨٣- مفردات الراغب : ٤٣٣ ، طبعة بيروت .
٢٨٤- راجع ــ مثلا ــ تفسير مجمع البيان ( الطبرسي ) ١ : ٢٨ ، طبعة بيروت .
٢٨٥- المصدر السابق .
٢٨٦- الدر المنثور ١ : ١٥ ، طبعة بيروت .
٢٨٧- نور الثقلين ١ : ٢٢ ــ ٢٣ ، الحديث ٩٧ و ١٠٤ ، طبعة قم .
٢٨٨- نور الثقلين ١ : ٢٠ ، الحديث ٨٥ ، طبعة قم .
٢٨٩- الدر المنثور ١ : ١٥ ، طبعة بيروت .
٢٩٠- مجمع البيان ١ : ٣٠ ، طبعة بيروت .
٢٩١- مفردات الراغب : ٥٢٠ ، مادة ( نعم ) ، طبعة بيروت .
٢٩٢- النسا : ٦٩.
٢٩٣- نور الثقلين ١ : ٢٣ ، الحديث ١٠٢ ، طبعة قم .
٢٩٤- مجمع البيان ١ : ٣٠ ، طبعة بيروت .
٢٩٥- الكافي ٢ : ٣٠٤ ، طبعة طهران ( مع تغيير طفيف ).
٢٩٦- مفردات الراغب : ٣٧٤ ، مادة ( غضب ) ، طبعة بيروت .
٢٩٧- البقرة : ٦١.
٢٩٨- الفتح : ٦.
٢٩٩- مجمع البيان للطبرسي : ٣١ ، طبعة بيروت .
٣٠٠- يوسف : ٩٥.

٣٠١- يوسف : ٨.

٣٠٢- الشعرا : ٢٠.

٣٠٣- البقرة : ٢٨٢.

٣٠٤- مفردات الراغب : ٣٦٠ ، مادة ( ضل ) ، طبعة بيروت .

٣٠٥- نور الثقلين ١ : ٢٤ ، الحديث ١٠٦ و ١٠٧ ، طبعة بيروت .

٣٠٦- نور الثقلين ١ : ٢٥ ، الحديث ١١١ ، طبعة بيروت .

٣٠٧- الشورى : ١٦.

٣٠٨- النحل : ١٠٦.

٣٠٩- طه : ٨١.

٣١٠- آل عمران : ١١٢.

٣١١- طه : ٨٦.

٣١٢- العنكبوت : ٦٩.

٣١٣- الحمد : ٢ ــ ٤.

٣١٤- السجدة : ٧.

٣١٥- التغابن : ٣.

٣١٦- الاسرا : ١١٠.

٣١٧- الحشر : ٢٤.

٣١٨- البقرة : ١٣٨.

٣١٩- المؤمنون : ١٤.

٣٢٠- الزمر : ٢٣.

٣٢١- الفرقان : ٣٣.

٣٢٢- التين : ٤.

٣٢٣- المائدة : ١٧.

٣٢٤- الاحزاب : ١٧.

٣٢٥- يس : ٨٢.

٣٢٦- يونس : ٩٩.

٣٢٧- الشعرا : ٤.

٣٢٨- العنكبوت : ٥٣.

٣٢٩- الشورى : ١٤.

٣٣٠- نوح : ٤.

٣٣١- الكهف : ٥٨.

٣٣٢- يوجد هنا سؤال عن علاقة هذه الرحمة الالهية بما يتعرض له الانسان من كوارث وآلام ومحن طبيعية او في مسيرته الاجتماعية ، وسوف نتحدث عن هذا الموضوع في الابحاث المتعلقة بهذه السورة .

٣٣٣- الزمر : ٥٣.

٣٣٤- هود : ١١٩.

٣٣٥- السجدة : ١٣.

٣٣٦- الاعراف : ٣٦.

٣٣٧- غافر : ٦٠.

٣٣٨- الزمر : ٧٢.

٣٣٩- النسا : ٤٨ و ١١٦.

٣٤٠- لقمان : ١٣.

٣٤١- غافر : ٥٢.

٣٤٢- مفاتيح الجنان : ٦٦.

٣٤٣- يوسف : ٨٧.

٣٤٤- الزمر : ٥٣.

٣٤٥- الاعراف : ٩٩.

٣٤٦- يوسف : ١٠٧.

٣٤٧- النازعات : ٤٠ و ٤١.

٣٤٨- الاسرا : ٥٧.

٣٤٩- الحمد : ٥.

٣٥٠- مريم : ٩٣.

٣٥١- الرعد : ١٥.

٣٥٢- الحج : ١٨.

٣٥٣- النحل : ٤٠.

٣٥٤- يس : ٨٢.

٣٥٥- البقرة : ١٨٥.

٣٥٦- المائدة : ٦.

٣٥٧- قد يشترك الجن مع الانسان في هذه الخصوصية بمستوى ما باعتبار امتلاكه للارادة ،وا نه مكلف كما يفهم من بعض الايات الكريمة .

٣٥٨- الاباحة والحلية قد تعبر عن مصلحة ايضا في اطلاق العنان للانسان ومنحه الحرية فاذا تطابق سلوك الانسان مع الاباحة والاطلاق والحرية تحقق التكامل بخلاف ما اذا الزم نفسه ببعض الالتزامات ــ كما في الرهبانية المذمومة ــ فانه لا يتكامل بهذا الالتزام .

٣٥٩- الزمر : ٢ ــ ٣.

٣٦٠- الزمر : ١١.

٣٦١- الزمر : ١٧ ــ ١٨ ويلاحظ في هذا المقطع من سورة الزمر هذا التركيز الكبير على قضية الاخلاص في العبادة .

٣٦٢- البينة : ٥.

٣٦٣- غافر : ٦٥.

٣٦٤- النسا : ١٤٦.

٣٦٥- ق : ١٦.

٣٦٦- الواقعة : ٨٥.

٣٦٧- الزخرف : ٨٠.

٣٦٨- العصر : ٣.

٣٦٩- آل عمران : ١٠٤.

٣٧٠- الحج : ٤١.

٣٧١- التوبة : ٧١.

٣٧٢- يس : ٨٢.

٣٧٣- التكوير : ٢٩.

٣٧٤- الكهف : ٢٣ ــ ٢٤.

٣٧٥- الحمد : ٦ ــ ٧.

٣٧٦- الحج : ٥.

٣٧٧- القصص : ٥٦.

٣٧٨- البقرة : ٢٧٢.

٣٧٩- الانعام : ٨٨.

٣٨٠- مريم : ٧٦.

٣٨١- محمد : ١٧.

٣٨٢- البقرة : ١٤٣.

٣٨٣- النحل : ٩٠.

٣٨٤- المائدة : ٤٢.

٣٨٥- الروم : ٣٠.

٣٨٦- البقرة : ٢٦٠.

٣٨٧- آل عمران : ١٧٨.

٣٨٨- الفلق : ١.

٣٨٩- الناس : ١.

٣٩٠- الكافرون : ١.

٣٩١- الاخلاص : ١.

٣٩٢- طه : ١١٤.

٣٩٣- الصافات : ١٥٩ و ١٦٠.

٣٩٤- المؤمنون : ٢٨.

٣٩٥- ابراهيم : ٣٩.

٣٩٦- الاسرا : ١١١.

٣٩٧- النمل : ١٥.

٣٩٨- يونس : ١٠١.

٣٩٩- الزمر : ٧٥.

٤٠٠- الاسرا : ٤٤.

٤٠١- طه : ١١٠.

٤٠٢- النمل : ٧٤.

٤٠٣- الكافي ٣ : ٣٢٤ ، طبعة طهران .

٤٠٤- تفسير الميزان ١ : ٢٠ ، طبعة بيروت .

٤٠٥- غافر : ٦٥.

٤٠٦- الانعام : ٤٥.

٤٠٧- النحل : ٧٥.

٤٠٨- التوبة : ١١٢.

٤٠٩- الصافات : ١٥٨ ــ ١٦٠.

٤١٠- تفسير نور الثقلين ١ : ٥ الحديث ٩ ، طبعة قم .

٤١١- الدر المنثور ١ : ٤ ــ ٦ ، طبعة بيروت .

٤١٢- الدر المنثور ١ : ٦.

٤١٣- وسائل الشيعة ٤ : ٧٣٣ ، الباب الاول من ابواب القراة في الصلاة ، الحديث ٣.

٤١٤- تفسير نور الثقلين ١ : ٤ ، طبعة قم .

٤١٥- الحجر : ٨٧.

٤١٦- عيون اخبار الرضا ٧ : ٢٣٥ ، الحديث ٦٠ ، طبعة طهران .

٤١٧- تفسير العياشي ١ : ٢٠ ، الحديث ٩٠.

٤١٨- الاعراف : ٩٦.

٤١٩- المائدة : ٦٦.

٤٢٠- الانبيا : ٣٥.

٤٢١- البقرة : ١٥٥.

٤٢٢- محمد : ٣١.

٤٢٣- الكهف : ٧.

٤٢٤- المائدة : ٤٨.

٤٢٥- الملك : ٢.

٤٢٦- البحار ٨١ : ١٩٤ ، الحديث ٥١.

٤٢٧- الروم : ٤١.

٤٢٨- النسا : ٧٩.

٤٢٩- الانفال : ٢٥.

٤٣٠- المائدة : ٢.

٤٣١- الكهف : ٩٥.

٤٣٢- الزخرف : ٣٢.

٤٣٣- مجمع البيان ( الطبرسي ) ١ : ٢٦ ، طبعة بيروت .

٤٣٤- تفسير الميزان ١ : ٢٦ ، طبعة بيروت .

٤٣٥- المائدة : ١٢٠.

٤٣٦- الملك : ١.

٤٣٧- النسا : ٧٩.

٤٣٨- الانعام : ١٦٠.

٤٣٩- آل عمران : ٣٠.

٤٤٠- الشورى : ٤٨.

٤٤١- محمد : ٧.

٤٤٢- الحج : ٤٠.

٤٤٣- البقرة : ٤٥.

٤٤٤- الاعراف : ١٢٨.

٤٤٥- يوسف : ١٨.

٤٤٦- الانبيا : ١١٢.

٤٤٧- هود : ٨٨.

٤٤٨- التوبة : ١٢٩.

٤٤٩- آل عمران : ١٦٠.

٤٥٠- المجادلة : ١٠.

٤٥١- هود : ١٢٣.

٤٥٢- آل عمران : ١٥٩.

٤٥٣- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ١٩ : ٦٨.

٤٥٤- النمل : ٨٩.

٤٥٥- آل عمران : ٣١.

٤٥٦- بحار الانوار ٧٠ : ١٧.

٤٥٧- تفسير الميزان ١ : ٢٦ ، طبعة بيروت والايتان ( ٢ ، ٣ ) من سورة الزمر.

٤٥٨- الاعراف : ٥٦.

٤٥٩- السجدة : ١٦.

٤٦٠- الاعراف : ٢٠٥.

٤٦١- الانسان : ٨ ــ ١٠.

٤٦٢- فاطر : ٢٩.

٤٦٣- الرحمن : ٤٦.

٤٦٤- النازعات : ٤٠ ــ ٤١.

٤٦٥- البقرة : ١٦٥.

٤٦٦- تفسير الميزان ١ : ٢٨ ــ ٣٧ ، طبعة بيروت .

٤٦٧- العنكبوت : ٦٩.

٤٦٨- يوسف : ١٠٨.

٤٦٩- النسا : ١١٥.

٤٧٠- لقمان : ١٥.

٤٧١- الانعام : ١٥٣.

٤٧٢- يس : ٦١.

٤٧٣- الحمد : ٧.

٤٧٤- النسا : ٦٩.

٤٧٥- الحديد : ١٩.

٤٧٦- المجادلة : ١١.

٤٧٧- العنكبوت : ٦٩.

٤٧٨- البقرة : ١٤٣.

٤٧٩- البقرة : ١٩٠.

٤٨٠- الانعام : ٥٥.

٤٨١- الانعام : ١٥٣.

٤٨٢- الصافات : ٢٢ ــ ٢٣.

٤٨٣- البقرة : ٢٨٦.